القافلة

عدد خاص بمناسبة مرور خمسين سنة على صدور المجلة

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها أرامكو السعودية

المجلد ٥١

عدد خاص

صدر في رجب ١٤٢٣هـ
سبتمبر - أكتوبر ٢٠٠٢م

بصدور هذا العدد تكون «القافلة» قد قطعت مسيرة طويلة من عمرها الحافل بالصحافة الجادة...

خمسون سنة تفصل بين هذا العدد وعدد المجلة الأول، الذي أبصر النور في الظهران، في شهر صفر عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م).

وبهذه المناسبة تتأهب «القافلة» للانطلاق نحو آفاق المستقبل، وفي الوقت ذاته التفتت إلى مرحلة البدايات لتتذكر كيف كانت:

متى ولدت؟

ومن الذين كتبوا حروفها الأولى؟

وكيف كان قراؤها في تلك السنين المبكرة من عمر النهضة في المملكة؟

ماذا طرحت وبماذا اهتمت وكيف يقدم شهود الحال، في الماضي والحاضر، شهاداتهم بحقها؟

من هذه الأسئلة وفي ظل هذه المناسبة، نشأت أسئلة جديدة ستجدونها مشفوعة بإجاباتها وأنتم تقلبون صفحات هذا العدد الخاص، الذي نأمل أن تستمتعوا بقراءته كما استمتعنا بإعداده وسرتنا البشارة بولادته.

القافلة

توزع مجاناً

نتأمل رحلتها معاً ٦
كلمة معالي وزير البترول والثروة المعدنية
الأستاذ علي بن إبراهيم النعيمي

نرسم مسارها الجديد ٨
كلمة رئيس الشركة، كبير إداريها التنفيذيين،
الأستاذ عبدالله بن صالح بن جمعة

نحمل المصباح ١٠
كلمة رئيس تحرير المجلة،
الأستاذ محمد عبدالحميد طحلاوي

خمسون فتحاً ١١
قصيدة جاسم محمد الصحيح

قصة المولد والوثائق ١٢
علي محمد أحمد بابا
وليد يوسف الهلال

حداة «القافلة» ٢٢
المشعل من يد لِيد
عادل أحمد الصادق

إلى القافلة في عيدها الخمسين ٢٩
د. يوسف القرضاوي
د. نشوا زيادة
د. محمد جابر الأنصاري
أ. عبدالله بن أحمد الشباط
د. فهد بن عبدالله السماري
أ. خليل إبراهيم الفزيع
أ. محمد بن عبدالله الحميد
د. ثريا العريض
أ. فاضل السباعي
د. حسن بن فهد الهويمل
د. محمد العيد الخطراوي
د. إحسان علي بوحليقة
أ. محمد العباس
أ. شريفة الشملان
أ. محمد الجلواح

المجلد ٥١

رئيس التحرير:
محمد عبدالحميد طحلاوي

إدارة التحرير:
فؤاد فهد الذرمان
محمد عبدالعزيز العصيمي

مسؤولا التحرير:
علي حسن المرهون
أحمد حافظ الحنجل

ردمد: ISSN 1319-0547

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في «القافلة» يعبّر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبّر بالضرورة عن رأي «القافلة» أو اتجاهها.
- لا يجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في «القافلة» إلا بإذن خطي من هيئة التحرير.
- لا تقبل «القافلة» إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها.

العنوان
أرامكو السعودية
صندوق بريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
فاكس: ٠٣ ٨٧٣٣٣٣٦
للاستفسار عن الاشتراكات في المجلة
الاتصال بهاتف: ٠٣ ٨٧٤٦٩٤٨
alqafilah@aramco.com.sa

هذا العدد من تصميم المحترف al mohtaraf

رحلتها الطباعية من بيروت الى الدمام ٥٨
خالد فؤاد الطويلي

صور ومصورو «القافلة» ٦٦
خالد فؤاد الطويلي
عبد الرحمن أبو الجدايل

جغرافيا المهنة ٧٢
مجتمع يتلمّس طريقه الى الفجر
محمد الدميني

«القافلة» في عيون قرائها ٨٢
أحمد حافظ الحنجل

مسابقة «القافلة» الذهبية ٨٨

ملف خاص ٩١
رحلة في مجلدات القافلة الخمسين
عبّود عطية

«القافلة» الى أين؟ ١٨٨
فؤاد الدرمان

مغانم «القافلة» ١٩٠
محمد العصيمي

تأملوا معي «القافلة»

ما من شك بأن هناك آلافاً غيري يرتبطون بـ «القافلة» بعلاقة عاطفة تاريخية، تعود جذورها إلى العام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) حين صدر أول عدد منها. في ذلك العام رأت «القافلة» النور لأول مرة. ومع كل إشراقة يوم جديد اشتد عودها واتسعت عيناها على الكثير من المشارب الثقافية والأدبية والعلمية.

وكنت مثل غيري، من أي موقع وظيفي شغلته في الشركة، أغرف من منهلها الصحفي العذب، وأناقش، بين الحين والآخر، هذا الموضوع الذي طرحته أو ذاك. وأستطيع أن أقول أنني لسنوات كنت أحضر مآدب الثقافة العامة، أي ما هو خارج اختصاص وظيفتي، في ضيافة «القافلة».

وكان يسرني أن أسمع من مريديها بعض إشاداتهم وكثيراً من انتقاداتهم، وأنقلها بدوري إلى أجهزة تحريرها، التي تعددت بتعدد مراحل عمرها الطويل، الذي بلغ هذا العام خمسين عاماً، لتتوج بهذه المناسبة، وسط احتفالاتنا بها، باعتبارها: المجلة العربية النادرة عند صدورها، والنادرة عندما بلغت نصف قرن بلا انقطاع.

والآن بعد أن طوت «القافلة» خمسين سنة من عمرها، أرى أنه بات لزاماً عليها أن تقف في محطة التأمل، لتنظر في هذه السنوات الخمسين. وهو ما آمل أن يكون جهاز تحريرها قد فعله في هذا العدد الخاص، الذي يصدر بهذه المناسبة

ويشكل فرصة لإعادة قرائها، القدامى منهم بالذات، إلى تلك السنوات التي مارست فيها المجلة فعلاً تثقيفياً وتوثيقياً رائداً يستحق أن يشار إليه الآن بإسهاب ليحقق غرضين هما: التثقيف والإمتاع. ومن ثم يكون بإمكان جهاز تحرير «القافلة» أن ينطلق من محطة التأمل هذه إلى محطات أخرى تؤكد قدرتها على التجدد ومواكبة متغيرات الصحافة العربية، كماً ونوعاً.

إنني أتطلع إلى أن تكون «القافلة»، بعد خمسين سنة من صدورها، مجلة عربية تطرق أبواباً غير مطروقة، توفر لقارئها ما يفتقده في موائد تثقيفية أخرى نجدها على امتداد العالم العربي. وهي بحس المواطنة العربية السعودية، الذي تمتعت به طوال عمرها، وبما توفره لها أرامكو السعودية من إمكانات، وبهمة أعضاء جهاز تحريرها، قادرة على أن تبلغنا هذا الأمل الكبير.

ختاماً، أهنئ نفسي وجميع قراء «القافلة» في المملكة العربية السعودية وخارجها بإشعال «القافلة» شمعتها الخمسين. كما أهنئ أرامكو السعودية، الشركة التي تولت رعاية هذه المجلة الرائدة طوال هذه السنوات، راجياً لمن يعملون بها الآن أن يوفقهم الله، سبحانه وتعالى، إلى مزيد من أسباب تطورها والفوز المستمر برضا قرائها.

علي بن إبراهيم النعيمي
وزير البترول والثروة المعدنية،
رئيس مجلس إدارة أرامكو السعودية

«القافلة».. ما كانت عليه وما تطمح إليه

في ذلك اليوم المبكر من عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) كانت الظهران، القلب الخافق لصناعة البترول العالمية، في خطواتها الأولى. وكانت «القافلة» أيضاً تبدأ الوقوف على قدميها في إسهام ثقافي، ابتدأ خاصاً بموظفي أرامكو السعودية، واتسع ليشمل القراء في المملكة ودول الخليج العربية، ثم وصل إلى قراء آخرين في أصقاع المعمورة.

قصة «مولد القافلة» التي تنشر في هذا العدد الخاص، ستنقل قارئ المجلة أو (عاشقها مثلي) إلى تلك الأيام التي غرست فيها البذرة الأولى لشجرة صحفية وارفة، أعطت تحت اسمها الأول «قافلة الزيت» ثم «القافلة»، الكثير من الثمار الناضجة النضرة. وظللت قراءها على مدى سنوات طويلة، ليحق لها ولهم أن يحتفلوا اليوم بعيدها الذهبي، الذي لا ينافسها فيه سوى قلائل من المجلات العربية، التي تصدر في عواصم الريادة الفكرية والثقافية.

اليوم، بعد خمسين سنة، تعود «القافلة» لتقرأ نفسها من جديد، من حيث ما كانت عليه وما تطمح إليه. ولأن هذا العدد الخاص سينقل بعض ما كانت عليه وهو في رأيي كثير يصعب حصره بناء على ما تقدم من عمر المجلة، أجد أن ارتباطي الوثيق بـ «القافلة»، كقارئ نهم أولاً، وكأحد الذين تشرفوا بتسيير دفتها في زمن ماض، يفرض علي أن أطرح هنا ما آمل أن تكون عليه في مستقبل الأيام. إنني أتطلع أن تكون «القافلة» بدءاً من العدد التالي، الذي يمثل العدد الأول في سنتها الواحدة والخمسين، مجلة تعنى بمسائل تعاني من ندرة

الطرح الصحفي على المستوى العربي مثل العلوم بتفريعاتها، والطاقة بموجباتها التي تفرض نفسها على إيقاع المجلة الجديد لسبب رئيس هو: ما يثيره مجال الطاقة الآن من متغيرات تتطلب المزيد من الطرح الدقيق والجاد، الأمر الذي يمكن أن تنهض به «القافلة»، باعتبارها المرشحة الأقوى لهذا الدور عطفاً على صدورها من شركة، تمثل الطاقة محور نشاطها في المملكة وحول العالم، وما يوفره ذلك من دعائم تمكنها من الإخبار والتحليل ونشر الاستطلاعات والدراسات المتعلقة بهذا المجال الحيوي.

أيضا آمل أن تهتم «القافلة»، من منظور تثقيفي وتوعوي، بتقديم قراءات اقتصادية تتمتع بالجدة والأصالة، سواء في محيطها المحلي أو المحيطين الإقليمي والدولي، بحيث توفر لقارئها وجبة دورية تشبع حاجته للمعرفة في هذا الجانب، الذي تزداد أهميته في ظل ما بات يعرف بعلاقات «العولمة». كذلك فإن البيئة بمداراتها المتعددة وأهميتها البالغة لا بد أن تجد في المجلة حيزاً أكبر من الذي كان يعطى لها في السابق، وأن يتم التركيز في هذا المجال، عدا الإطار العام المتعلق بأدوار الشركات والمصانع، على النواحي الإرشادية والأدوار الفردية المؤثرة في خلق بيئة صحية ونظيفة في محيط الفرد نفسه ومجتمعه ككل. وأتوقع أن تعير «القافلة» موضوعي الصحة والسلامة اهتماماً أكبر لتخلق جسوراً مباشرة في توعية قرائها حيال هذين الموضوعين المهمين.

هذا ما أتطلع إليه في رحلة «القافلة» المقبلة بعد أن قطعت مسافة خمسين سنة حافلة بالثقافة والمعارف والمعلومات، متمنياً أن يجد قارئها في كل مكان في هذه التطلعات ما يرضيه ويشبع حاجاته التثقيفية.

عبدالله بن صالح بن جمعة
رئيس أرامكو السعودية،
كبير إداريها التنفيذيين

«القافلة» ٥٠ عاماً... شباب يتجدد

منذ ما يزيد على خمسة وثلاثين عاماً، عندما كنت في الصف الرابع الابتدائي، أعلن الأستاذ حمد العيدي، مدير مدرسة الخبر الإبتدائية الأولى آنذاك، عن تأسيس مكتبة في المدرسة، ولما لم تكن لي أية اهتمامات أخرى غير القراءة فقد وجدت في الانضمام إلى جماعة المكتبة ضالتي بين النشاطات غير المنهجية. وفي أول يوم عمل لي مع هذه الجماعة وقعت عيناي على مجلة لم أرها من قبل، كان اسمها آنذاك «قافلة الزيت»، وبالنسبة لطفل في سنّي، بدت هذه المجلة مختلفة تماماً عما كنا نستغرق في قراءته من مجلات سوبرمان والرجل الوطواط وطرزان وما شابهها من مجلات كنا ننتظر صدور كل عددٍ جديدٍ منها بلهفة عند باب مكتبة العم سعيد باصريح في شارع الملك خالد بالخبر.

بدت «قافلة الزيت» غريبة لأننا لم نتعود رؤيتها على أرفف المكتبات التجارية، ومختلفة لأنها لم تكن تُصدِّر أغلفتها بما كان غيرها من المجلات يُصدِّر أغلفته به. وبالنسبة لي، وأظن أن الأمر يصدق على كثيرٍ من أبناء جيلي، كانت قراءة «قافلة الزيت» متعة غير عادية، لأنها كانت عبارة عن رحلة هادئة وجميلة في كل أو جُلّ ميادين المعرفة، أما الأسماء اللامعة التي كانت تكتب فيها فقد كانت مثار إعجابنا وكانت أيضاً سبباً من أسباب متابعتنا المنتظمة للمجلة.

صدرت «قافلة الزيت» قبل أول لقاء لي بها بحوالي خمسة عشر عاماً، واستمرت في الصدور بعد ذلك لما يقارب خمسة وثلاثين عاماً، واليوم وهي في الخمسين من عمرها ما تزال شابة فتية منطلقة في مسيرتها الثقافية. تغيرت المجلة فأصبح اسمها «القافلة» وتغيّرت الظروف المحيطة بها، فالساحة التي كانت تكاد تخلو من أي منافس أصبحت عامرةً بالمنافسين، والمجتمع الذي لم يكن يجد هذا النوع من الثقافة المتنوعة إلا في المطبوعات أصبح يجدها متاحة في أوعية معلوماتية كثيرة ومختلفة. وبحكمةِ من هم في الخمسين، وبحماس واندفاع الشباب، بدأت «القافلة» تدرس بعمق التغيرات التي أحاطت بها، وتعيد صياغة هويتها وخطة عملها لتحافظ على المكانة المتميزة التي حظيت بها على مر السنين في ميدان الثقافة، ولتواصل مسيرتها الثقافية الهادفة بنفس الزخم والحماس.

قبل خمسين عاماً، أصدرت شركتنا، أرامكو كما كانت تعرف آنذاك، مجلة «قافلة الزيت» تعبيراً عن إحساسها بمسؤولياتها المتعددة تجاه الوطن والمجتمع الذي تعمل فيه. وحرصت على أن تكون هذه المجلة ومحتوياتها مثالاً يعكس التميّز الذي عرفت به الشركة. واليوم، وبعد رحلة نصف قرن، تقف «القافلة» شاهداً على قيم المواطنة الحقّة والإحساس بالمسؤولية والسعي المستمر إلى التميز التي تؤمن بها أرامكو السعودية.

أيها القارئ العزيز، أكره كثيراً أن اختم كلامي بنغمةٍ حزينةٍ، ولكنني لا أجد بداً من ذلك، ففي هذا الشهر الذي نحتفل فيه معاً بإكمال «القافلة» خمسين عاماً من عمرها المديد، وبينما كان هذا العدد ماثلاً للطبع، فجعنا جميعاً بنبأ وفاة الأستاذ سيف الدين عاشور، رحمه الله، الذي كان من الرعيل الأول الذي أرسى قواعد «القافلة»، وعزز انطلاقتها، رحم الله من توفي ممن قادوا أو أسهموا في مسيرة هذه المجلة وأمد في عمر من متعنا ببقائهم معنا، وأعاننا جميعاً على مواصلة الرسالة الكريمة التي أرادتها هذه الشركة المتميّزة لهذه المطبوعة المتميّزة. إنه جل وعلا قريبٌ سميعٌ مجيب.

محمد عبدالحميد طحلاوي
مدير إدارة العلاقات العامة،
رئيس تحرير «القافلة»

القافلة

سِيري .. وكلُّ حقيقةٍ لكِ مَعبَرٌ
يفضي إلى حيثُ اليقينُ الأكبرُ
يا رحلةَ الهدفِ النبيلِ .. يقودُها
وهجُ الذينَ على الحروفِ تجمَّروا
ورقائها بيدِ الضميرِ وديعةٌ
كبرى يتيهُ بها الضميرُ ويفخرُ

خمسونَ عاماً.. لا الركائبُ أدلَّها
عثراتُ المسيرِ ولا المِدادُ تحيَّرا
تتمايلينَ على صَريرِ يراعةٍ
يهبُ الثقافةَ عودَها وازدهرا
وهباتُ وحيِكِ في الهوادجِ تزدهي
بأرقِّ ما نسجَ الخيالُ الأخضرُ

وحُطامُكِ تفترعُ العقولُ منابعاً
ملءَ البصيرةِ بالرُّهى تتفجَّرُ
ومن الخلافِ إلى الغلافِ مسيرةٌ
خضراءُ بالوطنِ المقدسِ تزهرُ
فكأنَّما من رَفَّتيكِ خُدودُهُ
تمتدُّ في أفقِ الحياةِ وتكبرُ

خمسونَ فضاءٌ ما زالَ خيرُها
ملءَ الذُّرا والعلياءِ يباصقُكِ تهدرُ
شدَّتْ أعِنَّتَها يداكِ فماكَبا
قلمٌ يَضيءُ على خطاةِ الأسطُرُ
في غارةٍ عبرَ المجاهلِ لم تزلْ
تصطادُ أسرارَ العلومِ وتأسِرُ

سلمتْ يداكِ .. فللكتابةِ قوسُها
وسِهامُها ويدٌ تشدُّ وتوترُ
وظماءُ أفكارٍ يكادُ قطيعُها
مما تخاتلُهُ المحابرُ ينفرُ
بِشتا نُطاردُهُ بهاديةِ الرُّؤى
والحبرُ يصهلُ والقريحةُ تزأرُ
سَعْيٌ يُحاكِمُنا النضالَ، وأنتِا
أُسَرِي.. بحجمِ بياضِنا نتحررُ

خمسونَ سنبلةٌ تَرِفُّ على فمِ الذكرى
فيضحكُ في شفاهِكِ بيدرٌ
وتديرُ ساقيةُ الحنينِ وها أنا
والذكرياتُ على صداها سُمَّرُ
أنحو تعابيَ حيثُ أكتبُ يقظتي
والأحرفُ من حولي يوحيكِ مُعْصِرُ

نبتتْ على أهدابِ قلبيَ رقصةٌ
في ظلِّها كلُّ المباهجِ تُحشَرُ
حسبُ البيانِ إذا انتميتُ لأهلِهِ
شرفاً أُقِرُّ في يمينِكِ خُنصُرُ
فلطالما سافرتِ فيكِ قصيدةٌ
نشوى بعنقودِ التأملِ تُسكَرُ

وزرعتُ رأيي في سطوركِ بذرةً
فإذا اختلافاً فكرةٌ تتجذَّرُ
وبقتْ رؤايَ فما اشرأبَّتْ شعرةٌ
إلا بحقلِ مواهبٍ تتشجَّرُ
فإذا يراعي في ظلالكِ غابةٌ
كبرى بأنجادِ الحقائقِ تثمِرُ

جاسم الصحيح

◄ جاسم محمد الصحيح
شاعر سعودي مرموق من اهل الأحساء، له دواوين عديدة. فاز بعدد من جوائز الشعر، من بينها جائزة البابطين وجائزة المفتاحة.

قصة مولد «القافلة»

بقلم: علي محمد أحمد بابا
وليد يوسف الهلال

ذات يوم من أيام شهر مارس عام ١٩٥١م، اجتمع ثلاثة مترجمين في أحد مكاتب أرامكو، وقرروا رفع اقتراح يقضي بإصدار نشرة عربية على غرار النشرة الإنجليزية التي كانت تصدرها الشركة آنذاك تحت اسم «الشمس والوهج». فكان هذا الاقتراح الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل للوصول إلى إصدار العدد الأول من «قافلة الزيت».

استغرقت هذه الرحلة عامين ونصف العام تماماً، وشكلت حكاية مثيرة بحد ذاتها، تستحق أن تُروى لما تضمنته فصولها من تعب، وتخطيط، وحنر، وإقدام، وإصرار ومفاجآت.

والواقع أن هؤلاء المترجمين الثلاثة لم يكونوا أول من فكر في هذا المشروع، فقد شعرت الشركة قبل ذلك بأن لإصدار نشرة دورية باللغة العربية فوائد عديدة، منها أن هذه النشرة ستقوي الصلات ما بين الموظفين السعوديين أنفسهم من جهة، وما بين الشركة ومحيطها الاجتماعي من جهة أخرى، كما أنها قد تكون وسيلة تثقيف وتوعية عامة يحتاجها الموظفون، ويمكن للشركة أن تنقل إليهم من خلالها صورة أوضح عن نشاطاتها وعن صناعة الزيت .. ولذا، تقدمت بطلب إلى الحكومة لإصدار نشرة باللغة العربية تحت اسم «الشمس العربية». خاصة وأن الحكومة كانت عند موافقتها على إصدار «الشمس والوهج» قبل عام، قد اشترطت على الشركة أن تعمل على إصدار نشرة عربية.

ولأكثر من سبب، لم يبصر المشروع النور آنذاك، حتى كاد أن يدخل طي النسيان إلى أن جاء هؤلاء المترجمون الثلاثة بعد عامين ليضعوا المشروع على محك فعلي، وتبنىّ قسم العلاقات العامة هذا الاقتراح وبدأ يعد العدة لإصدار عدد تجريبي.

خطاب الشركة لصاحب السمو الملكي الأمير (الملك) فيصل بن عبدالعزيز، رحمه الله، والذي تضمّن طلبها إصدار نشرة أسبوعية (١٨ جمادى الأولى ١٣٧١هـ)

بداية البحث عن المتاعب

صدر العدد التجريبي بالفعل بعد تسعة أشهر (في ١٩ ديسمبر ١٩٥١م) تحت اسم «الأحداث». وطبعت منه ثلاث نسخ على الآلة الكاتبة، أرسلت واحدة منها إلى توماس بارقر مدير قسم العلاقات العامة، وأخرى إلى هـ. و. طومسون في مكتب أرامكو في نيويورك مرفقة برسالة من هومر متز، ممثل الشركة المحلي، تلقي بعض الأضواء على شخصية المشروع، حيث يقول فيها: «إن هذه النشرة ستصدر يوم الأحد، كل أسبوعين، وستغطي موضوعات ذات اهتمامات محلية وتشارك فيها أرامكو، وأن المسودة ستصدر أولاً باللغة الإنجليزية ثم تترجم إلى العربية، مع التركيز على الصور».

وهناك، في مكتب الشركة بنيويورك كلّف الأستاذ فؤاد صرّاف، أحد موظفي المكتب، بمراجعة العدد التجريبي، وأبدى ارتياحه لمحتوى النشرة واسمها، لأن «الأحداث» حسب تفسيره، جمع حدث، والحدث هو الشاب أو الرجل صغير السن، أو الأمر الجلل، ولكليهما دلالة مستحسنة. ويبدو أن صرّاف كان متحمساً للمشروع إذ اقترح زيادة حجم النشرة بحيث تكون من أربع صفحات بدلاً من صفحة واحدة، أو أن تصدر في صفحتين كل أسبوع.

بعد صدور هذا العدد التجريبي بشهر، أرسلت الشركة كتاباً إلى الأمير عبدالمحسن بن جلوي تطلب فيه السماح للشركة بإصدار نشرة تصدر كل أسبوعين وتحمل اسم «الأحداث». وجاء في الكتاب المشار إليه: «أن النشرة ستصدر، مدعمة بالصور، في الظهران، وستخصص لموظفي أرامكو في منطقة الأحساء ولمن يرغب في التعرف على أعمال الشركة، وستغطي النشرة الأخبار المتعلقة بالأنشطة البارزة التي تشارك فيها الشركة وإنجازات الحكومة السعودية التي تدخل فيها الشركة طرفاً، كما ستنقل الإرشادات التي تصدرها أرامكو للموظفين من وقت إلى آخر، بالإضافة إلى موضوعات عامة عن صناعة الزيت».

وفي ١٣ فبراير ١٩٥٢م، وجّه بارقر كتاباً إلى قاري أون مندوب أرامكو لدى حكومة المملكة العربية السعودية يتضمن طلباً للحصول على الترخيص اللازم لإصدار نشرة باسم «الأحداث». وأكد بارقر في كتابه استعداد العلاقات العامة لإصدار النشرة فوراً، خاصة وأنه تلقى معلومات أولية من الإمارة، ومن مكتب الشيخ عبدالله بن عدوان، وكيل وزارة المالية المساعد في الدمام، تفيد بأن النشرة ستجد منهم كل ترحيب. واقترح بارقر، الذي يبدو أنه كان أكثر حذراً من صرّاف، أن تبدأ النشرة بصفحة واحدة تحوي أخباراً وصوراً، على أن يُنظر في المستقبل في أمر زيادة الصفحات بقدر ما تسمح به الأحوال.

وفي اليوم التالي، رفعت أرامكو كتاباً إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رئيس مجلس الوكلاء آنذاك، للتكرم بمنحها إذناً بإصدار «الأحداث» على أساس أسبوعي. ومما جاء في الكتاب: «أن النشرة ستصدر تحت إشراف هومر متز، وأن رئاسة التحرير ستوكل إلى الأستاذ سامي قبيسي، وستتضمن أخباراً ذات أهمية عامة كالمقالات المصورة المتعلقة بالمناسبات الرسمية وأحداثاً ذات أهمية خاصة وأخباراً عن مختلف نواحي نشاط الموظفين، وإعلانات الشركة، وإشعارات عن معلومات تود الشركة إطلاع موظفيها عليها، وسيُدعى الموظفون إلى المساهمة في تقديم المقالات وغيرها من مقتطفات الأدب، وستعد النشرة وتطبع على الآلة الكاتبة ثم يجري نسخها بأجهزة النسخ».

- أن تحتوي النشرة على استطلاعات مصورة حول موضوعات محلية.

- أن تستقي النشرة أخبار العالم من الصحف العربية والمذياع مع تحديد الجهة صاحبة الخبر.

- أن تستقي النشرة أخبار المملكة العربية السعودية من المذياع والصحف التي تصدر في مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض.

- نشر إرشادات الشركة ليطلع عليها الموظفون.

طلب وزارة المالية من الشركة تزويدها بثلاث نسخ من نشرة الأحداث بعد طباعتها (١٣٧١/١٠/٢٨هـ)

- تخصيص عمود عن الأنشطة الرياضية لموظفي الشركة العرب.

- تخصيص عمود عن السلامة.

- تخصيص عمود عن الصحة.

- تخصيص عمود عن أخبار الموظفين في الظهران ورأس تنورة وبقيق.

- تخصيص عمود عن تاريخ المملكة.

- نشر القصص القصيرة ومقتطفات من الشعر العربي الكلاسيكي.

وبحث المجتمعون، كما جاء في المذكرة، احتياجات النشر، ومنها تعيين طابع على الآلة الكاتبة العربية ومترجم ومراسلين في المناطق. كما حددت خطة التوزيع بصفة مبدئية بـ ١٠٠ نسخة للظهران و ٨٠٠ لرأس تنورة ومثلها لبقيق، وأن يتم التوزيع على الإدارات استناداً إلى عدد الذين يجيدون القراءة في كل إدارة. وتضيف المذكرة بأن إصدار النشرة سيسد فراغاً كبيراً في منطقة الأحساء، وأن الجميع يترقبها بشغف.

وفي وقت لاحق أصدرت الشركة بياناً حول الخطة العامة للنشرة جاء فيه:

- أن هذه النشرة مطبوعة أسبوعية وليست صحيفة، تصدرها أرامكو بموجب الموافقة السامية رقم ٤٥١١. في ١٤ شوال ١٣٧١هـ.

- القصد منها تزويد موظفي الشركة بمعلومات عن أنشطة الشركة وموظفيها فقط.

- سيكون العدد الأول متواضعاً، ولكنه يمثل خطوة نحو عمل متكامل.

- أن الإدارة تشعر، بالرغم من أن أرامكو شركة أميركية، بانتمائها إلى المواطنة السعودية، وأنها تفخر بارتباطها بالمواطنين السعوديين، وترغب دوماً في مدّ جسور من الصداقة والوفاق مع المجتمع.

- أن توزيع النشرة لن يقتصر على موظفي أرامكو فقط، بل سيشمل أيضاً المسؤولين الحكوميين ورجال الأعمال الذين لهم اهتمامات بأعمال أرامكو.

موافقة جلالة الملك عبدالعزيز على الصدور

بعد هذا التسارع في مسيرة الإجراءات القانونية لإصدار النشرة، حصل بعض التباطؤ، بدليل أن بالمر، من مقر الشركة في الظهران وجّه في ١٠ مايو ١٩٥٢م رسالة إلى مستشار الشركة في محطة جدة ر. م. هنري، يسأله فيها عما آل إليه الطلب الذي تقدمت به الشركة إلى الحكومة. ويشير بالمر في رسالته إلى أن المواطنين والمقاولين والموظفين يُقبلون على قراءة «الشمس والوهج» الإنجليزية لاحتوائها على صور ومواضيع عامة تهم الناس، ولعدم وجود نشرة عربية في المقام الأول. وأفاد أيضا بأن أحد الموظفين أبلغه بأن طلب الشركة حُوِّل إلى وزارة الخارجية، ويرجو منه المتابعة.

وبعد إلحاح الشركة لمعرفة مصير الطلب الذي تقدمت به، وافاها الشيخ عبدالله بن عدوان برسالة تفيد بموافقة جلالة الملك عبدالعزيز، رحمه الله، في ١٩ يونيو ١٩٥٢م على إصدار النشرة، شرط تقيدها بقوانين الطباعة والنشر، وأن ترسل الشركة ثلاث نسخ من كل عدد جديد إلى كل من إمارة الظهران ووزارة الداخلية بمكة المكرمة ووزارة الخارجية في جدة وديوان جلالة الملك في الرياض. وفي ٣١ يوليو ١٩٥٢م، تسلمت الشركة كتاباً من وكيل وزارة المالية المساعد، نجيب صالحة، يبين فيه أن قلم المطبوعات في وزارة الخارجية يستوفي لمرة واحدة رسوماً قدرها ٤٠٠ قرش سعودي مقابل إصدار الترخيص للنشرة.

مزيز ضياء، وحسين خزندار مرشحان لرئاسة التحرير

ما إن تسلمت الشركة نبأ الموافقة على إصدار النشرة، حتى أدارت عجلة المشروع وبأقصى سرعة ممكنة. وشهد شهر أغسطس من العام ١٩٥٢م تركيز العمل على مسألتين أساسيتين: الأولى تكمن في اختيار رئيس تحرير للنشرة، والثانية تتعلق ببلورة الصيغة النهائية لشخصيتها من خلال جمع كل الأفكار والمشروعات السابقة وحصرها.

ففي مجال البحث عن رئيس تحرير، أفاد رئيس العلاقات العامة و. جاك باتلر في إحدى مذكراته الداخلية أنه كان قد اجتمع خلال زيارته إلى بيروت بكل من طومسون وهومر، وأنهم اتفقوا على أن يكون رئيس تحرير النشرة المقترحة سعودي الجنسية ولديه خبرة في هذا المجال، وأن يكون كاتباً معروفاً في المملكة العربية السعودية، وأن تكون لديه معرفة جيدة باللغة الإنجليزية ومشهوداً له بالنزاهة، وأن يوافق على العمل تحت إشراف الإدارة.

عزيز ضياء وحسين خزندار رشحا لرئاسة تحرير النشرة الجديدة، لفوز الأول بجائزة ثقافية هندية، وباعتبار الثاني موظفاً سابقاً لدى أرامكو.

ويضيف باتلر في مذكرته بأنه «يوجد شخصان يحملان هذه المواصفات، هما عزيز ضياء من مكة وحسين خزندار، اشترك الأول في مسابقة ثقافية نظمتها الحكومة الهندية وفاز فيها على أدباء مشاهير من لبنان ومصر، أما الثاني فكان موظفاً سابقاً لدى أرامكو ومساعداً لرئيس تحرير جريدة «البلاد» السعودية. وطالما أن مؤهلات الرجلين في كفة واحدة، ويتوقف الأمر على الاختيار، فإننا نرجح كفة خزندار لكونه موظفاً سابقاً في الشركة».

شخصية النشرة واهتماماتها

أما على صعيد تحديد شخصية النشرة وميثاقها – إذا جاز التعبير – فقد عقدت لجنة إدارة الحقول اجتماعاً في ٥ أغسطس ١٩٥٢م، جرى فيه نقاش مستفيض لخطة إصدار «الأحداث» وتحديد القسم الذي يُوكل إليه إصدارها. وتوضح إحدى المذكرات الداخلية أنه تم تقديم اقتراح يقضي بأن تكون مسؤولية الإصدار مشتركة بين كل من قسم العلاقات العامة وإدارة العلاقات الصناعية وإدارة العلاقات الحكومية. وقد توصل المجتمعون إلى التوصيات الآتية:

– أن تطبع النشرة مرة واحدة في الأسبوع وفق الطلب الذي تقدمت به الشركة إلى الحكومة.

– أن تتكون النشرة من صفحتين على الأقل.

الرسالة التي صارت وثيقة تاريخية

وإلى فترة التحضيرات تلك تعود واحدة من أهم الوثائق المتعلقة بمشروع إصدار هذه النشرة، ليس فقط على صعيد الجدية التي اتسم بها تعامل أرامكو مع المشروع، بل أيضاً على صعيد المناخ التاريخي الذي أحاط بولادة «قافلة الزيت».

فقد أرسل باتلر في ٢١ فبراير ١٩٥٣م (٧ جمادى الآخرة ١٣٧٢هـ) كتاباً إلى هاردي يشرح فيه توصياته بشأن إصدار «الحوادث». ويذكر أنها مستخلصة من نقاشه حول هذا الموضوع مع الشيخ عبدالله بلخير، سكرتير ولي العهد، وحاتم زعبي، رئيس مراقبي المطبوعات وصالح الصويغ وآخرين.

تمهيداً لإصدارها جرت نقاشات عديدة لتحديد وظيفتها، وكان أبرز ما اتفق عليه أن تدعم بالصور وتغطي الأنشطة البارزة التي تشارك فيها الشركة وتنقل الإرشادات إلى موظفيها.

ومما جاء في كتاب باتلر قوله: «إن إصدار المطبوعة سيساعد الشركة على بناء قناة اتصال بينها وبين الموظفين ورجال الأعمال ورجال الدولة وقطاع من رجال الصحافة، علاوة على أنها ستكون وسيلة تعريف بصناعة الزيت، وستشجع السعوديين على الاطلاع باللغة العربية». واقترح أن تتكون النشرة من أربع صفحات، وأن يبذل في إخراج العدد الأول منها جهد كبير كي تعطي القارئ انطباعاً جيداً من أول وهلة.

ويمضي باتلر في مذكرته مقترحاً أن تطبع في البداية ٢٧٠٠ نسخة، يوزع منها ٢٢٠٠ نسخة في مراكز الترفيه الثلاثة، في الظهران وبقيق ورأس تنورة، و٥٠٠ نسخة للموظفين عن طريق العلاقات الحكومية الصناعية، وألا تفرض المطبوعة على القراء، بل على النقيض من ذلك يشجع القارئ على بذل جهد للحصول عليها. ويدرج باتلر قائمة من الموضوعات التي يجب أن تتضمنها النشرة ومنها أخبار الرياضة، وجداول الحافلات، ومعلومات عن صناعة الزيت، وإنجازات الشركة، وافتتاح مباني مراكز الترفيه وغيرها من الموضوعات التي سبق ذكرها.

ومماجاء في هذه الرسالة أيضاً قوله: «وقفت في السابق أمام إصدار «الحوادث» عقبات ومشكلات إلا أن لا شيء مستحيل البتة، لأن العلاقات العامة درجت، وبموافقة السلطات، على توزيع ملصقات مصورة تحتوي على أخبار الشركة، وأن التحدي الذي يقف أمام هيئة التحرير يمكن التغلب عليه. ولكن لو وجد من السعوديين من يستطيع الإشراف على جميع مراحل العمل لتوفرت فرصة طيبة لنجاح إصدار النشرة، إلا أن هذا يبدو مستحيلاً، على الأقل في الوقت الحالي». ولهذا السبب يقترح باتلر تعيين أمريكي مديراً للتحرير ليقوم بتنسيق المواد ويعمل بشكل مباشر مع الإدارة المحلية ويعين أحد الموظفين السعوديين مستشاراً للتحرير ومصححاً للغة العربية، وآخر عربي يعمل في جمع المواد من بقيق ورأس تنورة وإعداد الترجمة والإشراف على التوزيع.

ومن الوثائق التاريخية البارزة الأخرى، هناك مجموعة من الملاحظات التي أعدتها إدارة العلاقات الحكومية في ١٠ مارس ١٩٥٣م بتوجيه من بارقر، وجاء فيها أنه من الضروري التذكير بأن مدار المناقشة مع الحكومة كان على أساس أن الصحيفة ستكون موجهة للموظفين السعوديين فقط، وعلى هذا الأساس كانت موافقة الحكومة على الطلب، وبما أن أرامكو توظف نسبة كبيرة من سكان المنطقة الشرقية والمناطق الأخرى، فمن الضروري جداً أن يتقلد مسؤولية التحرير موظفون سعوديون لأنهم أدرى من غيرهم بالتعامل مع مواطنيهم.

وشدد بارقر في ملاحظاته بأنه طالما أن المجلة المرتقبة تخاطب القراء العرب، فيجب أن تكون أصول الموضوعات التي تصدر في المجلة باللغة العربية وليست مترجمة عن اللغة الإنجليزية، ما عدا تلك التي تحمل طابعاً فنياً، حتى لا ينصرف عنها القراء. ويضرب مثلاً طريفاً عن الأعمال المترجمة التي لا تحظى بقراءة واسعة كما حدث لرواية «ألف ليلة وليلة» بعد ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية.

وتتطرق مجموعة الملاحظات هذه إلى نقطتين كانتا بمثابة الجمر تحت الرماد لم ينتبه إلى خطورتهما أحد. النقطة الأولى هي أن الطلب الذي تقدمت به

اسمها ينقلب إلى مشكلة

وفيما كان العمل قائماً على قدم وساق لإصدار العدد التجريبي الثاني، وكان ذلك في شهر أغسطس نفسه، تلقت الشركة كتاباً من عبدالله ابن عبدالرحمن الملحوق الذي كان يعمل مديراً لمكتب صندوق تعويضات عمال المقاولين يقترح فيه تغيير اسم «الأحداث» إلى «الحوادث» أو «الوقائع»، وكان تبريره في ذلك أن الأحداث جمع حدث والحدث له معانٍ كثيرة ودلالات غير لطيفة، منها أن الحدث هو الشاب أو صغير السن وجمعه أحداث، وعلى غراره توجد كلية الأحداث في المجر ومدرسة الأحداث في القاهرة ومعهد الأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية وسجن الأحداث في العراق. ومن هذه المعاني أيضاً النجاسة، وهو نوعان حدث أكبر وحدث أصغر. والحدث، المصيبة، أو الأمر الجلل الفادح الجاري على غير السنن، ويجمع على أحداث، وأحداث الدهر هي مصائبه ونوازله وفوادحه.

ويبدو أن اقتراح الملحوق بتغيير الاسم قد وجد صداه لدى الإدارة فاستصوبت «الحوادث» على «الوقائع». وهكذا، عندما صدر العدد التجريبي الثاني بعد أيام جاء تحت اسم «الحوادث».

ومن الوثائق العائدة إلى تلك الفترة والتي تؤكد أن هذه النشرة حملت بالفعل اسم «الحوادث»، العدد التجريبي الذي صدر في الشهر نفسه. وهناك أيضاً الكتاب الذي أرسله ممثل الشركة في جدة، ج. في. نايت إلى نجيب صالحة يعبر فيه عن شكر الشركة لموافقة الملك على إصدار النشرة الأسبوعية: «الحوادث»، وأرفق الكتاب بمبلغ ٤٠٠ قرش سعودي مقابل رسم إصدار النشرة.

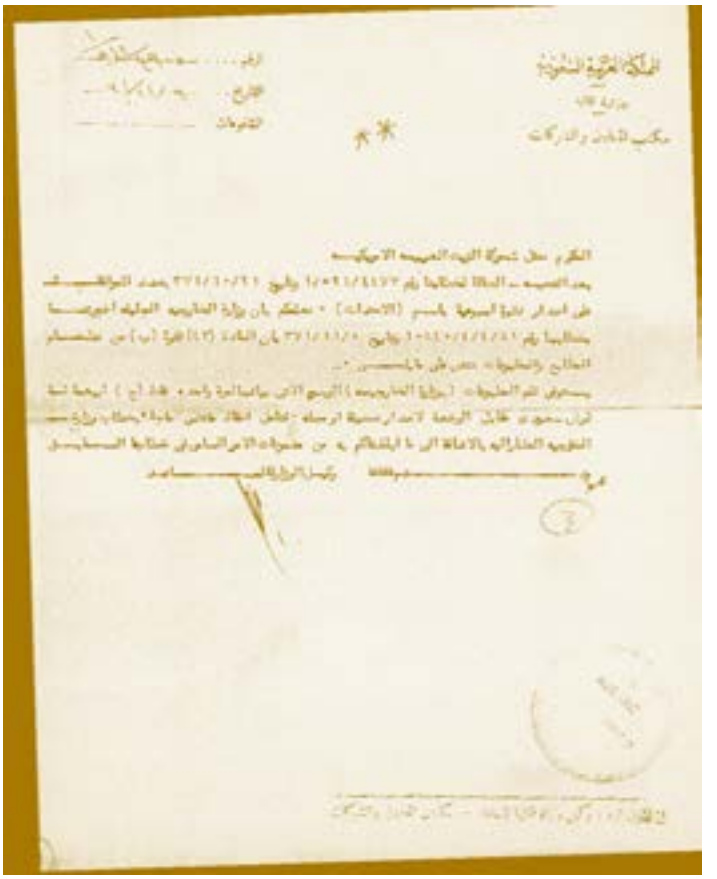

طلب تحصيل (٤٠٠) قرش سعودي مقابل الرخصة لإصدار نشرة «الأحداث» (١٣٧١/١١/٩هـ)

وهكذا فقد غرق قسم العلاقات العامة لعدة أشهر في التحضيرات اللازمة لإصدار العدد الأول بعد إصدار عددين تجريبيين، وحلّ بعض الإشكالات التي كانت موضع جدل، ومنها على سبيل المثال تحديد الجهة التي ستكلّف بإصدار النشرة، حيث أشارت مذكرة اجتماع عقد في ٦ أكتوبر ١٩٥٢م أنه كان هناك خلاف على الموضوع، إذ رأى البعض أن النشرة يجب أن تخاطب في الأساس موظفي العلاقات الصناعية، في حين أن البعض الآخر كان له رأي مخالف مفاده أن النشرة يجب أن ينظر إليها ككيان جامع، وأن تحمل ملامح العلاقات العامة، ويبدو أن الكفة رجحت لصالح العلاقات العامة لتقوم بهذه المهمة.

كما تقترح المذكرة تعيين موظف للقيام بمهمة فني معمل ومصور لمقابلة الحاجة الزائدة إلى الصور، وتعيين موظف للقيام بمهمة التوزيع. أما باقي المهام، بما فيها مهام المراسلين من مختلف المناطق، فسيضطلع بها موظفو العلاقات العامة ريثما يتم تعيين الكادر المؤهل. وتتطلع المذكرة إلى أن تكون المجلة في مستوى مثيلاتها من المجلات العربية التي تصدر في منطقة الشرق الأوسط.

بعد ذلك بنحو أسبوعين طلب مدير تنسيق إدارة الشركة ت. في. ستابلتون من رئيس الشركة آنذاك، ر. ل. كيز الموافقة على السياسة المقترحة للمطبوعة العربية، وتمت الموافقة على أن تصدر المجلة، باللونين الأبيض والأسود وبغلاف ملون، شهرياً للعامين ١٩٥٣ و١٩٥٤م، توزع منها ١٠،٠٠٠ نسخة مبدئياً ثم تزاد إلى ٢٠،٠٠٠ نسخة.

بيان النشرة الأول: العدد الأول سيكون متواضعاً ولن يتطرق إلى ما يدور في العالم من أحداث، وتوزيعه لن يقتصر على موظفي الشركة.

وتبين للشركة في الأيام القليلة التالية أنها لن تتمكن من إصدار العدد الأول في الموعد المرتقب في أول شهر محرم، لأسباب تقنية تتعلق بالطباعة، فقررت تأجيله شهراً. ورفعت في ذلك الحين كتاباً إلى صاحب السمو الملكي الأمير (الملك) فيصل بن عبدالعزيز، رئيس مجلس الوكلاء آنذاك أشارت فيه إلى التعديل الذي طرأ على اسم النشرة وتغييره من «الأحداث» إلى «قافلة الزيت»، وإلى أن المجلة المرتقبة ستصدر شهرياً بدلاً من أن تصدر أسبوعياً، وأنه تم تعيين الأستاذ حافظ البارودي رئيساً لتحرير المجلة.

وصدر العدد الأول في شهر صفر ١٣٧٣هـ (أكتوبر ١٩٥٣م)، غير أنه و «لأسباب خارجة عن إرادة الشركة» تم تعليق توزيعه داخل الشركة على الموظفين والمواطنين، حتى ٢٦ أكتوبر حين أرسلت العلاقات العامة كتاباً إلى مكتب الشركة في جدة مرفقاً به ٢٥ نسخة من العدد الأول لـ «قافلة الزيت» لتوزيعها، بالإضافة إلى ثلاث نسخ لكل من وزارة الداخلية في مكة، ووزارة الخارجية في جدة، ومكتب مجلس الوكالة، ووزارة المالية. كما أرسلت أرامكو في ٢ نوفمبر ثلاث نسخ من العدد إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل، نائب جلالة الملك.

ظلت المجلة متقيدة تماماً بالخطوط العريضة التي وضعتها إزاء السياسة التي يجب أن تسير عليها. وكانت حريصة غاية الحرص على ألا تخل بشروط الطبع والنشر التي التزمت بها منذ تسلمها الموافقة السامية على إصدار المطبوعة.

«قافلة الزيت» تتعرض للتعطيل

في ٢٨ يونيو ١٩٥٥م تلقت «قافلة الزيت» كتاباً من المديرية العامة لشؤون الزيت والمعادن بتعطيل المجلة للأسباب الآتية:

١- استبدلت الشركة اسم «الأحداث» باسم «قافلة الزيت» قبل أن تتلقى الرد من الحكومة بالسماح لها بذلك.

٢- صدرت أعداد عدة من المجلة برأس تحريرها حافظ البارودي قبل أن تجيب الشركة عن استفسار الحكومة حول مؤهلات المذكور.

٣- إن الشركة اعتبرت شكيب الأموي رئيساً لتحرير مجلة «قافلة الزيت» وباشر عمله على هذا الأساس قبل أن تتلقى الإذن من الحكومة بذلك.

٤- أغفلت الشركة الرد بخصوص المجلة على لجنة مراقبة المطبوعات بالظهران، وعما إذا كانت ترسل النسخ المقررة إلى الدوائر ذات الاختصاص.

على إثر ذلك بدأت المساعي على أعلى المستويات لمعالجة هذه المشكلة. ومن الوثائق التي وصلتنا حول تلك المساعي ما يفيد أن رئيس التحرير الجديد الأستاذ شكيب الأموي قام برفقة ماندس من مكتب الشركة في الظهران بزيارة الأمير سعود بن جلوي في ١٩ يوليو ١٩٥٥م، ونقلا إليه أن جلالة الملك أبلغهما بأنه لا يعترض على استئناف صدور المجلة إذا لم يكن للأمير ابن جلوي اعتراض على ذلك. فأوضح لهما الأمير أنه لم يعترض أبداً على إصدار

الشركة إلى الحكومة لإصدار النشرة كان على أساس أن اسمها هو «الأحداث» وليس «الحوادث». والنقطة الثانية هي أن الفقرة الرابعة من الطلب تقول إن رئيس التحرير هو سامي القبيسي، وكلا النقطتين لم يعمل بهما. ويستفسر بارقر عن مشروعية إصدار المطبوعة بالاسم الجديد قبل الحصول على الموافقة من السلطات، ويقترح استشارة الإدارة القانونية في هذا الشان.

«قافلة الزيت» مشية الصدور

دخلت الاستعدادات لإصدار النشرة مرحلة المخاض في صيف ١٩٥٣م. وتسارعت التطورات والمستجدات التي دخلت على المشروع. وفي الثاني من أغسطس ١٩٥٣م أصدرت العلاقات العامة مذكرة حول النشرة المرتقبة حفلت بالمفاجآت.

فقد جاء في هذه المذكرة: «إن المطبوعة المرتقبة ستعرف باسم «قافلة الزيت» الذي لاقى استحسان قسم الأبحاث العربية واللغوية في مركز التدريب». وبينت الغرض من إصدار المطبوعة، وأن الإدارة ستضطلع بالإشراف على إعدادها وطباعتها. وتضيف بأنه تم تكوين لجنة للتحرير تتكون من عضو من كل من إدارات العلاقات العامة والعلاقات الصناعية والعلاقات الحكومية، وتختص بكل ما يتعلق بمحتويات المجلة وشكلها وتوزيعها. ويضطلع عضو العلاقات العامة بتنسيق أنشطة اللجنة، ويكون مسؤولاً عن جدولة الاجتماعات وتوثيق المحاضر وتنفيذ القرارات التي توصلت إليها. وتكشف المذكرة، كذلك، بأنه سيتم تعيين موظف من إدارة العلاقات العامة سكرتيراً للجنة التحرير ليشرف بتوجيه من اللجنة، على إعداد المواد للطباعة، ومتابعة إجراءات التخليص لدى الدوائر الحكومية، كما يقوم بتنسيق المطبوعة وتوزيعها.

وجاء في المذكرة كذلك، أنه سيتم تعيين موظف سعودي لرئاسة التحرير تحت إشراف السكرتير، وتوكل إليه مهمة إعداد المواد والتعليق على الصور وتدقيق اللغة العربية، وإبداء آرائه حول الشكل العام للمجلة، وأنه لن يطلب منه نشر أي موضوع قد يعرضه هو شخصياً أو أي عضو من أعضاء اللجنة للإحراج. كما جاء أن المجلة ستصدر على أساس شهري في البداية، اعتباراً من ١٠ سبتمبر ١٩٥٣م لمدة ستة أشهر، ثم تصدر كل أسبوعين ابتداء من ٦ مارس ١٩٥٤م، وأنها لن تتطرق إلى أي شيء يتعارض مع التقاليد السعودية، وستُنسخ أعداد منها بالوسائل المتاحة، وتوكل مهمة الطبع إلى مؤسسة سعودية لاحقاً إذا رأت الشركة جدوى هذه الخطوة.

وأضافت المذكرة أن إدارة العلاقات العامة ستوكل إلى مؤسسة «جراهام أسوشيتس»، في بيروت، الجانب الفني لتكون هذه المؤسسة حلقة وصل بين العلاقات العامة والشركة الطابعة التي اقترح أن تكون مطبعة في بيروت.

إخطار صاحب السمو الملكي الأمير (الملك) فيصل ابن عبدالعزيز آل سعود بتغيير اسم النشرة من «الأحداث» إلى «قافلة الزيت»، وأنها ستصدر شهرياً بدلاً من أسبوعياً، وأن رئيس تحريرها هو الأستاذ حافظ البارودي (١٣٧٢/١٢/٢٨هـ)

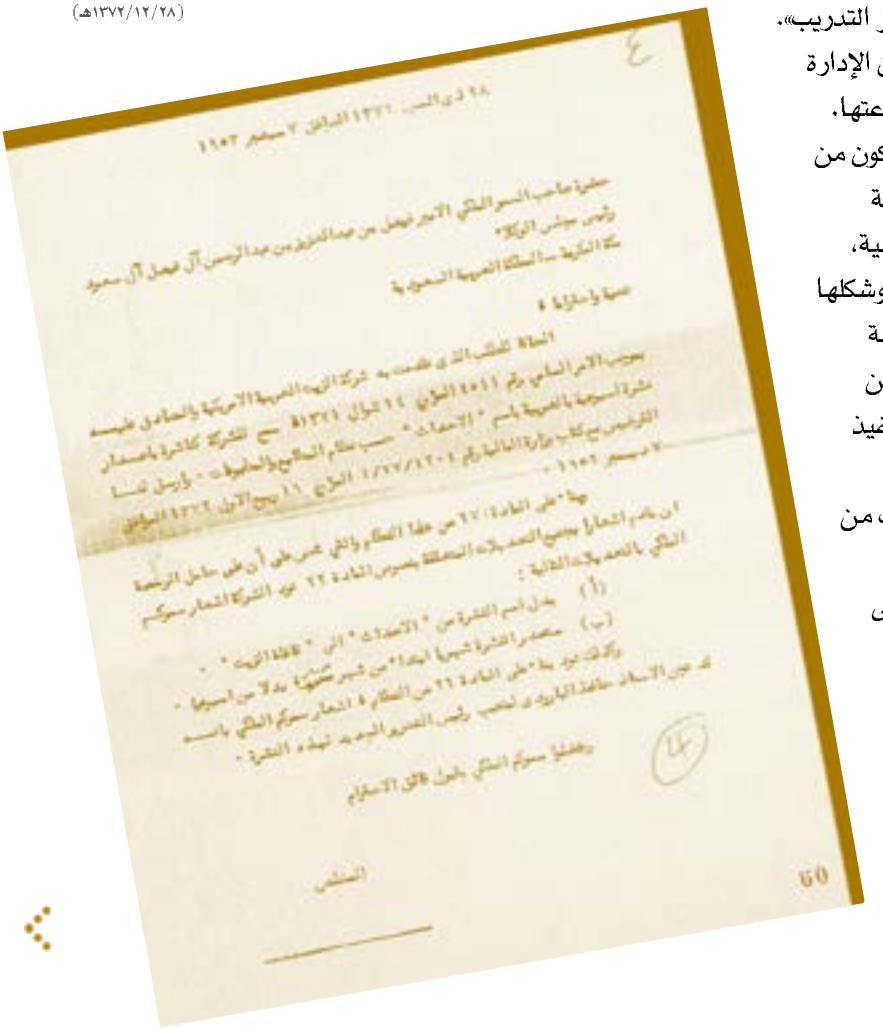

أردلا. وفي ٢٨ سبتمبر ١٩٦٩م عُين مصطفى حسن الخان مديراً عاماً لمجلة «قافلة الزيت» الشهرية، وعلي حسن قناديلي مديراً مسؤولاً لنشرة «قافلة الزيت» الأسبوعية. استمر قناديلي في هذا المنصب حتى ٢٩ مارس ١٩٧٢م حين خلفه عبدالله صالح جمعة ليصبح رئيساً عاماً لقسم النشر، ليتولى تبعاً لذلك مهمة المدير المسؤول لمجلة «قافلة الزيت» الشهرية ونشرة «قافلة الزيت» الأسبوعية.

وبعد أن أضحت «قافلة الزيت» مجلة ثقافية معتبرة ومعروفة في العالم العربي يكتب فيها مشاهير الفكر والادب والثقافة ولا تقتصر موضوعاتها على صناعة الزيت، تنامى عدد قرائها بصورة مضطردة، وانعكس ذلك على الرسائل التي كانت ترد إلى بريد المجلة بأعداد كبيرة في كل يوم، تطلب الاشتراك في المجلة، فرأت إدارة الشؤون العامة أن الوقت أصبح مناسباً لتغيير اسم «قافلة الزيت» إلى اسم آخر يتماشى مع التطور التقني والثقافي في الشركة بصفة خاصة، والمملكة بصفة عامة فكان هناك إجماع على إطلاق اسم «القافلة» على المجلة اعتباراً من عدد شعبان ١٤٠٣هـ (مايو - يونيو ١٩٨٣م)، وجاء في افتتاحية «القافلة» بهذه المناسبة:

«بصدور هذا العدد تكون «قافلة الزيت» قد أمضت من عمرها المديد ثلاثين عاماً ونيفاً، وهي تصدر اليوم باسم جديد هو «القافلة». وهذا التغيير البسيط في الاسم لا يغير نهجها وأسلوبها ومنحاها وأهدافها التي سارت عليها منذ صدور أول عدد لها حتى اليوم».

وما تزال «القافلة» تتحرك بتؤدة وصبر على مدارج السنين وها هي تلج عتبة الخمسين سنة الثانية من عمرها المديد، بإذن الله.

علي محمد أحمد بابا

عمل في قسم الترجمة في دائرة شؤون أرامكو السعودية، ثم انضم إلى هيئة تحرير «القافلة الأسبوعية». وفي فترة التخطيط لإصدار العدد الخاص تصدى لكتابة موضوع مولد «القافلة». ونجح، بناء على تجربته السابقة في شؤون أرامكو السعودية، في استكشاف العديد من الوثائق المهمة ذات العلاقة بهذا الموضوع.

وليد يوسف الهلال

عمل بعد تخرجه مباشرة في عام ١٩٩١م في إدارة خدمات شؤون أرامكو السعودية. وعمل في وحدة النشر العربي ابتداء من عام ٢٠٠٠م، في جهاز تحرير «القافلة الأسبوعية». ناشط في مجال التغطيات الصحفية والاستطلاعات، وقد اشترك مع علي بابا في إعداد موضوع مولد «القافلة».

المجلة، بل أن كل ما في الأمر أن الاعتراض نشأ عن وزارة المالية بشأن بعض الجوانب الفنية الخاصة بالطبع.

وتوصل الجميع إلى حل وسط، هو أن يُطلب من بلخير أن يرجو جلالة الملك سعود إرسال توجيه من هذا القبيل إلى ابن جلوي، أو أن يشير رئيس الشركة ف. أ. ديفز أثناء اجتماعه بجلالة الملك إلى التقاء ماندس وشكيب الأموي بالأمير سعود بن جلوي، الذي أفصح بأنه شخصياً لا يعترض على معاودة إصدار المجلة وإنما جاء الاعتراض من وزارة المالية بسبب بعض الإجراءات الفنية.

وأخيراً تكللت المساعي بالنجاح وتلقت الشركة في ٢٨ فبراير ١٩٥٦م إخطاراً من وزارة المالية والاقتصاد الوطني بموافقة الملك سعود على رفع الحظر عن المجلة والسماح لها بالصدور، شرط أن تقدم الشركة تعهداً بعدم تكرار ما كان سبباً في التعطيل. وعادت الأمور إلى مجراها من جديد.

نشرة «قافلة الزيت» الأسبوعية والشهرية

بعد نحو ست سنوات على صدور العدد الأول من «قافلة الزيت» أرسلت الشركة كتاباً إلى الشيخ إبراهيم الشورى، المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر يفيد بأن الشركة عازمة على زيادة المرات التي تصدر فيها نشرة «قافلة الزيت» إلى خمس مرات شهرياً، تصدر أربعة أعداد منها على أساس أسبوعي ويكون العدد الخامس عدداً خاصاً يصدر مرة واحدة كل شهر. وشهد يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٥٩م أول عدد أسبوعي من نشرة «قافلة الزيت»، التي حررت وطبعت ونشرت تحت إشراف هيئة تحرير مجلة «قافلة الزيت»، ومن هنا أصبح لكل مطبوعة مسارها، إلا أنهما يلتقيان في الهدف، وهو إبراز أنشطة الشركة وأدوار موظفيها، ونشر الثقافة العربية.

ظلت الشركة تطبع المجلة في بيروت حتى شهر يوليو ١٩٦٤م حين بدأت طباعة المجلة داخل المملكة، فأوكلت المهمة إلى مطبعة سعودية، وحققت نجاحاً طيباً في المحافظة على مستوى معين من جودة الإخراج. وفي وظيفة الإشراف على المجلة مثّل سيف الدين عاشور الحلقة الأولى من سلسلة طويلة امتدت حتى اليوم، من أبناء الوطن الأكفاء الذين تقلدوا مسؤولية الإشراف على مجلة «القافلة» ونشرة «قافلة الزيت» (القافلة الأسبوعية لاحقاً) فقد تلا تبوّء عاشور لهذا المنصب تعيين عبدالعزيز مؤمنة في ٣٠ مايو ١٩٥٦م سكرتيراً للتحرير خلفاً للمستر البرت

رسالة من الأستاذ أحمد العربي، عضو مجلس الشورى، يهنئ فيها المشرفين على الشؤون الثقافية بالشركة على الخطوات التي تُتخذ لرفع المستوى الثقافي والمهني للعمال السعوديين (٢١/٤/١٣٧٤هـ)

تعيين السيد عبدالله جمعة في منصب رئيس عام قسم النشر (٢٥/٩/١٣٩٢هـ)

المجلة، بل أن كل ما في الأمر أن الاعتراض نشأ عن وزارة المالية بشأن بعض الجوانب الفنية الخاصة بالطبع.

وتوصل الجميع إلى حل وسط، هو أن يُطلب من بلخير أن يرجو جلالة الملك سعود إرسال توجيه من هذا القبيل إلى ابن جلوي، أو أن يشير رئيس الشركة ف. أ. ديفز أثناء اجتماعه بجلالة الملك إلى التقاء ماندس وشكيب الأموي بالأمير سعود بن جلوي، الذي أفصح بأنه شخصياً لا يعترض على معاودة إصدار المجلة وإنما جاء الاعتراض من وزارة المالية بسبب بعض الإجراءات الفنية.

وأخيراً تكللت المساعي بالنجاح وتلقت الشركة في ٢٨ فبراير ١٩٥٦م إخطاراً من وزارة المالية والاقتصاد الوطني بموافقة الملك سعود على رفع الحظر عن المجلة والسماح لها بالصدور، شرط أن تقدم الشركة تعهداً بعدم تكرار ما كان سبباً في التعطيل. وعادت الأمور إلى مجراها من جديد.

نشرة «قافلة الزيت» الأسبوعية والشهرية

بعد نحو ست سنوات على صدور العدد الأول من «قافلة الزيت» أرسلت الشركة كتاباً إلى الشيخ إبراهيم الشورى، المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر يفيد بأن الشركة عازمة على زيادة المرات التي تصدر فيها نشرة «قافلة الزيت» إلى خمس مرات شهرياً، تصدر أربعة أعداد منها على أساس أسبوعي ويكون العدد الخامس عدداً خاصاً يصدر مرة واحدة كل شهر. وشهد يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٥٩م أول عدد أسبوعي من نشرة «قافلة الزيت»، التي حررت وطبعت ونشرت تحت إشراف هيئة تحرير مجلة «قافلة الزيت»، ومن هنا أصبح لكل مطبوعة مسارها، إلا أنهما يلتقيان في الهدف، وهو إبراز أنشطة الشركة وأدوار موظفيها، ونشر الثقافة العربية.

ظلت الشركة تطبع المجلة في بيروت حتى شهر يوليو ١٩٦٤م حين بدأت طباعة المجلة داخل المملكة، فأوكلت المهمة إلى مطبعة سعودية، وحققت نجاحاً طيباً في المحافظة على مستوى معين من جودة الإخراج. وفي وظيفة الإشراف على المجلة مثّل سيف الدين عاشور الحلقة الأولى من سلسلة طويلة امتدت حتى اليوم، من أبناء الوطن الأكفاء الذين تقلدوا مسؤولية الإشراف على مجلة «القافلة» ونشرة «قافلة الزيت» (القافلة الأسبوعية لاحقاً) فقد تلا تبوّء عاشور لهذا المنصب تعيين عبدالعزيز مؤمنة في ٣٠ مايو ١٩٥٦م سكرتيراً للتحرير خلفاً للمستر البرت

رسالة من الأستاذ أحمد العربي، عضو مجلس الشورى، يهنئ فيها المشرفين على الشؤون الثقافية بالشركة على الخطوات التي تُتخذ لرفع المستوى الثقافي والمهني للعمال السعوديين (١٣٧٤/٤/٢١هـ)

تعيين السيد عبدالله جمعة في منصب رئيس عام قسم النشر (١٣٩٢/٩/٢٥هـ)

أردلا. وفي ٢٨ سبتمبر ١٩٦٩م عُين مصطفى حسن الخان مديراً عاماً لمجلة «قافلة الزيت» الشهرية، وعلي حسن قناديلي مديراً مسؤولاً لنشرة «قافلة الزيت» الأسبوعية. استمر قناديلي في هذا المنصب حتى ٢٩ مارس ١٩٧٢م حين خلفه عبدالله صالح جمعة ليصبح رئيساً عاماً لقسم النشر، ليتولى تبعاً لذلك مهمة المدير المسؤول لمجلة «قافلة الزيت» الشهرية ونشرة «قافلة الزيت» الأسبوعية.

وبعد أن أضحت «قافلة الزيت» مجلة ثقافية معتبرة ومعروفة في العالم العربي يكتب فيها مشاهير الفكر والادب والثقافة ولا تقتصر موضوعاتها على صناعة الزيت، تنامى عدد قرائها بصورة مضطردة، وانعكس ذلك على الرسائل التي كانت ترد إلى بريد المجلة بأعداد كبيرة في كل يوم، تطلب الاشتراك في المجلة، فرأت إدارة الشؤون العامة أن الوقت أصبح مناسباً لتغيير اسم «قافلة الزيت» إلى اسم آخر يتماشى مع التطور التقني والثقافي في الشركة بصفة خاصة، والمملكة بصفة عامة فكان هناك إجماع على إطلاق اسم «القافلة» على المجلة اعتباراً من عدد شعبان ١٤٠٣هـ (مايو - يونيو ١٩٨٣م)، وجاء في افتتاحية «القافلة» بهذه المناسبة:

«بصدور هذا العدد تكون «قافلة الزيت» قد أمضت من عمرها المديد ثلاثين عاماً ونيفاً، وهي تصدر اليوم باسم جديد هو «القافلة». وهذا التغيير البسيط في الاسم لا يغير نهجها وأسلوبها ومنحاها وأهدافها التي سارت عليها منذ صدور أول عدد لها حتى اليوم».

وما تزال «القافلة» تتحرك بتؤدة وصبر على مدارج السنين وها هي تلج عتبة الخمسين سنة الثانية من عمرها المديد، بإذن الله.

◄ **علي محمد أحمد بابا**

عمل في قسم الترجمة في دائرة شؤون أرامكو السعودية، ثم انضم إلى هيئة تحرير «القافلة الأسبوعية». وفي فترة التخطيط لإصدار العدد الخاص تصدى لكتابة موضوع مولد «القافلة». ونجح، بناء على تجربته السابقة في شؤون أرامكو السعودية، في استكشاف العديد من الوثائق المهمة ذات العلاقة بهذا الموضوع.

◄ **وليد يوسف الهلال**

عمل بعد تخرجه مباشرة في عام ١٩٩١م في إدارة خدمات شؤون أرامكو السعودية. وعمل في وحدة النشر العربي ابتداء من عام ٢٠٠٠م، في جهاز تحرير «القافلة الأسبوعية». ناشط في مجال التغطيات الصحفية والاستطلاعات، وقد اشترك مع علي بابا في إعداد موضوع مولد «القافلة».

حداة «القافلة»

إلى واحة الثقافة الوارفة

إليهم، بعد الله سبحانه، يعود الفضل في قيادة «القافلة» خلال نصف قرن. إنهم رؤساء التحرير الذين كانت الشركة تختارهم لتحمل المسؤوليات التي تترتب على «مهنة البحث عن المتاعب». واستعراض مسيرة المجلة، منذ صدور العدد الأول منها والمراحل التي مرت بها، وصولاً إلى ما هي عليه اليوم، يؤكد عمق تحية الإكبار والوفاء التي يستحقها رؤساء تحريرها، حداتها، لما بذلوه من جهود في الارتقاء بتلك النشرة المتواضعة التي أبصرت النور قبل خمسين عاماً، إلى مصاف كبريات المجلات الثقافية العربية.

بقلم: عادل أحمد الصادق
هيئة التحرير

رئيس تحرير «القافلة» الأول الأستاذ حافظ البارودي مع سمو الأمير سعود بن جلوي، يرحمه الله

الأستاذ شكيب الأموي، يسار الصورة، مع الأستاذ أحمد الجفالي.

مرحلة التأسيس

في الخطوة المبكرة من مرحلة التأسيس ظهر اسم الأستاذ حافظ البارودي، يرحمه الله، على العدد الأول من مجلة «قافلة الزيت» كرئيس للتحرير.

وتشير المعلومات القليلة المتوفرة عن أول رئيس تحرير في تاريخ المجلة، إلى أنه ولد سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٧م)، وقد التحق بأرامكو في ٨ جمادى الآخرة ١٣٦٦هـ (٢٦ أبريل ١٩٤٧م)، بعد أن تخرج من جامعة «غوردون» بالعاصمة السودانية، الخرطوم.

وفي عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) حصل على الجنسية السعودية، ليكون من نصيبه بعد ذلك أن يحفر اسمه في ذاكرة الصحافة السعودية باعتباره قائد «القافلة» الأول، وليترك بصمة واضحة على تلك المرحلة من عمر المجلة.

أما الأستاذ شكيب الأموي، يرحمه الله، فقد تولى قيادة «قافلة الزيت» في عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م)، خلفاً للأستاذ حافظ البارودي. ويعود التحاق الأموي بالشركة إلى ١٤ ربيع الأول ١٣٧٣هـ (١٠ نوفمبر ١٩٥٤م). بينما حصل على الجنسية السعودية قبل ذلك بنحو ٦ سنوات.

فريق تحرير «قافلة الزيت» إبان رئاسة الأستاذ سيف الدين عاشور لتحرير المجلة (الثاني من اليسار وقوفاً)، أثناء تكريم الأستاذ عوني أبو كشك

وقد عُرف عن الأموي تمتعه بماضٍ ثقافي وعلمي بارز. كما أنه كتب العديد من المقالات في الصحف السعودية وغيرها. وله مؤلفات عدة في مجال القصة القصيرة مثل «أصداء»، و «مساكن الصحراء»، و «شهوات أثيمة» التي نشرتها دار الفكر العربي في القاهرة.

كما كان للأموي سيرة تاريخية وسياسية مشرّفة. إذ كان عضواً في وفد الهيئة العليا لفلسطين إلى المؤتمر الذي عقد في العاصمة البريطانية لندن سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م). كما أنه كان مراسلاً حربياً برتبة مفوض أول في الجيش السعودي أثناء الحرب الفلسطينية. وفي سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م)، رافق الأموي صاحب السمو الملكي الأمير نواف قائد الحرس الملكي في جولة عربية شملت لبنان ومصر وسوريا. كما أنه مثّل المملكة العربية السعودية سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) في المؤتمر الاقتصاد الإيطالي العربي الذي عقد في باري في إيطاليا.

وفي العام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) اضطر الأستاذ شكيب الأموي إلى مغادرة الظهران للاستقرار في جدة، ليخلفه في قيادة «قافلة الزيت» الأستاذ سيف الدين عاشور، رحمه الله، الذي كان من كبار موظفي أرامكو، ويتمتع بخلفية ثقافية ومعرفية واسعة.

وقد استمر عاشور في حمل مسؤوليات رئاسة تحرير «قافلة الزيت» حتى العام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)، كما أنه بقي ركناً من أركان العمل الصحافي في المملكة العربية السعودية، إذ أسس في جدة سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٧م) مجلة «سعودي إيكونوميك سيرفيه» التي تلقي الأضواء على الأنشطة الاقتصادية وعالم الأعمال في المملكة. وحين كانت أسرة تحرير مجلة «القافلة» بصدد وضع اللمسات النهائية على العدد الخاص قبل إصداره بنحو شهرين فجعت بنبأ وفاة الأستاذ سيف الدين عاشور، يرحمه الله، بعد حياة حافلة بالثقافة والعطاء.

ومن الأستاذ سيف الدين عاشور استلم الأستاذ منصور مدني، يرحمه الله، دفة «قافلة الزيت» في العام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)، بعد أن عمل لسنوات مديراً مسؤولاً لها. وقد تقلد مدني منصب رئيس تحرير «قافلة الزيت» الأسبوعية سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م)، أي في الفترة نفسها التي كان فيها الأستاذ شكيب الأموي يرأس تحرير مجلة «قافلة الزيت» الشهرية.

يظهر في الصورة مجموعة من فرسان «القافلة» الأوائل وهم (من اليمين إلى اليسار) الأستاذ محمد عابد، مدير مطابع وزنكوغراف المنطقة الشرقية بالخبر (والتي كانت تقوم بطباعة «قافلة الزيت» الأسبوعية، الأستاذ سيف الدين عاشور، الأستاذان صالح المزيني ومنصور مدني، أثناء مراجعة أحد الأعداد أثناء طبعه.

وبعد الأستاذ منصور مدني، الذي ترك بصمات واضحة على المجلة في الفترة التي تولى فيها رئاسة التحرير، لا سيما في مجال الطرح الثقافي والأدبي والاستطلاعات، انتقلت دفة «قافلة الزيت» إلى يد الأستاذ عبدالله حسين الغامدي، لتبدأ منذ ذلك الحين مرحلة جديدة تم فيها التركيز، إلى جانب الأقلام العربية، على الأقلام السعودية البارزة التي تحتفظ إلى الآن بذكرى احتضان «قافلة الزيت» لإبداعاتها في مختلف المجالات. وقد تهيأ لنا في جهاز تحرير المجلة الإلتقاء برؤساء التحرير، الذين تعاقبوا عليها منذ تلك المرحلة التي شهدت تغيير اسمها من «قافلة الزيت» إلى «القافلة».

كتبوا لنقرأ ونكتب ليقرؤوا

وضع الأستاذ عبدالله حسين الحامد الغامدي حين تولى رئاسة تحرير «قافلة الزيت» في العام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) شعاراً لمرحلته تلك هو «كتبوا لنقرأ ونكتب ليقرؤوا»، وسنتعرف على أبعاد هذا الشعار فيما يلي من سيرة تلك السنوات.

ولد الغامدي في منطقة الباحة، قرية السيّار سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٣م)، والتحق للعمل في أرامكو السعودية في ١٥ ذو القعدة ١٣٧٤هـ (٥ يوليو ١٩٥٥م). ويروي الغامدي سيرة عمله في الشركة بقوله إن أول وظيفة عمل بها كانت موزعاً للبريد في إدارة الإنشاءات لمدة ثلاث سنوات تقريباً، وكان حينذاك مستواه التعليمي الرابع الابتدائي. وقد أعطي الغامدي فرصاً كثيرة للتدرب في مراكز أرامكو السعودية الخاصة بتدريب الموظفين مما أهله لمتابعة دراسته ليلاً في المدارس الحكومية حتى حصل على الثانوية العامة وانتسب بعدها لجامعة الملك سعود ثم ابتعث من قبل الشركة لإكمال دراسته في نفس الجامعة حيث حاز على شهادة بكالوريوس في اللغة العربية.

الأستاذ عبدالله حسين الحامد الغامدي

الأستاذ عبدالله خالد الخالد

استمر الأستاذ الغامدي في رئاسة تحرير «القافلة» أربعة عشر عاماً. ويذكر أنه عرف «القافلة» للمرة الأولى عندما التحق بالعمل في أرامكو السعودية. ومن أبرز التحولات في فترة رئاسته للتحرير تغيير اسم المجلة من «قافلة الزيت» إلى «القافلة».

وخلال مسيرة عمله في الشركة، انتقل من إدارة الإنشاءات إلى إدارة العلاقات العامة في سنة ١٩٥٨م، حيث عمل كموزع للبريد أيضاً، ولكن في مجلة «قافلة الزيت». ثم نقل بعد ذلك إلى محطة تلفزيون أرامكو ككاتب على الآلة العربية، إذ كان التلفزيون يومها يبث برامجه الإنجليزية مترجمة إلى اللغة العربية، ثم تدرج في العمل إلى أن أصبح مذيعاً في التلفزيون نفسه. وبعد توقف البث باللغة العربية، نقل مرة أخرى إلى قسم النشر في إدارة العلاقات العامة، وكان وقتها مستمراً في دراسته الليلية حتى أكمل دراسته الثانوية ثم ابتعث للجامعة.

ويعلق الأستاذ الغامدي على ذلك بقوله أن من فضل الله عليه أنه عندما تخرج في الجامعة متخصصاً في اللغة العربية وعاد إلى العمل، كان الأستاذ عبد الله بن صالح بن جمعة رئيس أرامكو السعودية، كبير إداريها التنفيذيين، حالياً، رئيساً لقسم النشر، ثم مديراً لإدارة العلاقات العامة، وعلى يديه تأهل عبد الله الغامدي إلى رئاسة تحرير «القافلة».

ولدى سؤالنا الأستاذ الغامدي عن مستوى المجلة عند استلام دفة تحريرها، أكد بأن رؤساء التحرير الذين تولوا رئاسة التحرير قبله كانوا من أكفأ الرجال، وكانوا على دراية واسعة بما يدور في الساحة الإعلامية يومها. و «القافلة» كانت في عهدهم تعد مرجعاً معتمداً من قبل وزارة المعارف في نصوص المطالعة، وهذا تزكية لها، إلا أن الذي كان لافتاً للنظر هو أن الكتاب السعوديين فيها كانوا قلة.

ووضع الغامدي عندما تسلم رئاسة تحرير «القافلة» نصب عينيه الشعار الذي سبق أن ذكرناه وهو «كتبوا لنقرأ وآن الأوآن أن نكتب ليقرؤوا»، وكان ذلك بسبب قلة الكتاب السعوديين المشاركين فيها، والذين لا تتجاوز نسبتهم ٣ في المائة طوال العام تقريباً، و٣ في المائة مما كان يكتبه محرّرو «القافلة»، أما حصة الأسد فكانت لمختلف الكتاب من الأقطار العربية.

ولأن المجلة كانت ولا تزال تصدر في المملكة التي تتمتع بعدد وافر من الجامعات والمعاهد والتي تزخر بالأكاديميين والمفكرين والأدباء السعوديين، كان لزاما على الغامدي أن يطبق شعاره الآنف الذكر. وكان يجد المساندة القوية من الأستاذ عبد الله جمعة. وعلى إثر ذلك، قام الغامدي بزيارة عدد من الجامعات والمعاهد في المدينة المنورة ومكة المكرمة وجدة والرياض والطائف لاستكتاب المفكرين والأدباء

والمؤرخين، كما زار النوادي الأدبية، ونجح في تلك المهمة، إذ أن «القافلة» زخرت بعد ذلك بالعديد من الكتاب السعوديين، الذين أسهموا بكتاباتهم في الكثير من المجالات.

مرحلة التنوع والمواد العلمية

في العام ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) سلّم الأستاذ عبدالله الغامدي دفة «القافلة» إلى الأستاذ عبدالله خالد الخالد. الذي بقي على رأس المجلة نحو عشر سنوات.

والأستاذ الخالد من مواليد مدينة الزبير سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م)، وهو العام الذي شهد مولد «القافلة». وهو حاصل على شهادتي البكالوريوس في الآداب، والماجستير في إدارة الأعمال. التحق بالعمل في أرامكو السعودية سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م). وقد تم ذلك بالصدفة عن طريق إعلان قرأه في إحدى الصحف. وقرر قسم التوظيف أن يدخل عبدالله الخالد قسم النشر نظراً إلى نوعية اختصاصه، وتدرج في الوظيفة حتى أسندت إليه رئاسة تحرير المجلة بعد أن أثبت كفاءة في عمله.

ويقول الأستاذ الخالد، المعروف بإسهاماته الشعرية، إنه كان أحد محرري «القافلة» قبل رئاسة تحريرها، وأنه كان راضياً نسبياً عن وضعها، أما ما أضافه إلى مسيرتها فكان في تنويع مادتها الثقافية، والتركيز على المواد العلمية، إضافة إلى تحسين مستوى الإخراج الفني، واعتماد الصور الأصلية بدلاً من الصور المنشورة في بعض المجلات أو الرسومات.

ويذكر أنه خلال رئاسته لتحرير المجلة لم يواجه عوائق تذكر في سبيل تطويرها، لأن الجهود كانت متضافرة في ذلك الوقت، والعاملين في وحدة النشر العربي كانوا يعملون بإخلاص وجدية.

ويضيف الخالد بأن «القافلة» لم ولن تصل إلى حد الكمال، لأن ذلك يعني نهاية مسيرة التطور. وينصح بأن يدأب الجميع على الاهتمام بإيجاد عوامل تطوير وابتكار أساليب جديدة للعمل.

الأستاذ عصام زين العابدين توفيق

إعادة صياغة هوية المجلة

في العام ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) انتقلت قيادة «القافلة» من الأستاذ عبدالله الخالد إلى الأستاذ عصام توفيق، المولود في مدينة الجبيل الساحلية في المنطقة الشرقية عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م)، والحائز على شهادة بكالوريوس في الهندسة المعمارية من جامعة الملك سعود وبرنامج الإدارة العليا من جامعة بنسلفانيا. ويؤكد عصام توفيق، الذي التحق بالعمل في أرامكو السعودية في ٢٢ شعبان ١٤٠٥هـ (١١ مايو ١٩٨٥م)، أن علاقته بـ «القافلة» تعود إلى أيام الطفولة.

لقطة تجمع (من اليمين) الأستاذ منصور مدني، الأستاذ علي موسى وكيل مدير الصحافة والنشر بالمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، والأستاذ سيف الدين عاشور (٢ أكتوبر ١٩٦١م)

ويتحدث عن عمله في الشركة مشيراً إلى أن أرامكو السعودية هي هدف طموحات الجميع لما تمنحه من فرص لخدمة الوطن وتحقيق النجاح الشخصي في الوقت نفسه. وقد بدأ الأستاذ توفيق عمله في مجال العلاقات بالمقاولين، ثم انتقل إلى العلاقات الحكومية، وأخيراً ساقه تاريخه الوظيفي إلى أن يكون مديراً للعلاقات العامة، فرأس تحرير مجلة «القافلة» سنة ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، وبقي في منصبه نحو ثلاث سنوات.

أما اللمسات التطويرية الخاصة التي أضافها الأستاذ توفيق، فتتمثل في إعادة صياغة هوية المجلة من حيث الشكل العام والإخراج. ونجح في زيادة تغطية مجالات حيوية على المستوى المحلي والدولي، خاصة في مجالات صناعة الزيت والغاز، وهو مجال تعاني الدوريات العربية من شح شديد فيه.

وحول رضاه عن المجلة يقول: «إن «القافلة» ستبقى دائماً حبيبة، وفريق العمل فيها ما زال يبدع باستمرار من أجل تطويرها وإثرائها شكلاً ومضموناً. ويضيف: «لا توجد نهاية لعملية التطوير. فشعار أرامكو السعودية هو أن يكون عمل الموظف اليوم أفضل مما كان عليه بالأمس، وغداً أفضل مما هو عليه اليوم. وصعوبة عملية تطوير المجلة تكمن في ندرة الكتاب البارعين في الموضوعات التي تتطرق إليها «القافلة» في زمننا الحاضر. فنمط الحياة السريع، ومتطلبات الحياة المعاصرة شغلت الناس عن الكتابة، وحرمت القراء من إسهامات القادرين على العطاء».

رفع المستوى الفني لطباعة «القافلة» واستكتاب الأعلام

ومن الأستاذ عصام توفيق انتقلت دفة «القافلة» إلى الأستاذ محمد عبدالحميد طحلاوي، الذي أعطى القسم الأكبر من تاريخه المهني في أرامكو السعودية للإشراف على مطبوعات الشركة في قسم النشر التابع لإدارة العلاقات العامة.

والأستاذ محمد طحلاوي من مواليد مدينة الخبر على الخليج العربي في ٢٧ رجب ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م). وفي العام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) تخرج في كلية الآداب في جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقاً) حائزاً على شهادة بكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها. والتحق بالعمل في أرامكو السعودية بتاريخ ١٣ رمضان ١٤٠٢هـ (٤ يوليو ١٩٨٢م). وأول منصب أسند إليه كان ممثل علاقات عامة في إدارة العلاقات العامة.

ويحدثنا الأستاذ طحلاوي عن فترة تسلمه منصب رئاسة تحرير مجلة «القافلة» بالإضافة لتوليه وظيفة مدير العلاقات العامة، فيقول: «توليت رئاسة تحرير مجلة «القافلة» منذ سنة ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م) وما أزال أتشرف برئاسة تحريرها حتى الآن، غير أنني كنت على علاقة قوية بتحرير «القافلة» وإصدارها منذ توليت منصب رئيس عام قسم النشر في إدارة العلاقات العامة سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) حيث كان إصدارها يقع ضمن مسئوليات القسم».

رئيس التحرير، الأستاذ محمد طحلاوي وأعضاء جهاز تحرير «القافلة» حالياً، والمشاركون في إعداد مواد العدد الخاص في لقطة جماعية تذكارية، ويظهر من اليمين (وقوفاً) علي المرهون وعادل الصادق وعلي بابا ومحمد طحلاوي ومحمد الدميني وأحمد الحنجل وعبدالرحمن أبو الجدايل، بينما يظهر (جلوساً) من اليمين: فؤاد الذرمان ومحمد العصيمي ووليد الهلال. وقد غاب عن هذه الصورة الزميل خالد الطويلي الذي كان وقتها في مهمة عمل خارج المملكة.

ولدى سؤالنا عن تعرفه أول مرة على المجلة قال: «تعرفت إلى مجلة «القافلة»، ونشرة «القافلة الأسبوعية» أيضاً، لأول مرة منذ ما يزيد على خمس وثلاثين سنة. وذلك عندما كنت في الصف الرابع الابتدائي في مدرسة الخبر الأولى، فقد انضممت حينها إلى جماعة المكتبة في المدرسة، وأتيحت لي بهذا فرصة إرتياد المكتبة والإطلاع على محتوياتها التي كانت تضم أعداد مجلة «قافلة الزيت» كما كانت تعرف سابقاً، ومنذ ذلك الحين وأنا قارئ منتظم لهذه المجلة».

ويحدثنا الأستاذ طحلاوي عن اللمسات التطويرية التي أضافها إلى «القافلة» إبان رئاسة تحريرها، فيقول: «لقد حرصت أثناء تولي رئاسة تحرير «القافلة» على أن أسهم ولو بجهد المقلّ في المحافظة على صورة هذه المطبوعة القيّمة، وأن تواصل رسالتها على أفضل وجه ممكن. وربما كانت مساهمتي الأبرز هي في سعيي إلى رفع المستوى الفني لطباعة «القافلة»، ودعمي لجهود أخوتي العاملين على تحريرها في مجال تحسين جودة الصور المستخدمة فيها وتنويع مصادرها مع الحرص في كل هذا على مواصلة الحفاظ على حقوق الملكية الفكرية لكل ما ينشر في المجلة».

ومن خلال عمله رئيساً لقسم النشر، شجع الأستاذ محمد طحلاوي محرري «القافلة» على السعي إلى استكتاب الأعلام في مختلف مجالات المعرفة، ولأن هذه الجهود لم تحمل كل الثمار المرجوة منها، فإنه ما زال يعمل مع الزملاء في «القافلة» في هذا الاتجاه، فضلاً عن جوانب تطويرية أخرى.

ومن ضمن مهام الأستاذ طحلاوي متابعة سير المجلة خطوة بخطوة طالما أنه يرأس هيئة تحريرها، ويقول عن الموضوعات التي تطرحها ومستواها الإخراجي: «بطبيعة العمل، فضلاً عن الرغبة الشخصية، ما أزال أتابع «القافلة» عن كثب. أما في ما يتعلق بمستوى الموضوعات المطروحة فيها، فإنني رغم رضاي عن تنوع هذه الموضوعات، ومتابعتها في بعض الأحيان لما يهم القارئ من أحداث جارية بشكل

الأستاذ محمد عبدالحميد طحلاوي

يتناسب وطبيعة المجلة، فإنني أرى أن هناك مجالاً كبيراً للتطوير في هذا الشأن، كما أنني أعتقد أن «القافلة» بحاجة إلى استعادة ما اشتهرت به في مرحلة من المراحل من استطلاعات وندوات حوارية وغير ذلك من موضوعات متنوعة». ويؤكد الأستاذ طحلاوي هنا أن السبب في اختفائها أو تقلصها هو تقلص حجم فريق العمل القائم على المجلة، وهو أمر نعمل الآن على تجاوزه لتستعيد «القافلة» كامل ألقها وإعجاب ورضى قرائها».

عادل أحمد الصادق

عمل في مطبوعات الشركة منذ يوليو عام ١٩٨٧م. ونفذ لمجلة «القافلة» العديد من الاستطلاعات في العشرين سنة الأخيرة من عمرها ولا يزال ناشطاً في هذا المجال، ويتولى حالياً مسؤولية تحرير «القافلة الأسبوعية». له إسهامات أدبية نشرت في جريدة اليوم وجريدة عكاظ وجريدة الأيام البحرينية.

د. يوسف القرضاوي

د. نقولا زيادة

د. محمد جابر الأنصاري

أ. عبدالله بن أحمد الشباط

د. فهد بن عبدالله السماري

أ. خليل إبراهيم الفزيع

أ. محمد بن عبدالله الحميد

د. ثريا العريض

أ. فاضل السباعي

د. حسن بن فهد الهويمل

د. محمد العيد الخطراوي

د. إحسان علي بوحليقة

أ. محمد العباس

أ. شريفة الشملان

أ. محمد الجلواح

«القافلة» في سن الخمسين

«... ويبقي الدهرَ ما كتبت يداه»

بلغت مجلة «القافلة» خمسين عاما من عمرها المديد، فهل شاخت المجلة، بهذا العمر، أو نضجت واستكملت رشدها ؟

إن القرآن الكريم يقول عن الإنسان إذا بلغ سن الأربعين ﴿**حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين**﴾ الأحقاف: ١٥.

ومن المعروف في علم الأديان: أن الله تعالى يبعث أنبياءه على رأس الأربعين، لم يستثن من ذلك إلا المسيح عيسى بن مريم.

ومعنى هذا أن الإنسان في الأربعين يكلف بأعظم الأمانات، وأثقل الرسالات، وهي هداية الناس إلى الله وإلى طريقه المستقيم، وقد قال الله تعالى لخاتم رسله، وقد بعث على رأس الأربعين من عمره: ﴿**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾ المزمل: ٥.

ومقتضى هذا: أن رسل الله تعالى في سن الخمسين يكونون في عز المعمعة، وفي قلب المعركة مع أعداء الدعوة، وخصوم الرسالة.

والنتيجة:أن عمر الخمسين ليس عمر شيخوخة ولا ضعف، بل هو سن الجهد المبذول، والعطاء الموصول، والإنجاز المأمول.

لقد عرفت «القافلة» من مدة طويلة، مجلة جادة، تُعنى بالعلم والدين والأدب والتاريخ، وتسعى إلى تنوير العقول بالعلم الموثق، والثقافة الجادة. وكثيراً ما استكتبتني، في مناسبات شتى، وكثيراً ما استجيب لها بالرغم

أ. د. يوسف القرضاوي

الفقيه والمفكر والداعية المعروف، كتب لـ «القافلة» الكثير من الموضوعات الدينية لسنوات طويلة.

من كثرة أعبائي ومشاغلي، ولكن حرص القائمين على المجلة على أن يكون للدين فيها مكان باستمرار شجعني على التجاوب معهم.

والآن ينبغي لـ «القافلة» أن تجعل من هذه المناسبة السعيدة وقفة للمراجعة والمحاسبة، ابتغاء التطوير والتحسين، لا أن تكون مناسبة تؤكل فيها الحلوى وتوقد فيها الشموع، كما يفعل الغربيون فيما سمّوه الاحتفال بأعياد الميلاد.

لقد قال بعض علماء السلف من أمتنا كلمة حكيمة يجب أن يعيها الناس ويلتزموا بموجبها، وهي: من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون.

ومعنى هذا: أن الإنسان ينبغي أن يجتهد دائماً أن يكون يومه خيراً من أمسه وغده خيراً من يومه، وأن يكون في حالة ترق مستمر، لا في حال هبوط وانحطاط، ولا في حال توقف وجمود.

فالمؤمن ينشد (الأحسن) دائما، حتى إن القرآن يقول: ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ الزمر: ٥٥، فأمرنا باتباع الأحسن، وقال تعالى: ﴿**فبشر عباد ❖ الذين يسمعون القول ويتبعون أحسنه ❖ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**﴾ الزمر: ١٧-١٨، فمدحهم بأنهم يتبعون (الأحسن) مما يستمعون.

وفي القرآن نجد التنويه دائما بـ ﴿**التي هي أحسن**﴾، أي الطريقة التي هي أحسن وأفضل، فهو يأمر كل داع إلى الله أن يجادل خصومه ويحاورهم بالتي هي أحسن ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ النحل: ١٢٥، على معنى أنه لو كانت هناك طريقتان للحوار والجدال: إحداهما حسنة جيدة، والأخرى أحسن منها وأجود، فالداعية مطالب أن يحاور المخالفين بالطريقة التي هي أجود وأحسن.

وفي التعامل بين الناس يطالب المؤمن أن يدفع إساءة المسيئين إليه بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾ فصلت:٣٤.

ونرى القرآن في جملة آيات يبين أن الله خلق الناس ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وقد جاء ذلك في سورة الملك: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾ الآية ٢، وفي سورة الكهف: ﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً**﴾ الآية: ٧، وفي سورة هود:

﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ الآية: ٧.

ومعنى هذه الآيات: أن الله تعالى خلق الموت والحياة، وزيّن الأرض، وخلق العالم علويه وسفليه لغاية وحكمة، هي: أن يبلو الناس ويختبرهم (أيهم أحسن عملاً).

وهذا تعبير له دلالته، فليس المراد أن يعرف: أيهم المحسن وأيهم المسيء، بل الغرض أن يحسنوا جميعا العمل، والمقصود بالابتلاء والاختبار أن يعرف: أيهم أحسن عملاً من الآخر، فليس التنافس والتسابق بين الحسن والسيئ، بل بين الحسن والأحسن.

وهذا هو شأن الإنسان المؤمن يتطلع إلى معالي الأمور، ويتنزه عن سفاسفها، ولهذا جاء في الحديث: (إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنان، وفوقه عرش الرحمن).

المؤمن يرنو إلى الدرجات العالية فإذا وصل إليها، نشد ما هو أعلى منها، فإذا وصل إلى درجة أهل اليمين، اجتهد ما وسعه أن يرتقي إلى درجات المقربين، ﴿والسابقون السابقون ❖ أولئك المقربون﴾ الواقعة: ١٠-١١.

قد يصل المرء إلى (علم اليقين) فلا يكتفي به، حتى يطلب (عين اليقين) فإذا حصّله تطلع إلى (حق اليقين) كما حكى لنا القرآن عن خليل الله إبراهيم ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ البقرة: ٢٦٠.

ومن هنا ننشد من «القافلة» وقد بلغت الخمسين من عمرها المبارك: أن تقف هنا وقفة مراجعة وتقويم للمسيرة، بغية التطور إلى الأحسن، والتقدم إلى الأفضل.

إن الكلمة أمانة، وأمانة ثقيلة، فرب كلمة علمت جاهلاً، أو نبهت غافلاً، أو ذكرت ناسياً، أو هدت ضالاً، ورب كلمة دفعت إلى الجهالة، ودعت إلى الضلالة، ورب كلمة سلبت نعمة، وأنزلت نقمة، ورب كلمة أشعلت حرباً، ورب كلمة قتلت نفساً، وأخرى أحيت نفساً.

الكلمة إذن لها خطورتها، ولأهميتها يكتبها (قلم التسجيل) الإلهي لنا أو علينا ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ ق: ١٨. ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ الزخرف: ٨٠.

وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً). وقالت عائشة رضي الله عنها كلمة فيها شئ من التهوين بإحدى ضرائرها، فقال لها الرسول المعلم: (يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته). يعني: أن كلمة واحدة يمكن أن تعكر بحراً. وقال: (الكلمة الطيبة صدقة).

وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً للكلمة الطيبة، وللكلمة الخبيثة وأثرهما، فقال تعالى: ﴿**ألم تر كيف ضرب الله لنا مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار**﴾ إبراهيم: ٢٤-٢٦.

وإذا كانت الكلمة - بصفة عامة - أمانة ثقيلة يسأل عنها الإنسان، فإن (الكلمة المكتوبة) أشد وأثقل من غيرها؛ لأن صاحبها يموت، وهي حية باقية، فإن كانت كلمة صالحة صادقة، كانت حسنة دائمة له، وعملاً صالحاً يوضع في ميزانه يوم القيامة كما في الحديث الصحيح: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). فهذه الكلمة الطيبة من العلم الذي ينتفع به بعد موته.

وإن كانت كلمة سيئة أو كاذبة أو مضللة، فيا ويل صاحبها منها. إنه سيموت وتظل هي حية تعمل عملها. ولذلك كان السلف يقولون: طوبى لمن مات وماتت ذنوبه معه. وويل لمن مات ولم تمت ذنوبه.

وما أصدق ما قال الشاعر:

وما من كاتب إلا سيبلى

ويُبقي الدهرَ ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء

يسرك في القيامة أن تراه

أصدق تمنياتي، وأخلص دعواتي لـ «القافلة»: أن يسدد الله خطاها في طريق الحق والخير أبداً. ■

القلائل المهتمين بالمغرب العربي ومصر، ولكن اهتمامك، كما أعرف من مقالاتك، يصحبه زيارات متعددة لتلك الأصقاع، لذلك عندي مشروع أرجو أن تعينني على القيام به. «أود أن أنشر في «القافلة» سلسلة مقالات عن الآثار الإسلامية في المغرب العربي وفي مصر. وأحسب أنك تستطيع أن تلبي هذه الدعوة. فما رأيك؟»

كان جوابي الاستعداد للتعاون التام. عندها استراح في جلسته وأتم حديثه: «لـ «القافلة» مصور خاص. سأبعث به إليك. اطلب منه أن يصور كل ما يخطر من الآثار الإسلامية في المدن خاصة. ليأخذ مئات الصور. وعندما يعود إليك تختار أنت الصور التي تناسب ما تريد أن تكتبه. ونحن في «القافلة» ننسق بناء على اقتراحاتك».

إنه أمر كبير. لكنني ما كنت لأحجم عن مهمة مثل هذه.

وجاءني المصور ومفكرته بيده. كانت المدن التي اخترت الكتابة عنها، من حيث احتوائها للآثار الإسلامية هي: مراكش وفاس والرباط (ومعها سلا) وتطوان (تطاوين) وطنجة وولولي ومكناس. وفي الجزائر اخترت تلمسان بمشاهدها وأضرحة أولياء الله فيها، والجزائر العاصمة وقسطنطينة (أما الجنوب فلم يدخل في الحساب لأنني لم أزره). وكانت المواقع التونسية هي تونس العاصمة والقيروان وسوسة والمناشير، ففي هذه المواقع نماذج ممتازة للرباطات. وفي ليبيا كانت آثار طرابلس وصبراته ومسراتة (مع أن هاتين رومانيتان لكن ثمة بعض الآثار الإسلامية الجانبية فيهما) وبنغازي والبيضا. أما مصر فقد قررت الاقتصار على القاهرة. وأنا الذي أتيح لي أن أزور ثلاثة وثمانين مسجداً من مساجد القاهرة، لا أحتاج إلى مدينة أخرى أتخير منها.

جلست مع المصور ساعات: أنا أطلب وهو يدون. لست أذكر جميع الملاحظات التي ألححت عليها ولكنني أذكر أنني طلبت منه مثلاً أن يصور جامع القيروان في الصباح وقبيل غروب الشمس من موقع واحد.

حمل المصور آلاته وذهب إلى المغرب العربي، وكان مزوداً بجميع أوراق الأذون للعمل. لم يلق صعوبة في المغرب. ولكنه لما وصل مطار الجزائر أصر الموظف المسؤول على أن تظل عدة التصوير في المطار حتى عودته. ولما اطلع الموظف على رسالة الإذن التي يحملها قال له «هذا صحيح، لكن يجب أن تضع عندنا كفالة مالية تقابل ثمن الأدوات. وهذه الكفالة تسترد عند مغادرتك البلاد».

«القافلة» وأنا

«وما زالت الهمّة موجودة... إذن إلى الأمام!»

بلغت، قبل بضعة أشهر، الرابعة والتسعين من عمري، قضيت منها نيفاً وسبعين سنة وأنا للقلم صديق وهو لي خدين. وقد أتيح لمقالاتي أن تُنشر في عدد كبير من المجلات العربية، منها «المقتطف» (محررها الدكتور فؤاد صرّوف) و «الثقافة» (لصاحبها الدكتور أحمد أمين)، اللتان انتهى أمرهما منذ عقود، ومنها «الآداب» لما بدأ صدورها وأصحابها ثلاثة سهيل إدريس، أطال الله عمره، والمرحومان منير بعلبكي وبهيج عثمان.

د. نقولا زيادة

مؤرخ عربي مرموق، كتب العديد من الموضوعات لـ «القافلة» لا سيما في الاستطلاعات التاريخية المصورة

«القافلة» تحتفل بعيد ميلادها الخمسيني، تمهيداً، بإذن الله، للوصول إلى العيد المئوي. لست أذكر تماماً متى بدأت «القافلة» تنشر مقالاتي، لكنني واثق من أن ذلك كان و«القافلة» بعد في عقدها الثاني (إن لم يكن حتى قبل ذلك). وقد فتحت لي «القافلة» صدرها وأكرمتني على ما عرفت مصادفة فيما بعد. والمقال الوحيد الذي اعتذرت عن نشره كان فيه إشارة – غير مقصودة طبعاً – إلى ظروف تاريخية سابقة خاصة.

في السنة ١٩٧١م دعيت لإلقاء محاضرات في كلية البترول والمعادن (قبل أن تصبح جامعة) في الظهران. يومها زرت مكاتب «القافلة». وأكرمني رئيس التحرير والعاملين فيها، وكان أن لقيت هناك الأستاذ عبدالحافظ كمال، مواطني وزميلي في الكلية الرشيدية في القدس، الذي كان يعمل في القسم اللغوي في المجلة. وكنت سعيداً في هذه الزيارة.

في السبعينيات من القرن الماضي كان رئيس تحرير «القافلة» في بيروت، وكان «نابليون» فندقه المفضل. اتصل بي وطلب مني أن أقابله. ذهبت إليه، وبعد الترحيب وتبادل التحيات التفت إلي وقال: «أنت من

الثقافة العربية والنفط: هل من تطبيع؟

«... متى يصبح النفط مواطناً في دولة الأدب العربي؟»

د. محمد جابر الأنصاري

الأديب والمفكر البحريني المعروف

قبل ربع قرن، في غمرة الطفرة النفطية الأولى، دعوت إلى أن نتجاوز بتفكيرنا المتابعة اليومية لتقلبات سوق النفط وأسعاره، وكذلك التداعيات السياسية المباشرة لأوضاعه في المنطقة والعالم، لنحفر نفقاً بين ظاهرته في العمق، وبين دهاليز عقلنا العربي وثقافتنا العربية. فقد اكتشفوه بتقدمهم، أفلا يجدر بنا توظيفه لتقدمنا؟

ولم يكن القصد من ذلك التقليل من جهد الاقتصاديين والسياسيين في متابعاتهم للشؤون النفطية فهو جهد نحن بأشد الحاجة إليه، ولا بد من استمراره. غير أن الهدف الأبعد كان يتمثل في محاولة جعل هذه الثروة القومية المصيرية هماً من هموم الثقافة العربية المعاصرة. ثقافتنا القديمة – شعراً وأدباً – كانت شديدة التفاعل مع واقعها، ونوقها وجمالها وشيحها وقيصومها وضباها وغزلانها وذؤبانها...الخ.

فإلى متى يبقى الاغتراب بين الثقافة العربية والنفط العربي؟ تساءلت في مقالة: «**متى يصبح النفط مواطناً في دولة الأدب العربي؟**» وناديت يا سادة... عربّوه ثقافياً، بعد أن تم تعريبه سياسياً فذلك أجدى من انشغال باحثينا بخمريات أبي نواس... الموضوع يا سادة تغيّر... العنوان تغيّر... أصبح اليوم (نفطيات بني يعرب) لا خمريات أبي نواس.

في مقالة أخرى قلت: مطلوب ضخ النفط في عروق الثقافة العربية ولم يكن قصدي تقديم الدعم المادي من الفوائض البترولية للمشروعات الثقافية العربية، فهذا ما تحقق في مشروعات ثقافية كثيرة بدول مجلس التعاون، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة وتقويم في غير هذه الوقفة الوجيزة، **فما قصدته هو: أن تتحرك قنوات الثقافة العربية المعاصرة بعلوم النفط واقتصادياته واستراتيجيته، وأن تنشغل الأدمغة العربية – بدل الإسراف في الشعر والبلاغة والتنظير، بمعنى آخر أن نشغل بالعلوم الحديثة التي يعتبر علم النفط فرعاً منها، وبهموم العالم المعاصر الذي يعيش على النفط ويتحرك به.**

واليوم في هذه الذكرى الخمسين لـ «القافلة» – «قافلة الزيت» بداية أقف لأكرر هذه الدعوة، بكل الإلحاح الذي تفرضه علينا تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، وهي التداعيات التي ما تزال في بداياتها وتتطلب منا منتهى التعمق في التحسب الاستراتيجي ومنتهى الحذر والحيطة بكل معاني الكلمة، أمناً واستقراراً وتقدماً ومصيراً. أود أن أقول أن النفط ما زال في قلب النص فإلى متى تبقى ثقافتنا العربية على هامشه؟

العرب ومثقفوهم «طبّعوا» مع كثيرين في العقود الأخيرة. ورغم أني لست مِن دعاة «التطبيع» المتداول، فإني أدعو بتواضع إلى تطبيع من نوع آخر: بين نفطنا وثقافتنا. ■

المبلغ المطلوب كان كبيراً، فالآلات المختلفة دقيقة الصنع وثمينة، ولم يكن المصور يملك هذا المبلغ، حتى لو سمح لنفسه بدفعه. لذلك استأنف الرجل سفره إلى تونس. فلم أكتب عن بلاد الجزائر. دخل تونس وصوّر، وكتبت عن الأماكن التي اخترتها.

حدث أنه كانت ثمة اضطرابات في ليبيا، فآثر صاحبنا العافية (ولو كنت مكانه لفعلت فعلته) وانتقل إلى مصر وتم التصوير. بالنسبة لي كان الطلب تحدياً، لكنني تقبلته ونجحت.

للقصة نهاية غير مفرحة. كان عندي عدد كبير من مجلات قديمة في البيت. وفي سنة ١٩٧٤م جمعت ما لا أريده، وفي نيتي التخلص منه. واتصلت بمؤسسة لتأتي إلى البيت لأخذه. وأوصيت الخادمة بالاحتفاظ بالجيد. وتغيبت عن البيت بضعة أيام ولما عدت وجدت أن الخادمة أخطأت وأعطت المؤسسة ما أريد أن أحتفظ به (مع أنني وضعت القسمين في مكانين مختلفين). وكان بين ما أفلت من يدي أعداد مجلة «القافلة» التي نشرت فيها لي مقالات كثيرة. عبثاً حاولت استردادها، فلم أنجح. ولما طلبت من إدارة تحرير المجلة تزويدي بالأعداد المهمة كان الجواب أنه ليس لديهم في الأرشيف ما يمكن الاستغناء عنه، سوى عددين.

استمرت علاقتي بـ «القافلة» من حيث تزويدها بالمقالات إلى أن أصبحت تعنى بالموضوعات والشؤون المعاصرة، فلم أكتب لها. أنا مؤرخ أصلاً، ورحالة مؤرخ فرعاً، وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية هو مجال اهتمامي. ولست معتاداً على تجاوز حدودي العلمية. على أنني أرجو أن أوفق يوماً إلى وضع مقال يحقق رغبتي من جديد في أن يظهر اسمي بين كتاب «القافلة».

كل هذا الذي كتبت كان محاولة لتوضيح خدماتي لـ «القافلة». ولكن آن لي أن أقول كلمة عما أفدته أنا منها، ولن أطيل: **«القافلة» بما كانت تنشره من مقالات علمية وأدبية معتنى بها مرفقة بالصور والخرائط كانت مدرسة. وأنا واحد من طلابها.**

وإلى الأمام - فالطريق أمام «القافلة» طويل وشاق ولكنها كانت دوماً تتغلب على الصعاب بهمة القائمين على شأنها وتعاونهم.

وما زالت الهمة موجودة ولا زال التعاون قائماً. **إذن، إلى الأمام!** ■

بالأمل والتي جاء فيها: «بسم الله نصدر أول عدد من «قافلة الزيت». وبعونه نوالي إصدار أعدادها المقبلة. وتأمل إدارة هذه النشرة أن تقدم لقرائها موظفي الشركة كل طريف ممكن وكل شائق ميسور وكل مفيد ممتع. ونرجو أن يكون هذا المشروع كبير الفائدة عظيم الأثر في نشر المعرفة والعلم. وسنبذل كل جهد ممكن في تقديم الزاد الفكري النافع فترضى عنه الخاصة وتستسيغه العامة». ولقد تحققت بفضل الله ومنته تلك الأهداف بشكل أكبر من التوقعات حيث أصبحت «القافلة» أحد رسل المعرفة في الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه ولم تعد فائدتها مقصورة على موظفي الشركة بل امتدت المساحة التي تقرأ فيها من المحيط إلى الخليج.

وقد التزم أولئك النفر الذين تعاقبوا على تحرير «القافلة» وإدارتها بتلك الوعود الخيرة لتصبح قافلة للثقافة العامة ديناً ودنيا وتغدو كذلك لبنة في البناء الثقافي المتطور الذي تشهده بلادنا العزيزة بفضل الرعاية الكريمة التي توليها حكومتنا الرشيدة للثقافة ومؤسساتها العامة المنتشرة في طول البلاد وعرضها: المكتبات العامة، والأندية الأدبية، والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، والمتاحف والمراكز التاريخية، والمؤسسات الصحفية، وغير ذلك من المؤسسات المعنية بالثقافة خارج إطار العملية التعليمية.

في البدايات كنت أظن أن هيئة تحرير «القافلة» لا تحفل إلا بما يكتبه كبار الأدباء والمفكرين مما جعلني أتردد كثيراً في التواصل معها إلا أنها استطاعت استدراجي للكتابة فيها، فكتبت عدداً محدوداً من المقالات التي لا تخرج عن إطار الأدب في الخليج العربي وتاريخه. وكم سررت عندما قرأت أول مقال بعثته لـ «القافلة» منشوراً في عدد شوال ١٤٠٢هـ وعنوانه «أدب المرأة في الكويت» ولئن كان لي من رأي فإنني أقترح الآتي:

١- أن يتفضل القائمون على هذه «القافلة» حثيثة السير بإقامة حفل تعارف يجتمع فيه الأحياء ممن كتبوا في المجلة بقدر الإمكان.

٢- محاولة عمل فهرسة لموضوعات المجلة وأعلامها خلال نصف قرن ليكون مرجعاً يستفاد منه للتوثيق بالنسبة للدارسين والمهتمين، بأوضاع الثقافة والأدب في البلاد العربية.

٣- إعادة طبع الأعداد التي نفدت وأصبحت نادرة الوجود وتقديمها لمن يطلبها بسعر التكلفة.

هذا ما أردت أو حاولت الإفصاح عنه في هذه المناسبة السعيدة، راجياً لهذه «القافلة» مزيداً من التقدم وللقائمين عليها التوفيق والسداد. ■

نصف قرن من الزاد الثقافي

«... إعادة طبع الأعداد التي نفدت وتقديمها لمن يطلبها بسعر التكلفة»

أ. عبدالله بن أحمد الشباط

أديب وكاتب، ومن روّاد الصحافة في المملكة العربية السعودية

عندما صدر العدد الأول من مجلة «قافلة الزيت» في شهر صفر عام ١٣٧٣هـ، كنت حديث عهد باتمام الدراسة الابتدائية. وكانت مطالعاتي آنذاك لا تتجاوز سلسلة قصص الأطفال، التي كان يؤلفها أو يترجمها ويصدرها من مصر الأستاذ كامل الكيلاني، يرحمه الله، ولم يكن لي أي اهتمام بمطالعة الصحف السيارة إلا ما كنت أحظى بالحصول عليه أحياناً من أعداد جريدتي «أم القرى»، و «البلاد» السعوديتين التي كان الوالد يرحمه الله يحضرها في بعض الأوقات إلى المنزل ولم يكن لدي الوعي لمعرفة لغة الصحافة وما هيتها وتأثيرها في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية. وعندما بدأت أعي هذا الدور بفضل التراكمات المعرفية السطحية التي كونتها لدي تلك المطالعات متنوعة المشارب صرت أنظر إلى مجلة «قافلة الزيت» على أنها مجلة دعائية تختص بأعمال الزيت وتعرف الناس بأعمال الشركة ورجالها خصوصاً وقد عرفها المشرفون على تحريرها آنذاك بأنها نشرة شهرية تصدر عن شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران لنشر الوعي الثقافي والصحي بين موظفي الشركة. ومن جانب هذا التوجه المهم كانت تستكتب كبار الأدباء والشعراء والكتاب في جميع مدن المملكة للمساهمة في تحرير المادة الأدبية والثقافية التي تحتويها أعداد المجلة خصوصاً بعد أن أسندت رئاسة تحريرها للأديب الأستاذ شكيب الأموي، يرحمه الله. حيث تطورت في عهده من ناحية تنوع المواد وزيادة عدد الصفحات التي تضاعفت من ٢٠ صفحة في أعدادها الأولى لتصبح ٤٠ صفحة ثم ٥٢ صفحة.

ولا شك أن النخبة من الأدباء الذين تشاركوا أو تعاقبوا على تحريرها كانت ذات أثر فعال في تطورها وتطور الوعي الثقافي بالمنطقة الشرقية وأخص بالذكر الأساتذة سيف الدين عاشور، عبدالعزيز مؤمنة، عبدالله صالح جمعة، فؤاد الريس، منصور مدني، مصطفى حسن الخان، علي حسن قناديلي، عبدالله الغامدي وعوني أبوكشك، ولا أنسى أولئك الذين اضطلعوا بالمسؤولية حين التأسيس الأستاذ حافظ البارودي. لقد كان لهذه النخبة الدور الفاعل في تطور هذه المجلة ووصولها إلى المستوى الذي هي عليه الآن. ولقد التزم القائمون على شؤون هذه المجلة إدارة وتحريراً بما سبق أن وعد به أول رئيس تحرير لـ «القافلة» في عددها الأول الصادر في شهر صفر من عام ١٣٧٣هـ الأستاذ حافظ البارودي من خلال تلك الافتتاحية المفعمة

أكثر من نافذة

«... كان عمالقة الأدب في الوطن العربي يلتقون على صفحاتها...»

كانت «القافلة» ولا تزال منبراً إعلامياً وثقافياً منذ أن صدرت عام ١٣٧٣هـ باسم «قافلة الزيت»، فاحتلت مركز الريادة ونالت قصب السبق بالنسبة للصحافة في بلادنا. وكان عمالقة الأدب في العالم العربي يلتقون على صفحاتها، ولم تزل «القافلة» **تقدم لقرائها ألواناً من الثقافة المتزنة إلى جانب اهتمامها بإنجازات العلم في مجال الاكتشافات النفطية، وكذلك إنجازات أرامكو السعودية في هذا المجال**، فهي ليست نافذة يطل منها القارئ على الأدب فحسب بل هي ربوة يطل منها القارئ على الصناعة النفطية التي تشكل عصب الحياة الاقتصادية في العالم.

وخلال الخمسين سنة الماضية استطاعت «القافلة» أن تحتل مكانة بارزة بين المجلات الثقافية في العالم العربي، للتميّز الذي حافظت عليه منذ صدورها، سواء في مادتها التحريرية أم في إخراجها الفني أم في طباعتها بمواصفات لا تتوفر للدوريات الثقافية الأخرى. ومحافظتها على هذا المستوى في الشكل والمضمون منحها هذا التميز، وهي في هذا الإطار واكبت ما طرأ على فنون الطباعة من تطور، واستجابت بشكل متواصل للإنجازات التي طرأت في عالم المطبوعات مستفيدة من التقنيات الحديثة في هذا المجال.

ومما يستحق الإشادة هنا أن «القافلة» تصل إلى قرائها في جميع أنحاء العالم دون أن يتحملوا أية تكاليف مادية، ليجد فيها الباحثون ضالتهم لمعرفة المزيد عن معطيات الثقافة وإنجازات صناعة النفط في المملكة والعالم. ■

أ. خليل إبراهيم الفزيع

قاص وكاتب سعودي، رئيس تحرير جريدة «اليوم» سابقاً

«القافلة» تسير

«استمروا في تعضيد رسالتها»

يقولون دائماً «القافلة» تسير للدلالة على حسن سير الأمور وتواصلها، وقافلتنا هنا هي مجلة «القافلة» التي منذ أن انطلقت منذ خمسين سنة لا تزال تسير تنشر الثقافة والمعرفة وتربط بين جسور الثقافات المتعددة. فمن بداية الخمسينيات الميلادية عندما بدأت «القافلة» في الصدور **والقارئ لهذه المجلة يستزيد في كل عدد من معارف ومناهل الثقافة الميسرة**. وتتميز «القافلة» وهي تدخل عامها الواحد والخمسين بخفة محتوياتها وغنى مضمونها وتنوع مقالاتها وإخراجها الواقعي والجميل مما جعلها تضيف رصيداً كبيراً من المعلومات لثقافة القارئ سواءً في المملكة العربية السعودية أو خارجها. كما تتميز «القافلة» أيضاً بأنها كانت، ولا تزال، **الصوت المحلي والدولي للثقافة السعودية بمجالاتها المختلفة**. وبهذه المناسبة أدعو زملائي في إدارة تحرير المجلة إلى الاستمرار في نهج المجلة وتعضيد رسالتها وعدم الاغترار بما يحدث في بعض المجلات الأخرى من التطور في الشكل وفقدان المضمون والرسالة.

وإلى خمسينيات أخرى بكل نجاح بإذن الله. ■

د. فهد بن عبدالله السماري

رئيس دارة الملك عبدالعزيز، المدير العام ورئيس تحرير مجلة «الدّارة»

«تستاهلين... الماس»

«...اللقاءات الأولى بين صبية تتهجأ اللغة ومجلة في ألق صباها»

قالت لي هيئة التحرير لابد أن تشاركينا احتفالنا بالعيد الذهبي لمجلة «القافلة» فأعادتني بالزمن إلى أول لقاء لي بقافلتنا العزيزة.

بمحض الصدفة مرّت علي أعداد منها وأنا طالبة في المدرسة الثانوية في البحرين. وابتدأت بيننا علاقة نهل ثقافي... أنا صبية متعطشة للعلم وعاشقة للغة وهي مجلة تأتي بكؤوس محملة بالنصوص الشهية والطروحات المغرية.

قرأت تلك الأعداد الأولى بلذة وشغف. أعجبتني الصور الجميلة والإخراج المحترم والموضوعات المتنوعة والمعلومات الغزيرة. مطبوعة ثقافية بمعنى الكلمة.

وقتها لم يكن في الساحة الخليجية ما يملأ كل الفراغ الشاسع فيها... والمطبوعات الثقافية الموجودة كانت شحيحة ولا تصمد في ساحة المنافسة... والمقارنة لم تكن عادلة... حتى في البحرين لم يكن هناك سوى مجلة «البحرين» ومجلة الإذاعة «هنا البحرين».

صرت أترقب وصول «القافلة» كل شهر بتشوّق لأستمتع بالقصص القصيرة والقصائد المنتقاة بذوق أدبي رفيع.

ولأن الرسم كان أول هواية مارستها بشغف كانت اللوحات الجميلة في «القافلة» تشدني للتوقف عندها وتأمل جمالياتها الخاصة. وكنت أستفيد من المعلومات العلمية وأتعلم من التحقيقات وأسيّج لغتي بالنصائح اللغوية. ■

د. ثريا العريض

كاتبة وشاعرة سعودية

أصدقاء الحرف وأحباب الكلمة

«القول للمحسن أحسنت»

«القافلة» أو «قافلة الزيت» مجلة رائدة في دنيا الثقافة السعودية، كانت ولا زالت مدرسة ينهل منها القراء على مدى خمسين عاماً، حفلت أعدادها بألوان المعرفة وشكول الأدب... فهي لم تقتصر على أبحاث البترول وصناعة النفط وإنما وسعت دائرة اهتمامها بكل ما يهم شرائح المجتمع وفي طليعتها أصدقاء الحرف وأحباب الكلمة.

وقد تابعتها منذ أول أعدادها وعن طريقها عرفت أسماء بارزة من الكتّاب السعوديين والعرب... واستمتعت بقراءة الشعر الجيد والقصص المشوقّة، والفكر الرصين... فهي بحق مجلة تستحق القراءة والمتابعة لأنها تهتم بقارئها وتحرص على استقطابه... وما دليل نجاحها إلا هذه الاستمرارية والحرص على التفوق برغم تعاقب السنين وكثرة ما استجد بعدها من عشرات المجلات والصحف المحلية والخارجية... فقد ظلت محافظة على بصمتها وعلى منهجيتها مما زادها احتراماً وتقديراً لدى المعجبين بها والحريصين على اقتنائها... فهي سجل تاريخي موثق لنهضة المملكة منذ أن فتح الله لها كنوز الأرض على يد مؤسسها الملك عبدالعزيز، يرحمه الله. **ولقد أحسنت أرامكو بإصدار هذه المجلة منذ البدايات المبكرة لقيامها بالتعريف بدورها الفاعل في تنمية موارد البلاد من الثروة البترولية والإسهام في تحريك الساحة الإبداعية والثقافية بكل جديد ومفيد.** ثم إصرارها على تطوير هذا الإصدار وترقيته وتذليل أية عقبة تحول دون ذلك حتى احتفلنا اليوم باليوبيل الذهبي لـ «القافلة» وهي تسير بكل همة ونشاط إلى أهدافها السامية لإثراء الحركة الثقافية والتنويرية لبلادنا الغالية وسائر الأقطار العربية.

ولأنني قارئ متابع لها منذ ولادتها وحتى هذه اللحظة فإن من حقها علي أن أشيد بها وبالقائمين عليها للمثابرة والعمل الجاد المتواصل... كما أشاركهم الفرحة والابتهاج لهذه الذكرى الغالية التي تعتبر تتويجاً للجهود الصادقة والإنجاز الدؤوب والعطاء المثمر. من باب القول للمحسن أحسنت... مع أطيب الأمنيات بعمر أطول وازدهار أكبر إن شاء الله تعالى. ■

أ. محمد بن عبدالله الحميد

أديب سعودي،
رئيس النادي الأدبي بأبها

وأسعدني وقتها أن جاءتني تعليقات إيجابية من الجوار القريب والبعيد... ومن مختصين في المجال - تناقش ما كتبت في المقالتين. استغربت ذلك إذ لم أكن أتوقع أن تقرأ «القافلة» إلا في إطار حميمية الجوار. وأطلعني الزملاء يومها على قائمة طويلة لأسماء وعناوين من ترسل إليهم المجلة من البحاثة والأدباء، وقائمة أخرى أطول بأسماء من يطلبون أن ترسل إليهم بانتظام.

اليوم تحتفل «القافلة» بعيدها الخمسين... عقود من السطور الذهبية المضيئة ونشر الثقافة. ولعلها ستحتفل يوماً بعيدها الماسي المئوي. ولكنها في طموحها هذا تواجه تحديات كثيرة لم تكن هناك في العقود الذهبية الأولى... **متطلبات ثقافة الجيل تغيرت مع احتياجات العصر... والساحة الخليجية والعربية تفيض بالمنافسين... والأوضاع تغيرت ليتحول التركيز إلى الجوانب العلمية والتقنيات الحديثة... من يدري إن كانت الإصدارات الورقية ستصمد في عالم الثقافة الإلكترونية؟**

ولكني أتوقع أن تواكب قافلتنا عصرها وأن تشارك في مسيرة التطور فتصبح مجلة إلكترونية تتناول الموضوعات الفكرية والعلمية الراهنة... وتصلنا ليس عبر البريد العادي بل قنوات المستقبل التقني: عبر البريد الإلكتروني والإنترنت.

و لا أشك في أنني لن أكون هناك حين تختفي الطبعة الورقية وتصبح تاريخاً في ذاكرة المختصين... ولكني موقنة أن جيلاً جديداً من القراء والمحررين والكتّاب سيحتفلون بها متألقة في عيدها يومئذ.

وأستبق كل ذلك لأقول من الآن:
«ألف مبروك... وتستاهلين الماس يا غالية». ■

ولم أعلم وأنا أقلب الأوراق الصقيلة لتلك الأعداد من «القافلة» بأنني في يوم ما سأصبح جد قريبة منها، وأتعرف شخصياً على من يتحملون مسؤولية إصدارها متألقة كل شهر. لم أكن لأتنبأ بأنني سأعمل في أرامكو حيث تصدر. ولا أنني سأدخل من بوابة العلاقات العامة التي تنتجها. وهذا ما حدث بعد سنوات طويلة من تلك اللقاءات الأولى غير المخطط لها بين صبية تتهجأ اللغة ومجلة جميلة تشع ثقافة في ألق صباها.

سنوات مرت... كبرت الصبيتان...

أنا؛ تابعت الدراسة حتى الجامعة، أسترق منها بعض الوقت الثمين للقراءة خارج المراجع الدراسية حيثما استطعت، وهي ظلت تقدم لي - كلما وصلت إلى يدي - تلك المتعة الأولى ملفوفة في أغلفتها الجذابة. وتخرجت ثم تابعت الدراسة في بيروت ثم الولايات المتحدة. هناك أيضاً كنت أطلع عليها أحياناً هي وشقيقتها باللغة الإنجليزية «أرامكو وورلد». وعدت بشهادتي العليا لأستقر في مدينة الظهران - مسقط رأس «القافلة» - ثم اخترت أن أعمل في هذه الشركة العملاقة. ودخلت عالم النفط وهي جزء من تفاصيله.

وخلال العشرين عاماً التي مرت منذ ذلك الحين تعرفت على الزملاء العاملين فيها والمشرفين عليها لأكتشف توجهاً واعياً في إدارة العلاقات العامة يتأكد من استمرارية وجود نخبة من عمالقة اللغة والأدب والشعر والفن ومحرري البحث الثقافي تجتمع جهودهم معاً لتصقل «القافلة» في صيغة إطلالتها النهائية المتميزة. كان من بين المميزين الذين تعرفت عليهم الأساتذة: إسماعيل نواب، وجبر صالح جمعة، وعبدالله الغامدي، وسليمان نصرالله، وإبراهيم الشنطي، وعوني أبو كشك، ويعقوب سلام، وعبدالله خيرت، رحمهما الله، و علي المرهون، والشاعران الأخوان علي الدميني ومحمد الدميني، والفنانة منيرة موصلي.

لم أكتب كثيراً في «القافلة» رغم أن الدعوة لفعل ذلك تكررت كثيراً، والعتاب على عدم التواصل استمر مع كل رئيس تحرير أو مشرف جديد. ولهم العتبى... **ولا عذر لي سوى أنني كنت أستمتع أكثر بأن أقرأها من أن أكتب لها.** أول مرة كتبت في «القافلة» الشهرية كانت قبل أكثر من عشرين عاما... نشرت لي مقالة مطولة عن التربية والتخطيط التربوي. ومقالة أخرى عن التنمية والتخطيط التنموي. وفاجأني

«القافلة» بين الغدو والرواح...!

«أشم في «القافلة» عبق الشباب وذكرياته الجميلة»

د. حسن بن فهد الهويمل

أديب وناقد سعودي،
رئيس النادي الأدبي بالقصيم

كلمة «القافلة» من كلمات التفاؤل، لأنها تطلق على الركب في غدوهم ورواحهم، حين ينطلقون لغزو أو تجارة أو طلب علم يقال عنهم: قافلة، ولما ترجع تفاؤلاً برجوعها غانمة.

والعرب يتفاءلون دائماً، والرسول صلى الله عليه وسلم: يعجبه «الفأل»، ولهذا غيّر أسماء بعض الصحابة، وتفاءل بموفد قريش (سهيل) وتطلع إلى تسهيل أمور المسلمين في تفاوضهم، ويسمون (اللديغ) (سليماً) تفاؤلاً بالسلامة.

والذي أطلق هذا الاسم على تلك المطبوعة ربما ارتبط بقوافل المنقبين عن البترول في بداياته، وظفر بعضهم بالعثور على مكامن بترولية غيّرت ملامح الإنسان السعودي، و«القافلة» المجلة تشكل رافداً ثقافياً من روافد الثقافة، وبلوغها خمسين عاماً من العطاء المتواصل مؤشر حرص على ألا تكون مطبوعة دعائية، تموت كما تموت مفردات المناسبات.

لقد عرفتها قبل أربعين سنة، وسعدت زمناً باستعارتها من بعض الكبراء الذين تهدى إليهم، ثم لا يجدون مزيداً من الجهد والوقت لقراءتها، وكم تكون الإهداءات كالولائم يدعى لها الموسرون ويصرف عنها الغرثى الجائعون، غير أني لم ألبث أن سعيت جهدي للحصول عليها، وبعد لأي ومشقة أدرج اسمي، وبدأت تصل إلي تباعاً، وكنت أدل بها على لداتي، وأحتفظ بالمظروف الأصفر القوي، وقد يأخذه بعض المسنين من الأقارب لحفظ الأوراق المهمة، وفجأة انقطعت، ففقدت بفقدها الثقافة والمباهاة، وبعد أمة عادت إليّ، ولأنها كانت من أوائل المجلات التي

كلمة أملاها عليّ تواصلي بـ«القافلة»

«...أكثر ما يستهويني الاستطلاعات المصورة..»

أ. فاضل السباعي

أديب وكاتب مسرحي وقاص
من سوريا

هذه كلمة أملاها علي تواصلي بمجلة «القافلة» منذ أن نشرت لي أول مرة قصة عنوانها «عينان سوداوان» (صفر ١٣٩٠هـ، أبريل ١٩٧٠م) في عهد رئيس تحريرها الأسبق طيب الذكر الأستاذ منصور مدني... كتبت الكلمة بعد أن لفتني صديقي «ياسر الفهد» إلى اعتزام المجلة الاحتفال بعيدها الذهبي.

ما أقرؤه من مادة تنتشر في مجلة «القافلة» التي أراها تزداد قشابة عاماً بعد عام يمتاز بالتنويع والتوسيع. وكأن القائمين عليها أخذوا على عاتقهم أن يفرضوا المشارب والنزعات كلها، **فلا يدعوا قارئاً وقع عدد من المجلة في يده إلا ويجد فيه ما يغريه بالقراءة**، فأغنوا صفحاتها بما تنخلوه من الآداب والفنون، ومن العلوم في مختلف تفرعاتها. ولعل أكثر ما يستهويني من ذلك الاستطلاعات المصورة التي يتعهدها كتاب وبحاثون جادون فمن حديث معمق عن «طرابلس، الأثر المملوكي في لبنان» إلى «أقصى بقعة في أرض اليمن»، ومن الحديث عن ثورة الورق إلى الحديث عن اختيار الرفيق في عالم الحشرات والحيوان. استطلاعات وبحوث جديرة بأن تكون بين المراجع التي يعود إليها الأدباء والباحثون.

وسوف يحفر في الذاكرة ما تحقق لي من الاستمتاع لدى قراءتي ذلك الاستطلاع عن «الغوص في الصحراء»: ينابيع، عالم ثر من المياه العذبة ترقد تحت سطح الأرض، أشبه ببحيرات، فاتحة أفواهها أو دخولها لمن يريد دخولها استجلاباً للماء، في منطقة الخرج، جنوبي العاصمة، الرياض. شيء ما كنت أعرفه ولا سمعت به، استفدته من ثمرة جهود مغامر باحث اسمه إيرك بجور سترومز. ■

حين كادت «القافلة» لن تعصف بقافلتي...!

«كانت «القافلة» بذلك عدة مجلات لا مجلة واحدة. وحبي لها يغلب على عتبي عليها»

د.محمد العيد الخطراوي

أديب وشاعر من المدينة المنورة، نشرت له «القافلة» العديد من القصائد.

لقد تعاقب على رئاسة تحرير هذه المجلة مجموعة من رؤساء التحرير، مما كان سبباً في تجديد دمائها في كل مرة يحس فيها القائمون عليها بشيء من الترهل التحريري، ومبدأ تغيير رؤساء التحرير لا شك أن له إيجابياته وسلبياته، فالتعجيل في التغيير قد يحرم أحدهم من إنجاز استراتيجياته التي كان قد وضعها حينما تسلم زمام التحرير في المجلة، كما أن التأجيل قد يكون سبباً عند آخر لتراكم الأخطاء، فالتعامل مع هذا الأمر إذن ينبغي أن يكون بحذر وحكمة. والذي يهمني الآن أن أشير إلى أن «القافلة» كانت بذلك عدة مجلات لا مجلة واحدة، **فلكل فترة تحريرية نكهة وطعم خاص، وربما كان لكل فترة موضوعات وكتاب، لا تحيزاً، وإنما هو الاجتهاد ونشدان الأفضل من وجهة نظر المحرر. لذا فإنني أحسب أن الطبقات التحريرية بـ «القافلة» ذات خصائص تجعلها شبيهة بالطبقات الجيولوجية للأرض.**

وإذا كانت حصة الأدب قليلة في موضوعات المجلة، من شعر ونثر، فإن الجهد العلمي الذي تبذله المجلة في نشر الثقافة العلمية بالمملكة العربية السعودية، يحسب لها، ويعدّ من حسناتها، ولا ينكره إلا جاحد أو مغرض، مما جعلها في كثير من الأحيان مرجعاً لبعض الأساتذة بمراحل التعليم العام في رسم الخرائط العلمية وتقديمها لطلابهم، ومن ثم استعانة الطلاب بها أيضاً في كتابة بعض الموضوعات والواجبات المدرسية، كل هذا يعني أن لـ «القافلة» حضوراً علمياً مدرسياً واضحاً، وقف وراءه كمٌّ كبير من جهود أسرة التحرير التي تذكر فتشكر، فإذا أضفنا إلى ذلك أنها توزع مجاناً، ويجتهد القائمون على أن تصل إلى أيدي جميع المثقفين، ودور العلم، ومراكز الأدب والفكر

فتحت عيني عليها فإنني أشم فيها عبق الشباب وذكرياته الجميلة، كنت أقرؤها في مطلع شبابي، ثم لا أفهم شيئاً منها، وأخفي في نفسي ما الله مبديه من سذاجة وتعاظم، وكم أخرج بها إلى مدرستي ممرساً المباهاة من خلالها لأثير بها فضول أساتذتي، حتى إذا طلبوها أشعرتهم أنني لم أستكمل قراءتها، وأذكر جيداً أنني أعدها من الكتب بحيث أضعها وسط الأرفف وأكتب إسمها في قائمة المكتبة، كل ذلك كان في بدايات حياتي، وهي بدايات عذبة أذكرها كلما حمل البريد نسخة من «القافلة». ولما امتدت بي الحياة أضفت إليها «مجلة المنهل» و«مجلة الإذاعة السعودية» و«مجلة الزراعة» و«الإشعاع» التي كان يصدرها الأستاذ سعد البواردي، وحين انقطعت «القافلة» ثارت ثائرتي، فجعلت ولائي لما سواها، غير أنها عادت كأجمل ما تكون العودة.

وبعيداً عن الذكريات والمواقف الساذجة فإن «القافلة» تشكل رافداً من روافد الثقافة والمعرفة داخلها وخارجها، إذ لم تكن مطبوعة مرتبطة بطبيعة أعمال الشركة، واستقطابها لمشاهير الكتاب ونوابغ الشعراء وأفاضل العلماء، وإتقانها لفنون الاستطلاع والإمكانات المتوفرة لها وبراعتها في الطباعة والإخراج، مكّن لها في سائر المشاهد الثقافية محلياً وعربياً، ولقد استطاعت استكتاب عمالقة الفكر والأدب الذين طواهم هادم اللذات، فكانت بهذا مرجعية للدارسين وللعمالقة من مفكري العالم العربي وأدبائه، وفي الوقت الذي وقعت فيه المطبوعات تحت ضوائق الإقليمية لم تكن «القافلة» واقعة في ذلك، ومن ثم استطاعت أن تؤاخي بين مختلف التيارات الفكرية والأدبية، وأن ترقى بمستوى المادة والإخراج، ولا شك أنها واحدة من المدارس الصحفية التي وعى مبادرتها المتابعون لها، وعلى مدى خمسين عاماً.

ما نريده من المجلة بعد هذا المشوار الطويل أن تعي جيداً المتغيرات، وأن تضع كل الاعتبارات لما وصلت إليه مراكز المعلومات، وأن تقترب من الشارع العام في موادها وتغطياتها، وأن تضاعف الصفحات، وتقلل من النصاعة والتكلفة، وأن تهتم بالملفات والقضايا الفكرية والأدبية، وأن تبني في كل عدد محوراً معرفياً تستكتب عنه لفيفاً من ذوي الاختصاص، وأن تجمع في كل عام أهم الاسهامات في كتاب رديف يحمل كلمة (قافلة الزيت).

وفي الختام أتقدم بخالص الشكر لكل الذين أسهموا في صناعة هذه المطبوعة، ولكل الذين ذكروني بوصفي قارئاً ومتابعاً للمجلة العريقة، ومزيداً من العطاء والتجديد. ■

علاقتي بـ«القافلة»

«...كانت تأتي كالنسمة المنعشة المنطلقة من جوف سواد واحة وارفة»

د. إحسان علي بوحليقة

عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، كاتب صحفي معروف، متخصص في المعلوماتية

علاقتي بمجلة «قافلة الزيت» تعود لقرابة ثلاثة عقود، بدأت في وقت كانت المطبوعات الأنيقة نادرة، وتلك التي تجمع بين جمال العرض وتنوع الموضوعات أكثر ندرة. وتعاون مع ندرة المطبوعات ندرة في المال جعل ثراء الصحف والمجلات خارج سلم أولويات العموم. وفيما عدا الكتب، فمجلة «العربي» كانت مسيطرة على مشترياتي من المجلات. أما «القافلة» فكانت تأتي كالنسمة المنعشة المنطلقة من جوف سواد واحة وارفة لا يمكن ربط إتاحتها بقروش أو ريالات. كانت هدية قريب كريم يعمل في أرامكو السعودية، يسارع بجلب العدد إثر العدد من «القافلة» دون تأخير.

وعبر «القافلة» تعرفت على الأقوال الأثيرة، ومع اتساع مداركي أخذت أقرأ قصائد لكبار الشعراء والكتاب، وأخذت أعرج مع مرور الوقت على موضوعات أقل تقليدية وأكثر تعقيداً تتناول العلوم البحتة والصناعة والبيئة.

وفي ذكراها الخمسين، أقر أن «القافلة» كانت مرتكزاً لمشروع ثقافي لشركة تستكشف وتنتج وتصدر النفط، أسهم في تنمية مدارك كثيرة، وأتاح نافذة تمتلك إطلالة تبعث على الابتسام والتعلم والتفكر، وتغري بالاستزادة... آمل لذلك المشروع الثقافي أن يتطور ليبهر جيلاً يعايش طوفاناً إعلامياً ومعلوماتياً، كما أبهرني وأقراني في وقت الجدب والندرة... ■

والثقافة، علمت أي جهد يبذلون، وأي شكر منا يستحقون، غير أننا نلمس في بعض فترات تحريرها نقصاً في نسبة الكتاب والشعراء المحليين، وفتح الباب واسعاً أمام غيرهم، وهو أمر يتقلص بتقادم العهد، ويزول ببناء جسور الثقة بين الكتاب وأسرة التحرير. ونتمنى بهذه المناسبة أن تضيف المجلة إلى حسناتها مساحة أوسع للأدب والثقافة الأدبية.

ولعل من أطرف ما كان لي مع «القافلة» التي أرسلت إليها قصيدة غزلية بعنوان «الريلة الشوهاء» وذلك قبل خمسة وثلاثين عاماً تقريباً، وفوجئت بها منشورة بعنوان (ليلاي)، ووقعت المجلة لسوء حظي في يد إحدى صديقات واحدة من بناتي، فأتت بالمجلة إليها، وأعلنت أمام زميلاتها بالمدرسة: أن أباك يحب امرأة اسمها ليلى، ويكتب فيها شعراً، ويعلن في الناس أنه يحبها. واستشاطت ابنتي غضباً وجاءت إلى البيت باكية، وطرحت أمامي المجلة كأنني ارتكبت جريمة بشعة، وارتبك البيت لمدة أسبوع، ولم أسيطر على الموقف إلا بعد إقناع الأم بأن هذا مجرد شعر، أي والله مجرد شعر! فانظروا كيف كادت قافلتكم أن تعصف بقافلتي؟ على العموم أنا سامحتكم وسامحت روحي، كما تقول السيدة أم كلثوم، وابنتي صاحبة المشكلة صارت بحمد الله جَدّة. وإذا كنت في هذه المناسبة، مناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس المجلة، قد دعيت إلى الكتابة، فإنني بعض الأحيان أصدم بالاعتذار لسبب مجهول عن نشر ما قد أرسله إلى المجلة من شعر، وأنا الذي تحمست لها في داخل نفسي وخصصتها بشعري دعماً ومساندة وإيماناً مني بدور هذه المجلة على امتداد نصف قرن، مما جعلني أنصرف عنها، ولا أغامر بإرسال إنتاجي إليها. ولكن ها أنا أعود، فأستجيب لدعوتها لي بالمشاركة. ويبدو أن حبي للمجلة يغلب على عتبي عليها، ولا شك أن مجلة «القافلة» جديرة منا بالوفاء والتشجيع والتقدير لما قدمته وتقدمه في مجالاتها العلمية المختلفة من خدمة للمجتمع السعودي في جوانب عديدة، في صمت وبفكر، سدد الله خطاها وزادها توفيقاً... ■

أتراني أغالي إزاء شأن عادي، كما تفترض استيهامات العاشق؟ ربما، **فسيرتها لا تكتب إلا بدموع ذرفناها تأثراً لمآلات أبطال قصص قرأناها ببراءة الصغار، وعلى إيقاع ضحكات رنانة أطلقناها ابتهاجاً بمفارقات رسوماتها الكاريكاتورية، وبدفقة حنين متأججة تعيدنا إلى صفاء النبع.** كل هذا نستعيده لنتذكر ما كنّاه وما سنكونه، فهي ممرنا الأول إلينا، وبمعنى أو بآخر، هي ذاكرة احتياطية لأجيال، يوم كان البحث عن الفكرة الصادمة، أو القصيدة الحديثة، أو القصة المترجمة، أو الحدث العلمي ضرباً من العبث لإضافة مستحيل رابع، فلم تكن «القافلة» حينها، بحكم الشح الفاجع في الثقافة المكتوبة، تنافس إلا الإصدار الأحدث من «القافلة».

لم تعد «القافلة» اليوم كما كانت فهي أشبه بالمنزل القديم الذي لا يفتأ صاحبه يحدّث واجهته لكنه لا يجرؤ على ملامسة حميمية أجوائه الداخلية، لئلا يتبخر عبق الماضي منه، لذلك نتردد كثيراً قبل ارتيادها، فليس بين زواياها اليوم ما يغري. وربما، لأننا كبرنا بما يكفي لمنادمة أصدقاء جدد لهم من الدربة والتأثير ما يكفي لإشباع حاجاتنا الروحية والمعرفية أكثر مما تطيقه «القافلة»، ولا أدري حقيقة لماذا لا تتورط «قافلتنا» في المشهد الثقافي المحلي بما يقنع الكثيرين لبعث الهاجع من أحاريكها، فما تقدمه «القافلة» اليوم بات عمومياً، ويمكن امتصاص أضعافه من خلال لقطة إعلامية مرئية، مقروءة، أو مسموعة، في ظل الانهمار المعرفي حد الاغراق. أتذكرها اليوم، لا لأرثيها، ولكن لأعلن إمتناناً مؤجلاً لعقول وثقت باللحظة لتتماسك ذواتنا في المستقبل. وطالما لوّحت ببصيص من النور لنرى ما يمكن أن نكونه الآن. أجل، كانت تدبر هذا الكيان، وتديره باقتدار ووضوح. رعت الفكرة حتى صارت واقعاً، بل كياناً بشرياً، يعيد تفكيك الفكرة مرة أخرى وانتاجها وفق لحظته.

«كيف حال «القافلة»... أما زالت تصدر؟»

ألا يستحق أولئك الذين انحفرت أسماؤهم في ذاكرة طفولتنا الطرية شيئاً من التذكر والوفاء!؟ وعهداً على مواصلة ما حلموا به، ولسبب أو لآخر، لم يبلغ منتهاه كما أرادوا!؟ **ربما تكون طريقتنا أو وسيلتنا الوحيدة لإقناعهم بأن ما أسسوا له عصي على النسيان، ويمكن مواصلته، ولن يتوقف إذا أردنا، هذا ما أتمناه وأخشى ألا يحدث العكس، أي أن تتحول «القافلة» إلى مجرد ذكرى رمادية في دفتر عمرنا، فكل شيء لا ينمو يؤول إلى الموات.**

وهذا الطفل الذي وقف مبهوتاً وساذجاً في ظل شجرة اسمها «القافلة» يستطيع اليوم، بل له الحق أن يعاتبها عتاب الأصدقاء، لأن ظلها لم يعد مديداً وناعماً لدرجة تبعث الخدر، فكل الوصايا تقول بأن المستقبل شجرة بعمر الأجيال يزرعها الأسلاف ويحصد ثمرها الأحفاد ليؤكدوا بنوتهم وحقهم لتمكيث ذواتهم في المكان، هذا ما أحسه إزاء «القافلة» في عامها الخمسين. ■

يوم كانت «القافلة» الفصل الأكثر احتشاداً بالتلاميذ...

«كيف حال «القافلة»... أما زالت تصدر؟»

أ. محمد العباس

أديب وناقد سعودي

ما أن يعرف محدثك بأنك من أبناء الساحل الشرقي، وأنك أحد موظفي أرامكو السعودية، حتى يباغتك بسؤال مبتل بالحنين عنها، وكأنه يبالغ في الإطمئنان على عافية صديق قديم مشترك. كيف حال «القافلة»؟ أما زالت تصدر؟

طالما فاجأني هذا السؤال من المهتمين بالشأن الثقافي أنى اتجهت، فأثار في ذاكرتي لذاذة الاستقبال الأول لطوباوية فكرة «القافلة».

ويدهشني أكثر، إحساس أولئك المبعثرين زماناً ومكاناً، بالامتنان العميق لـ «القافلة»، فقد كنا جميعاً أمام تلك المفاجأة الثقافية الفاتنة، بحاجة إلى تفسير قاموسي، وتقريب ذهني، لشرح مفردة «مجلة». وكم حيرني بريق عيني أبي بابتسامته العذبة وهو يدفع ناحيتنا تلك الأضمومة من الأوراق المبهجة. ترى هل كان يدرك خطورة الكلمات، وما الذي يمكن أن تفعله بتضاريس عقولنا الصغيرة، فتواطأ ضمناً مع تلك الأقلام على إعادة تشكيلنا!؟

كنت أظن أن المديونية الاعتبارية لتلك المضخة المعرفية الروحية تقتصر على فئة محدودة بشرياً وجغرافياً، لكن يبدو أن «القافلة» شكلت وعي الكثيرين بصورة يصعب الإلمام بمدى استرسالها العمودي والأفقي، وتجذرها في نسيجنا الاجتماعي، فبالإضافة إلى كونها زاداً معرفياً، بدت مقترحاً سلوكياً، وأخلاقياً، تجاوز ببراعة وتلقائية انتصابات المادي إلى مجازية المعنوي، فكانت تلوّح بيقين العارف، وعن بعد، بحياة عصرية ممكنة، يمكن بشيء من الانفتاح الذهني الشعوري تمثل مستوجباتها، والامتثال الطوعي لشروطها، بما هي متأتية في زي ثقافي جذاب.

أجل، فقد كانت «القافلة» يومها خطاب الظل المعرفي والفني الموازي لصرامة الخطاب المدرسي ومحدوديته، حتى في التنويع على شكل الخط الذي كانت تكتب به، ولست أبالغ، إذا قلت بأنها كانت الفصل الدراسي الأكثر احتشاداً بالتلاميذ. وبالنسبة لي لم تكن «القافلة» مجرد واقعة معرفية، بل حدثاً عاطفياً بامتياز، فقد عرفتها صديقاً بأناقة المدرس، وبدراية الموسوعة، وبأثيرية ألبوم صور قديم، وبرحابة المتنزه الوحيد، وبأنس الصاحب الأكثر طرافة.

الحكومي، جاء هاتف من شركة «أرامكو» يدعوني للحضور وتوقيع عقد معهم، فاعتذرت وفضلت عمل الحكومة ولم أندم.

لم تنقطع علاقتي بـ «القافلة» قراءة. كانت مجلة جميلة جامعة، وبسيطة، ووجدت مقالَيَ منشورين بها، بعد شهر تقريباً، ثم أتتني المكافأة للمقالين وكانت أول مكافأة أستلمها مقابل الكتابة، وأتذكر أنني فرحت كثيراً وقتها ولعلها كانت الفاتحة، فكتبت في جريدة «اليوم» ومن ثم انطلقت لعدد كبير من الصحف بالداخل والخليج، وبعض الدول العربية، واستقر بي المقام في «الرياض» الجريدة، منذ أربعة عشر عاماً.

«القافلة» كانت تمثل وجهاً ثقافياً واجتماعياً بالمنطقة، حين كانت الكتب والمجلات نادرة بعض الشيء، وكانت تصل لأيدينا وتمدنا بأفكار ومعلومات وأحياناً تطلعنا على منجزات أو أحدث ما توصل له العلم، ولا تنسى الأدب والفن وتستعرض لنا بعض الكتب. **لقد كانت نافذة جميلة في وقت كانت الستائر مسدلة.**

«القافلة» كانت أيضاً توثيقاً للحياة في المنطقة وتوثيقاً جميلاً للحياة الاجتماعية لموظفي أرامكو، وسجلاً متحركاً لحياتهم الوظيفية. تفرح العمال والموظفين أسماؤهم المنشورة بها، وما حققوه من ترقية أو مناسبة اجتماعية.

كبرت «القافلة» مع من كبر وتنوعت أبوابها، لكنها كانت دائماً بمنأى عن السياسة، وهذا ما جعلها تسلم وتستمر.

وظهرت كتب ومجلات وفتحت أبواب عديدة للثقافة والأدب، لكن «القافلة» بقيت تمثل شيئاً له خصوصية في هذه البقعة من الوطن، وتلتقي من خلالها أقلام كثيرة لتكتب.

وها هي تجتاز عتبات الكهولة بثوب متجدد، ففي كل مساراتها ينزل من عرباتها كتّاب ليلتحق بها آخرون جدد، ويتجدد دمها، لكن تبقى بعيداً عن السياسة وبعيداً عن هموم كثيرة توجع الرأس.

فتحية لـ «القافلة» في عامها الخمسين ولا شك أنها ستواصل السير وهي تتجدد عطاءً وشباباً. ■

«القافلة»... وجه المنطقة الثقافي والاجتماعي

«...هذا ما جعلها تسلم وتستمر»

أ. شريفة الشملان

قاصّة وكاتبة صحفية سعودية

ما زلت أذكر خطاي الحيية وأنا أجتاز بوابة أرامكو متجهة لمجلة «قافلة الزيت» كما كان اسمها سابقاً، أقدم رجلاً وأؤخّر أخرى، كنت أبحث عن فرصة عمل في مؤسسة صحفية تناسب ميولي وشهادتي العلمية. ويأخذني ذهولاً الهدوء والتنظيم، كما ترهبني اللغة الغريبة هنا وهناك وأشعر أن البوابة تضيق بي.

لم تكن الأبواب موصدة، والوجوه التي وجدتها سمحة كانت، وأذكر أنني قابلت الأستاذ عبدالله بن صالح بن جمعة، الرئيس الحالي للشركة، وملأت استمارة طلب التوظيف.

طلب مني تقديم نموذجين لمقالين بموضوعين مختلفين وقدمت ما طلب للحظتها، ومضيت. لم أنتظر الرد، كنت متهيبة من عمل في شركة يأخذني كثيراً من بيتي وطفلي الذي أحمله بين يدي وطفل سيطرق الأبواب قادماً، كان ذاك في أواخر عام ١٩٧٣م، فتقدمت للعمل بالشؤون الاجتماعية، وجاء تعييني بها، وفي اليوم الأول لدوامي

وقد استطاعت «القافلة» أن تكون صوتاً ولو بصورة محدودة لموظف الشركة وإنسان المنطقة، كما استطاعت أن تحمل إليه أيضاً آخر ما توصل إليه «العمل والطب والاختراع» وهذه كانت من الزوايا السابقة للمجلة لزمن طويل إن كنتم تتذكرون.

وقد يرى عدد كبير من قراء «القافلة» الذين لهم حق عليها، ولها حق عليهم بحكم الإلفة، أن المجلة شديدة الجدية وجافة في مادتها، وينقصها الكثير من عناصر التشويق، كما تفتقر إلى طرح المادة الصحفية الخفيفة التي قد ترفع من رصيد قرائها.

ولكن القريب من المجلة يرى أن ذلك قد لا يتلاءم مع خط المجلة العام، وتوجهها، ونهجها الذي خطته لها منذ البداية.

إن «القافلة» وهي تحتفل بمرور خمسين عاماً على بزوغها، **أرى أن تنتفض عكسياً الآن للدخول في مواكبة تناسب القرن الحادي والعشرين ولتكون في مرحلة ما بعد الخمسين مجلة عمرها خمسين شهراً أو خمسين يوماً لا خمسين عاماً**، فتقدم لنا وجبة شبابية جميلة خفيفة متنوعة مفيدة ودسمة أيضاً مع حفاظها على الإطار العام والجميل الذي تميزت به، وإن كانت تصدر من شركة متخصصة فليس كل منسوبي «أرامكو السعودية» نفطيين، ولا يجب أن يكونوا كذلك.

«...لماذا لا يتم طرحها في السوق... بسعر رمزي؟»

أما وأنها قد مدت جسورها إلى كل المثقفين والأدباء ومختلف الأوساط داخل وخارج المملكة، وباتت معروفة إلى حد كبير بينهم، بل إنها أصبحت محسوبة على مطبوعات الوسط الثقافي السعودي فأرى أن تكون الحقبة القادمة حقبة للآخرين، مكتفية بما خصصته «القافلة» طوال الخمسين عاماً المنصرمة لمنسوبي الشركة من موضوعات للزيت وشؤونه.

ثم لماذا لا يتم طرحها في السوق للبيع ولو بسعر رمزي، شأنها شأن سائر المطبوعات الأخرى الصادرة أيضاً من شركات وجهات متخصصة، ولا أقصد بذلك الجانب المادي، بل حتى تكون متاحة للجميع أكثر مما هي عليه الآن، حيث تقتصر على من يأخذها من بعض موظفي الشركة، والمشتركين الذين يحصلون عليها هدية من إدارة المجلة.

إنني أزف التهنئة من القلب لمجلة «القافلة» وأشكرها بعدد حروفها في سنينها الخمسين على كل معلومة ومنفعة اكتسبتها منها، وأتمنى لها عمراً مديداً حافلاً بكل نشاط وعطاء وفكر ومزيداً من الصفحات الثقافية والإبداعية المختلفة. ■

انتفاضة عكسية تناسب القرن الحادي والعشرين..

أ. محمد الجلواح

شاعر وكاتب سعودي من الأحساء

على امتداد مساحة زمنية تربو على ثلاثة عقود - بالنسبة لي - كانت مجلة «قافلة الزيت» بحسب اسمها السابق، و «القافلة» بحسب اسمها الحالي، إحدى أهم الروافد الثقافية والفكرية التي شكلت **المخزون المعرفي العام لجيلي ولمن هم من قبلي ومن بعدي أيضاً وهي ما تزال كذلك**، وإن بدا شيء من التباين في المحتوى على امتداد سنواتها الخمسين التي تحتفي بمرورها الآن بين مدّ وجزر.

كنت أحصل على «القافلة» عن طريق ابن خالي: الأستاذ محمد بن عبدالمحسن الجلواح، الذي كان يعمل في أرامكو، ويحصل عليها، وقد استمر ذلك لسنوات عديدة حتى بدأت الحصول عليها بعد ذلك عن طريق أخي جعفر الذي التحق بالشركة ثم دام ذلك لبضع سنوات وبعدها تقدمت للمجلة برغبة الحصول عليها بريدياً، فاستجابوا لذلك - جزاهم الله خيراً منذ أكثر من خمسة عشر عاماً وحتى الآن.

وكأي مطبوعة سيارة... فقد مرت على المجلة فقرات متفاوتة العطاء لكنها حافظت على خط معين في الشكل والمضمون - وأحياناً في الحجم - حتى ألفناها هكذا، ولو تجاوزته لنفرنا منها.

وفي الجانب المضيء لهذه القناة المعرفية الرصينة الرزينة التي تبزغ من بين أنابيب النفط في الظهران، ورائحة الغاز، وتعليمات أرامكو السعودية الصارمة... التي أعادت ترتيب حياتنا صحياً واجتماعياً، وفكراً وعملاً، وحببت فينا الانضباط... تتبوأ هذه المجلة مكانتها بين أفراد الأسرة السعودية القاطنة في المنطقة الشرقية منذ بداياتها... وبمختلف مراحل العمر وما يناسب ذلك في كل منزل... نعم... لقد استطاعت المجلة أن تكون رفيقة للطالب، والمعلم والبناء، والمهندس وحتى الفلاح، في الأحساء والقطيف وغيرهما من مدن وقرى المنطقة الشرقية، بل وسائر مدن المملكة. ومن المعروف أن هناك مئات العاملين في الشركة من خارج الشرقية يرسلونها إلى ذويهم في مناطقهم.

مطابع التريكي، حيث تطبع «القافلة» الآن بعد رحلتها الطويلة، التي مرت خلالها بعدد من المطابع

منذ العام ١٩٩٢م، و«القافلة» الشهرية تطبع في مطبعة «التريكي» بالمدينة الصناعية الأولى في الدمام، والمعروفة باستخدام أحدث التقنيات وأفضلها، فلا تستغرق طباعة ٦٣ ألف نسخة من المجلة أكثر من يوم أو يومين. ويعمل على تصميمها وطباعتها نحو عشرين عاملاً بين مصمم ومنفذ وعامل مونتاج وترصيص وتطبيق وتجليد. ولكن كيف كانت أمور طباعة «القافلة» قبل نصف قرن؟

في العام ١٩٥٣م، عندما قررت «أرامكو» إصدار مجلتها الشهرية «قافلة الزيت» توجهت لهذه الغاية إلى العاصمة اللبنانية، بيروت. فاعتمدت أولاً واحدة من أعرق المطابع اللبنانية، ومن ثم مطبعة ثانية هي «الشرق الأوسط للتصدير»، وبعد ذلك بأحد عشر عاماً من هذا «الاغتراب الطباعي»، وتحديداً في العام ١٩٦٤م، حطّت «القافلة» رحالها في الدمام على مقربة من الشركة التي تصدرها، حيث بدأت تتوفر إمكانات محلية لطباعتها بالمواصفات المطلوبة.

فنيو مطابع التريكي مع عدد شهر محرم الذي سبق صدور العدد الخاص

المطبعتان اللبنانيتان دمرتا خلال الأحداث اللبنانية، واسم «مطبعة الشرق الأوسط للتصدير» الذي ظهر لبعض الوقت على صفحات «قافلة الزيت» اختفى من دليل الهاتف في لبنان، وأيضاً من دليل المطابع، وحتى من ذاكرة معظم العاملين في حقل الطباعة. وكاد استطلاعنا في شقّه الخاص بطباعة المجلة في بيروت أن يصل إلى طريق مسدود، ولكن...

عندما طلبنا إلى مدير إحدى المؤسسات الطباعية مقابلة أحد موظفيه، لأننا سمعنا أنه عمل سابقاً في «مطبعة الشرق الأوسط للتصدير»، سمعنا المدير يستوضح عبر الهاتف الداخلي متسائلاً: «فؤاد خوري... الذي يعمل عندنا... أليس هو الذي كان في مطبعة أرامكو؟» وكانت المفاجأة. وأدركنا فوراً أننا أمسكنا بطرف الخيط، فنحن لم نأت على ذكر «القافلة» أو «أرامكو» خلال بحثنا عنه. لذا، كان سؤالنا الفوري: «لماذا تسمون مطبعة الشرق الأوسط بمطبعة أرامكو؟». فيجيب فؤاد خوري نفسه: «لأننا كنا نطبع «قافلة الزيت» ومجلة «أرامكو وورلد.»

يؤكد خوري أن المطبعة التي كانت تقع في «طلعة المكلّس» في ضاحية بيروت الشرقية تعرضت لنهب معداتها واحتراق ما تبقى من محتوياتها خلال احتدام المعارك في تلك المنطقة سنة ١٩٧٦م. ويجد صعوبة في استحضار ذكريات تعود إلى أكثر من أربعين سنة خلت، فيقول: «أنا كنت مسؤولاً عن توزيع العمل على صف الأحرف... وكان عندنا مخرج يدعى «ستيف» لمجلة «قافلة الزيت»، ومخرجان أميركيان لمجلة «أرامكو وورلد» هما «دان طومسون» و«فريد أوت»... وكانت مادة المجلة تأتي من الظهران إلى مكتب «أرامكو» في بيروت، والمكتب يرسلها إلى المطبعة...».

– مكتب لـ«أرامكو» في بيروت؟

– «نعم، كان يقع في مبنى سينما الحمراء، ويشغل طابقين كاملين – الخامس والسادس على ما أظن – كما أن المكتب ركّب جهازاً معدنياً يشبه برج إيفل على سطح المبنى، وكان يتصل من خلاله لاسلكياً بالظهران».

«القافلة»

في رحلتها الطباعية من بيروت إلى الدمام

«مطبعة الشرق الأوسط للتصدير في بيروت»، هذا الاسم الذي ظهر لبعض الوقت على صفحات «قافلة الزيت» للإشارة إلى مكان طباعتها، اختفى من دليل الهاتف في لبنان، وأيضاً من دليل المطابع، وحتى من ذاكرة معظم العاملين في حقل الطباعة. فقد دُمِّرت هذه المطبعة تماماً خلال الأحداث اللبنانية. ووصل استطلاعنا حول مكان طباعة «قافلة الزيت» إلى طريق مسدود. إلى أن...

بقلم خالد فؤاد الطويلي - هيئة التحرير

فؤاد خوري

مسعد حدّاد

مبنى المطبعة الأولى التي طبعت «القافلة» في بيروت

للعمل في مطبعة الوفاء بعد ذلك حيث لا زال يعمل حتى اليوم. يقول عزمي عن المرحلة التي سبقت انتقال «القافلة» من بيروت: «كنا قد بدأنا نسمع شائعات في «الشرق الأوسط للتصدير» عن إمكانية فقدان طباعة مطبوعات أرامكو، ثم جاء وفد من محرري «القافلة» في عام ١٩٦٣م وعرضوا على الجهاز الفني الانتقال إلى السعودية للعمل على المجلة هناك، ولم انتقل أنا حتى عام ١٩٦٧م».

ويؤكد حدّاد ما سبق لخوري أن قاله لنا، وهو استحالة العثور على أي تذكار ملموس من تلك الفترة، «ولو حتى في المطبعة العريقة التي كان مصيرها أسوأ من مصير مطبعة الشرق الأوسط للتصدير، إذ احترقت في السنة نفسها التي دمّرت فيها مطبعة الشرق الأوسط أي سنة ١٩٧٦م، ثم أقفلت نهائياً سنة ١٩٩٧م، بعد أن انتقلت إلى منطقة «ضهر الوحش» حيث تعرضت للتدمير ثانية عام ١٩٩٠م، فأعادت تأسيس نفسها، ولكنها لم تستطع الصمود».

في حين عبّر حداد عن شيء من السرور لمعرفته أن «القافلة» ما تزال تصدر حتى اليوم، اكتفى خوري بتصفح العدد الجديد الذي قدّمناه له وقال بصوت خافت لا يكاد يسمع «...كله كمبيوتر...» وتمتم وهو يدير ظهره عائداً إلى مكتبه بكلمات لم نسمع منها سوى تساؤله: «أهكذا صارت...؟؟».

وكما قال مسعد حداد وزهير عزمي، فإن «القافلة» توقفت عن الطباعة لدى مطبعة «الشرق الأوسط للتصدير»، ورحلت شرقاً لتحط رحالها قرب مقر الشركة التي تنتجها. وهكذا استمرينا في تتبع آثارها التي وصلت بنا إلى المدينة الصناعية بالدمام، حيث الموقع الحالي للمطبعة التي حملت راية طباعة المجلة بعد «الشرق الأوسط للتصدير» البيروتية، وعند دخولنا، كانت تفوح في المطبعة رائحة مميزة تصدر من أجهزة ومكائن الطباعة القديمة، وهناك استقبلنا الأستاذ إبراهيم المطوع، مالك مطبعة «المطوع»، وقد بدا وهو يحدثنا عن تاريخ المطبعة الطويل مع «القافلة»، رجلاً عصامياً مكافحاً تدل معرفته بتفاصيل المهنة على أنه ترعرع بين مكائنها وحبرها وورقها.

وعندما سألناه عن الطريقة التي أنشأ بها المطبعة تبسم قليلاً ثم راح يروي لنا كيف كان لحفل زفافه قبل أكثر من ثلاثة وأربعين عاماً دوراً رئيساً في تبلور فكرة إنشاء المطبعة عام ١٩٥٩م، فقد أبحر والده، علي بن حمد المطوع، إلى البحرين آنذاك بحثاً عن مطبعة لطباعة بطاقات الدعوة إلى زفاف ابنه. ويقول إبراهيم: «عندما ذهب والدي، يرحمه الله، إلى البحرين لطباعة بطاقات الزفاف الذهبية، التقى هناك رجلاً لبنانياً يدعى جوزيف فرح، وقد كان في ذلك الوقت على ما أظن، موظفاً في شركة «مرسيدس»، يتاجر في مكائن الطباعة، وقد نصح والدي بإنشاء مطبعة في السعودية».

والظاهر أن جوزيف هذا بحكم مهنته كان مهتماً بإنشاء مطبعة قرب الظهران لأنه كان على علم بحاجة المنطقة إلى مطبعة تكون قريبة من مقر أرامكو. ويقول إبراهيم: «ردّ والدي قائلاً: يا الله على يدك!» ثم بدأ العمل على إنشاء المطبعة مباشرة. وقد

جوزيف فرح - يسار الصورة - وأنطوان بيرودي وهما يراجعان إحدى مطبوعات أرامكو السعودية أمام ماكينة الطباعة عام ١٩٦٢م في مطبعة المطوع

جوزيف فرح - في الوسط - يراجع مع موظفين من مطبعة المطوع تحرير واحدة من مطبوعات أرامكو عام ١٩٦٢م

ولم تسعف الذاكرة فؤاد خوري الذي تجاوز السبعين من عمره، إلا في إرشادنا إلى مسعد حداد الذي كان يتولى «تصحيح البروفات» لمجلة «قافلة الزيت».

يتمتع حداد بذاكرة قوية نسبياً، فيقول: «بدأت طباعة «قافلة الزيت» في بيروت سنة ١٩٥٣م على ما أظن (والتاريخ صحيح، والدقيق أكتوبر ١٩٥٣م). وكانت تُطبع في بادئ الأمر في أعرق مطبعة في البلد. ولكن الذي حصل هو أنه بعد ثورة ١٩٥٨م، تدفق الأميركيون على البلد، وجاء إلى بيروت شخصان هما الأخوان غراهام، واشتريا مطبعة من آل الغاوي، كانت تقع في وسط بيروت. وعينا لها مديراً يدعى «اوتيس أيزنهود». وعقدا اتفاقاً مع أرامكو لطباعة «قافلة الزيت» و«أرامكو وورلد»، وعندها تم نقل المطبعة من وسط بيروت إلى مكان أكبر في منطقة المكلّس وكان ذلك سنة ١٩٥٩م، وهي السنة التي توظفت فيها أنا كمصحح لنصوص المجلة بعد صف أحرفها».

ويضيف مسعد حداد: «كان الاتفاق مع «أرامكو» سبباً في تطوير المطبعة التي اشتراها الأخوان غراهام من آل الغاوي، وشراء آلات «أوفست» جديدة، واستئجار آلة صف أحرف بطريقة «الإنترتايب». كما كنا نطبع أيضاً بعض الكتب لأرامكو، مثل كتب تعليم اللغة الانكليزية وكتب إعلامية للشركة وما شابه».

– وما الذي تذكره عن متاعب المهنة آنذاك؟

– «أصعب ما في مهنتنا كان تصليح النصوص بعد صف الأحرف، خاصة عندما كان الصف يتم بطريقة الانترتايب، لأن إصلاح حرف واحد كان يقتضي تغيير السطر بأكمله، وإضافة كلمة تستوجب تغيير الفقرة كلها. ولهذا اشترت المطبعة لاحقاً آلة صف «مونوتايب» حيث صار بالإمكان إصلاح الحرف الخطأ من خلال إبداله يدوياً بحرف آخر من الرصاص».

ويوضح حداد ما قاله الخوري حول نظام استلام مادة المجلة فيقول: «كانت مادة «قافلة الزيت» تأتي جاهزة من الظهران ولا يحق لنا تغيير كلمة واحدة فيها. وكان مكتب أرامكو الذي يقع في أفخم بناء في شارع الحمراء آنذاك يرسل لنا هذه المادة مع أحد

علي بن حمد المطوّع واقفاً خلف جوزيف راضي (مدير مصنع ظروف الشرقية حالياً) أثناء الطباعة على جهاز «كي بورد مونوتايب» الذي كان آخر ما وصلت إليه تقنيات الطباعة في عام ١٩٦٢م

السائقين. ولكن أحياناً، كان المكتب يستلم بعض المواد المتأخرة أو بعض التعديلات بواسطة جهاز اللاسلكي المركب على سطح المبنى. أما بالنسبة لـ «أرامكو وورلد» فالأمر كان مختلفا... أعتقد أن معظم المجلة كان يحرّر ويُحضّر في مكتب الحمراء، لأنه كان فيه أناس «شغلتهم وعملتهم» مجلة «أرامكو وورلد» فقط. أما «قافلة الزيت» فلم يكن لها مكتب خاص أو أناس متخصصون فيها...».

– وإلى أي تاريخ بقيت تعمل في المطبعة؟

– حتى سنة ١٩٦٧م. فقد حصلت موجتا صرف موظفين: الأولى في العام ١٩٦٤م عندما توقفت «قافلة الزيت» عن الطباعة عندنا. والثانية عند إفلاس بنك انترا سنة ١٩٦٧م (ربما لأن رصيد المطبعة كان مودعاً فيه). لقد نجوت من عملية الصرف الأولى، ولكني خسرت وظيفتي في الثانية. ويبدو أن زهير عزمي، الذي التقيناه في الدمام، قد خسر أيضاً وظيفته في عملية الصرف الثانية عام ١٩٦٧م، بعد أن بدأ العمل في مطبعة «الشرق الأوسط للتصدير» عام ١٩٦٣م، أي قبل عام واحد من توقف طباعة «القافلة» فيها. ولكن عزمي استطاع اللحاق بـ «القافلة» في محطتها الجديدة، وعاد ليشرف على تصميمها لدى مطبعة المطوّع في الدمام أولاً، ثم

في الصورتين الأوليين بعض كليشات أرامكو التي لا تزال تحتفظ بها «المطوع» ويبدو حولها مجموعات من أحرف الرصاص التي تم سكّها لتستخدم على جهاز «مونوتايب»، وفي الصورة الثالثة يظهر جهاز «ماتريس» الذي كان يستخدم في سك حروف الرصاص التي تستخدم في الطباعة على جهاز «مونوتايب»

لقائمة بالأسماء والعناوين التي تبعثها أرامكو للمطبعة كل شهر». وفي هذا الإطار، يقول إبراهيم: «كانت لدى المطبعة لأجل ذلك أول ماكنة لطباعة عناوين البريد في المنطقة».

وكان يعمل على طباعة مجلة «القافلة» منذ عام ١٩٦٤م حوالي ثمانين عاملاً. وقد وصل العدد لاحقاً إلى مائة عامل، كان من بينهم زهير عزمي الذي انتقل من مطبعة «الشرق الأوسط للتصدير» في بيروت.

عندما التقينا عزمي، كان برفقته عبداللطيف قباني الذي سبق والتقيناه صدفة قبل ذلك في مطابع المطوع، وجلس الإثنان قبالة بعضهما، يتصفحان أعداداً جديدة من «القافلة»، ثم بدأ كل منهما يقص ما بقي لديه من ذكريات مضى عليها قرابة نصف قرن، فيقاطع أحدهما الآخر بإضافة بعض التفاصيل إلى ما قاله زميله القديم. وكان أول ما قاله عزمي لقباني: «شفت يا أبوفراس، جاء يوم افتكرونا فيه الجماعة»، وكأنه يذكره بحديث قديم عن أن الموضوع دار بينهما.

طابعة «مونوتايب» ذاتها التي استخدمت في طباعة «القافلة» مدة ٢٣ سنة لدى مطبعة المطوع بالدمام

ا قصّه عزمي علينا من يات تعود إلى تلك الفترة ة توظيف خطاط سعودي يدعى مكّي الناصر فقال: «كان من بنود عقد الطباعة لمجلة «القافلة» أن يتم تنفيذ خطوطها لدى أحد أشهر خطاطي لبنان في ذلك الوقت وهو كامل البابا. وكان العمل شاقاً، لأننا كنا نعد المادة هنا ثم نرسلها إلى بيروت حيث البابا، ثم العودة بها إلى الدمام من جديد. فأتيت يوماً بشاب سعودي كانت لديه موهبة واضحة في الخط، واسمه مكّي الناصر، ليتمرن على الخط بنفس أسلوب البابا ومحاولة تقليده بدقة. وتمت طباعة ثلاثة أعداد من «القافلة» بعد إتقان مكّي الخط المطلوب دون أن يلاحظ أحد أي فروق. ولكن الخطوط كانت تذهب دون توقيع البابا كالمعتاد، وأثار ذلك تساؤل أرامكو، ولكن جودة خط مكّي ومطابقته للمواصفات أقنعت القائمين على «القافلة» بقبول التبديل، واعتماد خطوط مكّي لـ «القافلة»، فبدأ بعد ذلك بتوقيع اسمه على أعماله. وتخلصنا من عبء الذهاب إلى لبنان وإضاعة الوقت في السفر، واستفاد شاب سعودي من هذه الخبرة.

وبعد بحث بسيط، وجدنا أن مكي أصبح موظفاً في أرامكو السعودية، فذهبنا للقائه. وقال لنا: «نعم هذا صحيح، فقد كنت أعمل في «المطوع» عندما كانت ما تزال في شارع الظهران وكان عملي هناك مختصاً بخطوط «القافلة» ما بين ١٩٧١ - ١٩٧٤م. وكنت أقوم بوضع جميع الخطوط الداخلية، الرئيسة والفرعية».

ومن الذين عملوا في «القافلة» آنذاك، أيضاً عصام العماد، الكاتب والشاعر والمصحح، وله استطلاعات عدة ظهرت على صفحات المجلة. وكان هناك أيضاً جميل حطّاب، وهو من موظفي أرامكو في ذلك الوقت، اشتهر باسم «بابا حطاب» الاسم الذي حمله بعد عمله في برامج الأطفال لدى تلفزيون أرامكو. ولكنه عمل في «القافلة» فنياً حيث كان يقوم بالرسوم الخاصة بموضوعات المجلة وخلفياتها.

أما أعمال الطباعة التي تستغرق الآن يوماً واحداً، فقد كانت تستغرق في تلك الفترة مدة تتراوح بين ٢٠ و٢٥ يوماً، تفرضها تقنية الآلات المتاحة حينها. وذلك أن كل لون من الألوان التي تطبع على المجلة كانت تطبع على حدة، ومن ثم يعاد ادخال الورق لطباعة اللون الثاني عليه، ثم الثالث وهكذا دواليك... كما كان كثير من الأعمال المرافقة مثل «التقطيع» يتم يدوياً. ولذلك، فإن مواد المجلة كانت تعد وتسلم إلى المطبعة قبل وقت الطباعة بشهرين أو ثلاثة. وكان إبراهيم المطوع، المدير الحالي لمطبعة «المطوع»، والذي أثارت بطاقات

ساعد جوزيف علي المطوع وشريكه سليمان الغنيم على استصدار التصاريح اللازمة للمطبعة، وقام بتوفير المكائن لها، وكان الطموح يتوجه صوب «أرامكو»، وهكذا كان. فما أن أنشئت المطبعة على طريق الظهران – الدمام بجوار عمارة «المطلق»، حتى كانت أرامكو أول عملائها. وتدخل عبداللطيف قباني، الذي كان في زيارة للمطوع صادفت لقاءنا به، وهو رسام سابق لـ«القافلة»، فقال معلقاً: «لم تكن هناك عمارة «المطلق» حينما أنشئت المطبعة، بل كانت ساحة رملية فارغة كنا نلعب فيها كرة القدم أحياناً».

بدأت المطبعة في الإنتاج عام ١٩٦٠م، ولكنها لم تحصل على عقد طباعة «القافلة» إلا بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ. غير أن المطبعة كانت خلال هذه الفترة تطبع لأرامكو كافة مطبوعاتها الأخرى، مثل نماذج العمل الإدارية، والأوراق الرسمية وغيرها من مطبوعات المراسلات الداخلية بالإضافة إلى نشرة الشركة باللغة الإنكليزية التي كانت تسمى في ذلك الوقت «صن أند فلير».

وبسبب هذه العلاقة السابقة، ولعدم وجود مطابع أخرى حينئذٍ بالمنطقة قادرة على تلبية احتياجات الشركة، كان من الطبيعي أن تنتقل طباعة مجلة «القافلة» إليها بسبب قربها جغرافياً من مقر الشركة. وكان هذا الإنتقال عام ١٩٦٤م.

كانت مطبعة المطوع في الرابعة من عمرها عند وصول «القافلة» إليها وكانت بحاجة إلى تطوير تجهيزاتها وآلات الطباعة لديها لكي تتمكن من طباعة مجلة ملوّنة رائدة في تلك الفترة الزمنية، وفي هذا الصدد يقول إبراهيم المطوع: «ذهب والدي، يرحمه الله، إلى أرامكو من جديد، والتقى هناك أحد موظفي الإدارة الصناعية واسمه «كريستوفر» الذي ساعده في الحصول على قرض من أرامكو لمطبعة المطوع بمبلغ مائتي ألف ريال سعودي لكي تتمكن المطبعة من شراء الآلات اللازمة لتطوير طباعة المجلة فيها».

– لكن ما هي أنواع الآلات التي حصلتم عليها بعد ذلك؟

– «كان عندنا ماكينة (هايدلبرج مروحة) لطباعة البطاقات والنماذج والفواتير، وماكينة (سلندر شيت) لطباعة الجرائد، وعندما جاءتنا «قافلة الزيت» قمنا بشراء مكائن (مونوتايب) و(أوفست) لون واحد من طراز (أوريليا) ثم لاحقاً قمنا بشراء (كي بورد) و(ماتريكس) الذي يسك حروف الرصاص، ثم مكائن تطبع بلونين، بعد ذلك».

بهذه المعدات كانت مطبعة «المطوع» تطبع عشرة آلاف نسخة من المجلة شهرياً، في البداية. ويقول إبراهيم: «ثم تمت زيادتها تدريجاً بزيادة عدد المشتركين كل شهرين تقريباً، حتى وصل عدد النسخ إلى عشرين ألفاً، ثم ثلاثين ألفاً».

وما أن حلّ عقد الثمانينيات الميلادية إلا وكانت «مطابع المطوع» تطبع ما مجموعه ٥٥ ألف نسخة من المجلة شهرياً. ولم تكن طباعة المجلة شغل «المطوع» الوحيد فيما يخص «القافلة»، بل كانت أيضاً تقوم على توزيع المجلة على القرّاء عن طريق البريد، وتقوم قبل ذلك بوضعها في ظروف خاصة وتطبع عناوينهم البريدية عليها باستخدام «كليشات» معدة سلفاً طبقاً

عامل في مطبعة المطوع يركّب حروف الرصاص ويتأكد من وضعها الصحيح

ابراهيم المطوع يشرح للمحرر أسلوب عمل الطباعة القديم باستخدام شريط «المونوتايب» الذي يقوم جهاز «كي بورد» بتخريمه وجهاز الطباعة بقراءته

ماكينة «سلندر» التي كانت ضمن أول المكائن التي اشتراها جوزيف فرح وعلي المطوع عند إنشاء المطبعة

زهير عزمي: من بيروت إلى الدمام

كنا عشرة أشخاص في المطبعة نعمل على تصميم المجلة وخطوطها وأذكر منهم جوزيف راضي، أنطوان بيرودي، أميل واكيم، وكنا قد انتقلنا جميعاً من مطبعة «الشرق الأوسط للتصدير». ولكن معظمهم لم يستمر، وعاد إلى لبنان قبل اشتعال الحرب. عندما كنت لا أزال في بيروت، كنت أتمنى أن أسافر للسعودية لمشاهدة الصحراء التي أسرني جمالها من خلال الصور التي كانت تمر عليّ، وفرحت حين جاء وقت سفري إلى السعودية للعمل، وهي الرحلة التي استمرت مدة ٣٧ عاماً حتى الآن. كنا نعمل على تنفيذ «القافلة» جميعاً مع موظفي أرامكو كأننا أسرة واحدة في الإدارة نفسها لكي تظهر المجلة في أحسن صورة.

زهير عزمي - يمين الصورة - يبدي ملاحظاته لعبد اللطيف قباني أثناء تصفح أعداد صدرت مؤخراً من «القافلة»

وأذكر من هؤلاء في أرامكو «فؤاد الريس»، و«بوب نوربيرج» اللذين أقنعاني بالبقاء في السعودية حين قررت العودة إلى لبنان، وأضافا اسمي ضمن العقد بين الشركة والمطبعة التي كنت أعمل بها كمشرف على التصميم.

مكّي الناصر: بالحبر والشاي

كنت أشرب الشاي يوماً وأنا أرسم الخطوط للمجلة، وكنت أستخدم ريشاً من «البوص»، وهو القصب بسماكة ٦ بوصة، إضافةً إلى ريش الخط المعروف، ومع تركيزي على اللوحة التي كنت أخطها، كنت أحياناً أضع الريشة خطأ في كأس الشاي بدلاً من المحبرة. وقد تنقلت بعد تركي العمل في «المطوع» للعمل في جريدة «اليوم»، ثم جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ثم في أعمال حرة في الدعاية والإعلان لفترة من الزمن لم يحالفها التوفيق، إلى أن وصلت أخيراً إلى أرامكو السعودية. وما زلت أقوم ببعض أعمال الخط لأنشطة أرامكو السعودية، إذ خططت مؤخراً لوحة الاستقبال التي نصبت بمناسبة زيارة سمو ولي العهد، الأمير عبدالله بن عبدالعزيز إلى رأس تنورة.

مكي الناصر - أحد الخطاطين الذين عملوا في تنفيذ خطوط «القافلة» في السبعينيات الميلادية

ويضيف الناصر: لدي تحفظ شديد على الخطوط الجديدة (الكمبيوتر) المقتبسة من حروف أجنبية، وأنصح بضرورة التمسك بأصالة الحرف العربي الذي هو أجمل بكثير، وأسهل للقراءة من الخط الحالي الذي تصعب قراءته.

خالد فؤاد الطويلي

تولى منذ فترة مسؤولية تحرير مجلة «الحصاد» التي تصدرها أرامكو السعودية لمتقاعديها. أسهم في «القافلة الأسبوعية»، ونفذ مجموعة استطلاعات لمجلة «القافلة». له إسهامات في الصحافة السعودية، لا سيما في صحيفة «عرب نيوز» الناطقة باللغة الإنجليزية.

الدعوة الخاصة بحفل زفافه فكرة إنشاء المطبعة قبل أكثر من أربعين عاماً، يساعد والده في أعمال الطباعة حين كان طالباً، ولكنه تخرج بعد ذلك وعمل مدرساً لفترة من الزمن قبل أن يعود إلى ممارسة مهنة الطباعة من جديد عام ١٩٧٥م ويشرف بالتالي على طباعة «القافلة» والمتابعة الفنية لها، حتى توقفت طباعتها في مطبعته عام ١٩٨٧م.

وفي عام ١٩٧٩م انتقلت طباعة «القافلة» من «المطوع» إلى مطبعة تسمى «البنوي» في مدينة جدة. ولكن «القافلة»، قفلت عائدة إلى مطبعة المطوع بعد ذلك بستة أشهر فقط لأن صعوبة المواصلات وبعد المسافة شكّلا عائقاً حال دون استمرار الطباعة هناك، وكانت قد طبعت خلال تلك الفترة ستة أعداد من المجلة، هي الوحيدة التي طبعت خارج «المطوع» ما بين عامي ١٩٦٤ - ١٩٨٧م.

ومرت معدات مطبعة «المطوع» خلال الثلاث وعشرين سنة التي قامت بطباعة المجلة خلالها، بثلاث مراحل تحديث وتطوير، كان أولها عام ١٩٦٣م قبل وصول المجلة إليها بفترة وجيزة، ثم عام ١٩٧٠م حين جلبت تقنية طباعة تخريم الأشرطة عن طريق «كي بورد» يمكن لآلة «مونوتايب» أن تقرأها، ثم تطبعها. وتمت عملية تجديد أخرى في عام ١٩٨٤م حين جلبت تقنية جديدة للطباعة كانت آخر ما سبق ثورة الحاسب الآلي التي لحقت بعد ذلك بقليل.

وعندما دخلنا المكان الذي تجمعت فيه بعض المعدات القديمة التي استخدمت لطباعة المجلة وما بقي من «الكليشات» المعدنية، شاهدنا من بينها العديد من شعارات أرامكو السعودية القديمة والكليشات التي تحملها ومن بينها كليشة «قافلة الزيت» التي استخدمت في طباعة النشرة الأسبوعية، وقد اعتلتها كغيرها طبقة سميكة من الغبار. يقول المطوع إن الكثير من تلك الأدوات له علاقة بأرامكو، ويصفها بأنها أصبحت «أشياء أنتيكة»، فقدت أو أتلفت نتيجة انتقال مقر المطبعة من موقعها الأول إلى موقعها الجديد.

ويذكر إبراهيم المطوع تعامله مع موظفي أرامكو عوني أبوكشك، وسليمان نصر الله، ويعقوب سلام وهم من محرري «القافلة». كما يذكر مقر معمل التصوير الذي كان يقع في مبنى رقم ١٩ بداخل مجمع «المنيرة» حالياً، وتحديداً في المكان الذي توجد فيه الصالة الترفيهية بـ«المنيرة» والمسبح التابع لها، حيث كان يعمل «بيرني مودي» وهو مسؤول في مختبر التصوير، كما أكد لنا عبدالله الدبيس، كبير المصورين في المعمل حالياً، والذي عمل حينها في استديو التصوير ذاته الذي كان يزود «القافلة» بالصور.

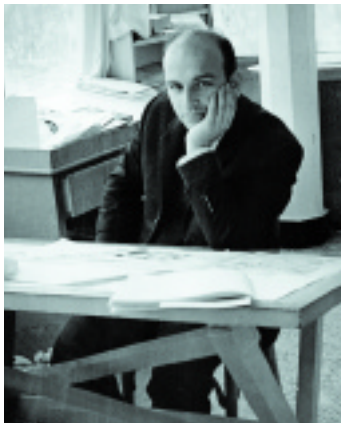

عبداللطيف قباني في صورة له داخل مطبعة «المطوع» بشارع الظهران في الستينيات الميلادية

أما فتحي محمود عبدالسلام، مشغّل المكائن لدى «المطوع» منذ وصول «القافلة» إليها، فما يزال هناك. وقد وجدناه داخل ساحة المطبعة مشرفاً على أحد أجهزتها، وقال لنا أنه عمل على طباعة مجلة «القافلة» طوال الثلاثة وعشرين عاماً التي طبعت فيها. وهو ما يزال يعمل في المهنة نفسها لدى «المطوع» بعدما غادرتها «القافلة» بعشر سنوات.

جميل حطاب أثناء تقديمه إحدى حلقات برنامج الأطفال الذي كان يشرف عليه، وكان حطاب قام بتنفيذ رسومات لمجلة «القافلة»

عبداللطيف قباني: ثمن خطأ مطبعي

كنا نعمل على عدد خاص لـ «القافلة»، وبعد أن تم إقرار البروفات، أوقع أحد العاملين نص أحد الصفحات وكان فيه اسم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إلا أن العامل عندما أعاد رصّ الأحرف كتبها خطأ «محمد ابن عبدالوهاب» وكأنها في نهاية السطر، وقمنا بالطباعة دون أن يلاحظ المصحح هذا الخطأ الطفيف، الذي كلفنا عشرين ألف ريال بعد إعادة طباعة الأعداد كاملة عند اكتشاف الخطأ، وهذا هو الخطأ الوحيد الذي وقعنا فيه طوال المدة التي طبعنا فيها المجلة.

فتحي محمود عبدالسلام الذي يعمل مشرفاً في مطبعة المطوع منذ بداية طباعة «القافلة» بها إلى اليوم

تحتفظ أرامكو السعودية في أرشيفها التابع لوحدة التصوير الفوتوغرافي بمجموعة عملاقة من الصور، تبلغ نحو ٣٥٠ ألف صورة. وقد التقط معظم هذه الصور مجموعة من المصورين الذين عملوا في وحدة التصوير الفوتوغرافي الذي تأسس في الأربعينيات الميلادية وما زال يقدم خدماته إلى يومنا هذا. كما أغنت أرامكو السعودية مجموعتها هذه بعدد كبير من الصور النادرة عن المملكة العربية السعودية تم شراء ملكيتها من مصوريها، و يعود تاريخ أقدمها إلى عام ١٨٨٠م.

وتنبع أهمية هذه الثروة الفوتوغرافية التي التقطها مصورو الشركة وجيولوجيوها الأوائل من أهمية الصورة عموماً في عالم الصحافة والإعلام. فمنذ التقاط الصور الصحافية الأولى قبل قرن ونصف، والصورة هي المرافق الرئيس للكلمة المكتوبة، والمعاون

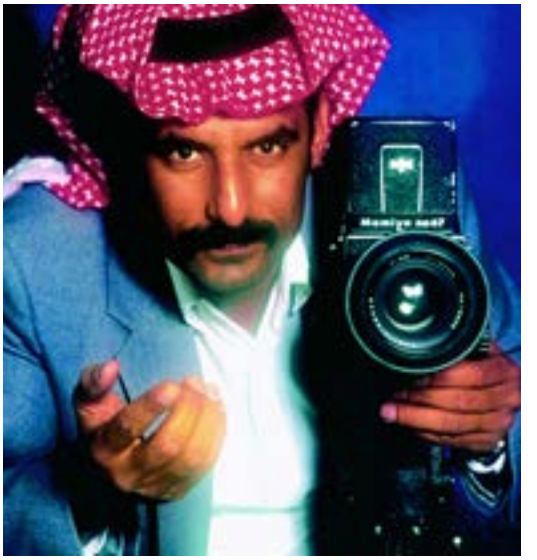

عبدالله يوسف الدبيس، كبير المصورين الحاليين في مجلة «القافلة»

الممتاز لها في إيصال المعلومات إلى القارئ وتوضيحها وتأكيد صحتها. فالصورة تنطق بكل الألسن، ويغني تعبيرها أحياناً عن الكثير من الكلمات عند نقل الوقائع والأحداث.

وقد كانت مجلة «القافلة» أول المستفيدين من هذا المخزون منذ أن صدر عددها الأول قبل خمسة عقود وراحت بدورها تغذيه وتضيف إليه على أيدي مصوريها الذين كانوا ينطلقون من مبنى وحدة التصوير الصغير الواقع في المكان الذي بني عليه لاحقاً المركز الترفيهي بحي المنيرة في الظهران.

وقد اكتسبت مجموعة الصور بالوحدة بمرور الوقت أهمية خاصة واستثنائية، إذ أنها سجلت ونقلت إلينا مشاهد بالغة الأهمية عن التاريخ السعودي الحديث، والنهضة الحضارية التي أعقبت اكتشاف النفط وتركت بصماتها الواضحة على كافة أوجه الحياة في المملكة. فبفضل هذه الصور، يمكننا اليوم أن نرى ما كانت عليه حياة الناس منذ أكثر من نصف قرن من الزمان في المنطقة الشرقية خاصة، وفي أرجاء مختلفة من المملكة عموماً.

كما يمكننا اليوم أن نعود إلى متابعة التحولات الكبيرة التي عاشها المجتمع السعودي في المنطقة، من خلال مختلف المناظر وما تتضمنه من معلومات حول معالم الحياة وأشكالها ومقوماتها بدءاً بالمنازل والطرقات في المدن والقرى وصولاً إلى أزياء الناس، وأنماط المعيشة عند بدايات دخول الإنسان السعودي في عمق تقنيات إنتاج الزيت.

«الكاميرا» الأولى

وبشكل عام، يمكن القول أن مجموعة الصور هذه هي ثمرة اهتمام فائق أولته أرامكو السعودية لتقنيات التصوير الفوتوغرافي، واعتماد أفضل المتوافر منها، وتحديث المعدات بشكل مستمر، ومواكبة ما يتم استحداثه عالمياً من كاميرات وأفلام وعدسات ومعدات تحميض وطبع.

وقد اعتمد مصورو الشركة في البداية على كاميرات «لايكا» (LEICA) الهولندية الصنع، وفي مرحلة لاحقة، تم استخدام كاميرات «ماميا» (MAMIYA) اليابانية، ثم استقر الأمر على استخدام كاميرات «نايكون» (NIKON) اليابانية أيضاً، التي لا تزال تستخدم في معمل التصوير حتى اليوم، إلى جانب ما استحدث من كاميرات التصوير الرقمي وما يتبعها من برامج الكمبيوتر المستخدمة في طباعة الصور رقمياً. أما الأفلام، فاعتمدت منها أفلام «كوداك» و«اجفا» منها ما هو بمقاس ٣٥ ملم و١٢٠ ملم، ومنها ما هو بمقاس ٤×٥ بوصة، كما استخدمت كافة العدسات المتوفرة في السوق بجميع مقاساتها وأنواعها.

صور ومصورو «القافلة» في رحلتها الطويلة

ثروة من المنعطفات التاريخية وحياة الناس وتحولات المجتمع

بقلم خالد فؤاد الطويلي- هيئة التحرير
عبدالرحمن أبو الجدايل - هيئة التحرير

صورة تاريخية لفريق مصوري «القافلة» التقطت عند فوهة بئر الخير (البئر رقم ٧). وأعضاء الفريق بقيادة بيرني مودي الظاهر في أسفل الصورة هم من اليمين إلى اليسار: عبداللطيف يوسف، وأحمد المناخ، وعلي عبدالله خليفة، وعلي محمد خليفة، وسعيد الغامدي، وفي. كي. أنتوني

ويضيف علي قائلاً: دخل معظم من سبقونا ومن هم في جيلنا في هذا المجال فقط بدافع البحث عن وظيفة في الشركة وقد كنا نتلقى في بداية مشوارنا مع التصوير تدريبات عملية مكثفة من المصورين الأجانب إلى أن اكتسبنا المهارة اللازمة في التصوير والتحميض والطبع. ثم بدأت الشركة في ابتعاثنا إلى الخارج حيث حصلت أنا وزملائي على دورات متقدمة في التصوير الفوتوغرافي في الولايات المتحدة وسويسرا وألمانيا، إذ دأبت الشركة منذ بداياتها على تدريب وتدريس المصورين كباقي الموظفين فيها الذين تخرجوا في معاهد الشركة للتدريب الصناعي، التي أكسبتهم بالطبع اللغة الإنجليزية إلى جانب ما تعلموه فيها من علوم ومعارف، وحصلوا على دورات متنوعة في أصول السلامة والإسعافات الأولية، وغيرها من الدورات التي لم تتح لمصور يعمل في أية مطبوعة أو أية جهة تجارية خارج الشركة تعتمد التصوير الفوتوغرافي نشاطاً رئيساً في أعمالها».

علي عبدالله خليفة، أحد مصوري «القافلة» القدامى يروي قصة التصوير في تاريخ المجلة

أما من حيث ما يميز عمل مصوري أرامكو السعودية الذين هم بطبيعة الحال مصورو مجلة «القافلة»، هو أن مهماتهم لا تنتهي عندما يسلمون ما في جعبتهم من أفلام للمعمل بغرض تحميضها بل يشاركون كذلك في أي عمل من أعمال الإنتاج المعروفة في المعمل.

في كل مكان لتدوين مراحل النهضة

وفي روايته عما عاناه المصورون في سنوات العمل الأولى من عمر الشركة عندما كانت مشاريع العمل في بداياتها، ولم تكن هناك بنية تحتية كافية تساند أعمال الشركة أو وسائل نقل، يروي خليفة أن المصور كان يتقاسم مع رجال التنقيب والإنتاج معاناتهم في الوصول إلى أماكن العمل النائية، فكان المصور، على سبيل المثال، يسافر مع قافلة من الشاحنات والآليات في رحلة إلى الربع الخالي يستغرق وصولها إلى مكان العمل ١٥ يوماً وليلة تقطع فيها الصحارى الشاسعة والكثبان الرملية العملاقة، ثم ينتظر المصور هناك بعد فراغه من عمله حتى يلتحق بأول قافلة من الشاحنات والآليات تعود إلى أماكن العمل الرئيسة في الظهران وبقيق. كما كان المصور يبحر بوساطة وسائل النقل البسيطة المتاحة في ذلك الوقت مع موظفي الإنتاج إلى أماكن عملهم حتى وإن كانت في عرض البحر في كافة الأجواء. وبذلك فقد شهد مصورو «القافلة» كافة مظاهر النمو الصناعي لأعمال أرامكو السعودية وسجلوا مختلف مظاهر التطور الحضاري الذي شهدته المملكة في العقود الأخيرة من خلال مشاركتهم المتميزة والكثيرة في تغطية المناسبات والأحداث الاقتصادية والثقافية والدينية والاجتماعية التي شهدتها مختلف مناطق المملكة عبر أكثر من ٥٠ سنة تمثل عمر مجلة «القافلة». ويصف خليفة علاقة المصورين والمخضرمين بالمجلة بقوله إنها «تاريخية» ويضيف: «قطعنا المسافات براً وركبنا البحر والجو في سعي دؤوب وعزيمة لا تفتر في سبيل إغناء صفحات هذه المجلة العريقة بكل صورة، فليس في المملكة مدينة تقريباً إلا وزرناها من أجل ذلك وتواصلت أعمالنا خارج المملكة في دول الخليج وعدد كبير من دول العالم».

ومن جملة هذه الجولات والتغطيات الخبرية المصورة، فإن بعضها لا يزال عالقاً في ذهن علي عبدالله

لقطة حديثة لأعضاء فريق العمل في وحدة التصوير في الظهران، حيث يظهر من اليمين إلى اليسار: حسن التريكي، هادي المكابيل، مراد الحسن، طارق شجاع، جواد الهاشم، خالد الحليبي، شوقي السكري، سعيد الغامدي، فهد العزيز، رضي الليف، محمد الشهري

خليفة، أبرزها تغطيته لحفل افتتاح خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز، حفظه الله، في مطلع الثمانينيات لمشروع خط أنابيب بترومين بترولاين، فهو يعتز كثيراً بجودة الصور التي التقطها في ذلك الحدث والتي تميّز فيها عن بقية زملائه الذين شاركوه في تغطية الحدث، حيث انفردت بها مجلة «القافلة» مقابل كثير من وسائل الإعلام آنذاك.

ولما صارت الصورة الفوتوغرافية جزءاً مهماً من التراث الثقافي الإنساني يستدعي الحفاظ عليه للأجيال المقبلة، فقد جهزت أرامكو السعودية معدات لحفظ «نيجاتيف» الأفلام القديمة، المؤرشفة وفق نظام «يونيفرسال» الدولي في غرف خاصة مبرّدة إلى ٦٠ درجة فهرنهايت. الأمر الذي يضمن حفظ هذه الصور للمستقبل، لتطلع عليها الأجيال المقبلة، التي ستجد فيها ملامح من خلالها على تاريخ المملكة العربية السعودية والتطور الهائل الذي عاشته غداة اكتشاف النفط في أراضيها.

الرعيل الأول والمخضرمون من مصوري «القافلة»

تأسست وحدة التصوير في أرامكو السعودية في الأربعينيات من القرن الماضي، وقد أدارها وأشرف عليها في سنواتها الأولى عدد من المصورين من بينهم مصورون أجانب، أشهرهم المصور الأمريكي «بيرني مودي»، الذي تولى بعد ذلك تأسيس المعمل في موقعه الحالي منذ قرابة العشرين عاماً وبقي يديره ويشرف عليه مدة طويلة، كما تولى تدريب عدد كبير من المصورين السعوديين. وقد حفلت قائمة أسماء المشرفين والمصورين العاملين في المعمل بعد رحيل «مودي» بالعديد ممن تركوا بصمات واضحة في مسيرة العمل الصحفي المصور في مطبوعات الشركة الإعلامية بشكل عام ومجلة «القافلة» بشكل خاص. ومن هؤلاء شيخ محمد أمين وعلي محمد خليفة وفيكي أنتوني وعلي حسن شهاب وأحمد المناخ وجعفر الزاكي

فهد سلمان العزيز، قائد فريق العمل في أرشيف وحدة التصوير الفوتوغرافي يقوم بالبحث عن صور ضمن مهام عمله اليومية في الوحدة

علي عبدالله خليفة

وسعيد الغامدي وعبدالعزيز العبداللطيف وعبدالله داغش ومحمد الشبيب ورضي حسن آل ليف و سعود بوحليب وعبدالله يوسف الدوسري ومحمد الشهري وخالد العمودي. وهذان الأخيران يعتبران من الجيل الجديد الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً. أما أول موظف سعودي في الشركة حصل على شهادة البكالوريوس في التصوير الفوتوغرافي، فهو علي عبدالله مبارك، الذي ابتعثته الشركة للدراسة الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية والتخصص في هذا المجال.

شهادة مخضرم

ويحدثنا علي عبدالله خليفة الذي عمل كمصور لمدة ٣٧ سنة في وحدة التصوير منذ انتسابه إلى الشركة عام ١٩٦٢م وحتى تقاعده عام ١٩٩٨م، وهو من المخضرمين الذين عاصروا الجيلين القديم والجديد من مصوري «القافلة»، فيقول: «عندما بدأ السعوديون يقتحمون مجال التصوير الفوتوغرافي في الشركة قبل عدة عقود، كانت مهنة المصور تحظى ببريق خاص ومكانة اجتماعية كبيرة، فالمصور كان يتعامل مع أجهزة غريبة مع مفردة حضارية جديدة من وجهة نظر كثير من أبناء المجتمع المحيط به، ألا وهي آلة التصوير الفوتوغرافي، وذلك ليحقق من خلالها مفهوماً إعلامياً توثيقياً يعتبر متطوراً جداً في تلك الأيام ويمكنك أن تتصور كيف كان الناس كباراً وصغاراً يتهافتون بإعجاب ودهشة في ذلك الوقت على من يرونه يحمل في يده تلك الآلة العجيبة التي تظهر صورة الإنسان في حالة جامدة وتبقى محتوياتها بينما يذهب صاحبها».

ولا ينسى الدبيس زيارته إلى كينيا للمشاركة في تنفيذ استطلاع مصور لـ «القافلة» وما واجهه من خوف عند مبيته في الأدغال، حيث يقول: «كنا ننام في عشة وسط الأحراش وكنا نسمع ليلاً صوت التماسيح وهي تخرج من الماء وتزحف نحو عشتنا الصغيرة فتضرب بأذيالها يميناً وشمالاً، فلم يغمض لي جفن طوال الليل».

قيم أرامكو السعودية في إيقاع العمل

ونلتقي أيضاً من المصورين في أسرة «القافلة» حسين آل رمضان وفيصل الدوسري اللذين عبرا لنا عن مدى إحساسهما بتجسد روح الفريق في سبيل تحقيق الامتياز في الأداء بين المصور والمحرر، للوصول في النهاية إلى عمل متميز يسعد القارئ ويثري حصيلته المعرفية ويكوّن لديه صورة متكاملة حين يتعاضد النص مع الصورة في توليفة متناسقة.

روح الشباب تنطلق مع «الفلاش»

ومن جيل الشباب الحاليين عبدالعزيز المعيويد، وتركي الغامدي. يحدثنا عبدالعزيز عن تجربته مع التصوير في أرامكو السعودية، التي بدأت في عام ١٩٩٣م، حيث كان يعمل مشغلاً في أحد المعامل البترولية، ثم سمع عن فرصة وظيفية في مجال التصوير الفوتوغرافي، فقرر من دون تردّد اقتناص هذه الفرصة التي تحقق له تجربة عملية مثيرة وجميلة رغم معرفته المحدودة وقتها بفن التصوير الفوتوغرافي. وعما استفاده من زملائه الذين سبقوه في هذا المجال، يقول: «نصحني زميلي وأستاذي عبدالله الدبيس في بداية مشواري مع الكاميرا بأن أبني علاقة خاصة بيني وبينها حيث أن ذلك هو مفتاح الإبداع في هذا العمل الفني».

وقد تلقى عبدالعزيز دورات دراسية متقدمة في علم التصوير الفوتوغرافي وشارك في تغطية مناسبات بالغة الأهمية. وهنا يذكر قصة طريفة حدثت له أثناء تصويره وفداً من الوزراء قدموا لزيارة مرافق الشركة في حقل الشيبة في الربع الخالي. يقول عبدالعزيز: «كان الضيوف في نهاية زيارتهم للموقع يهمون بصعود كثيب رملي شاهق الارتفاع، وكنت أتحرك سريعاً لأسبقهم إلى قمة الكثيب، ولكن ما أن وصلت إلى أعلى حتى فقدت قواي وارتميت على الأرض وعندها أنقذ الموقف زميلي محرر «القافلة» خالد الطويلي، فالتقط الكاميرا، وأخذ يصور الجمع نيابة عني».

أما زميله تركي الغامدي والذي يروي ارتباطه بالكاميرا وأفلامها منذ نعومة أظفاره، فيتوقف أمام استفادته من احتكاكه بواحد من المصورين العالميين عندما رافقه في تصويره لمناظر طبيعية في صحراء المملكة، ويقول: «رأيت فيه صبراً كبيراً في سبيل الحصول على لقطة واحدة، فكان لا يتوانى عن قطع مسافات طويلة جداً والاستيقاظ قبل بزوغ الفجر لأجل التقاط صورة شروق شمس الصباح». ويؤكد تركي أن التحديات أمام مصوري اليوم ليست كالسابق، فسلاح العلم والاطلاع على ما تنتجه لنا التقنية الحديثة كل يوم هو الأمضى والسبيل الوحيد للتعامل مع ما يستجد من ثورات تقنية في عالم معدات التصوير، حيث الكاميرات الرقمية الحديثة. ويشير في هذا المجال إلى دعم الشركة لجهود التطوير الذاتي للموظف، وما أتاحته للمصور على وجه التحديد من مجالات واسعة للاستفادة من شبكة الإنترنت، لتعلم كل ما يستجد من مهارات وأساليب في مجال التصوير والتحميض والطبع في أفضل أشكاله التقنية الحديثة.

عبد الرحمن أبو الجدايل
متخصص في الصحافة، عضو هيئة تحرير «القافلة» الأسبوعية. عمل كمحرر صحفي في جريدة عكاظ قبل التحاقه بوحدة النشر العربي في إدارة العلاقات العامة في العام ١٩٩٨م. يساهم بين وقت وآخر في كتابة موضوعات لـ «القافلة» الشهرية، ومنها موضوعه للعدد الخاص عن رحلة التصوير في حياة المجلة، بالاشتراك مع الزميل خالد الطويلي

مراد الحسن، أحد موظفي أرشيف وحدة التصوير الفوتوغرافي إلى اليمين في نقاش مع رضي الليف أحد العاملين في طباعة الصور ذات اللونين الأبيض والأسود

مصورو «القافلة» اليوم

عبدالله الدبيس، كبير المصورين الحاليين وأقدمهم، التحق في الشركة عام ١٩٧١م في إدارة الأمن، ثم انتقل منها إلى وحدة التصوير في عام ١٩٧٣م حيث يعمل إلى اليوم.

يقول عبدالله إنه كباقي زملائه السعوديين في وحدة التصوير، استفاد في بداية عمله من خبرات مؤسس الوحدة «مودي» وحوالي عشرين مصوراً محترفاً أمريكياً وبريطانياً كانوا قد أحضروا إلى وحدة التصوير في مهمات عمل خاصة تتراوح مدتها بين ثلاثة أشهر وخمس سنوات. ويخص بالذكر منهم البريطاني «أدريان وين». وعلى صعيد التدريب حضر الدبيس دورة دراسية في معهد «بروكس» للتصوير في مدينة «سانتا باربارا» بولاية كاليفورنيا الأميركية، كما حضر ورش عمل في كل من ألمانيا وسويسرا.

أما عن الجيل الجديد وكله من السعوديين، فيقول عبدالله: «لقد ابتعثت أرامكو السعودية كل مصوريها إلى المملكة المتحدة لمدة تسعة أشهر، حضروا خلالها دورات مكثفة في التصوير والتحميض وطباعة الصور. وذلك في إطار عمل الشركة العام على رفع كفاءة موظفيها ومواكبة أحدث التقنيات والأساليب والمهارات المستخدمة عالمياً في مجال التصوير الفوتوغرافي».

وينطلق المصورون حالياً في مهام تصوير يتراوح عددها أسبوعياً ما بين ٣٠ إلى ٤٠ مهمة لصالح مطبوعات الشركة المختلفة ولصالح بعض الإدارات في الشركة عند الطلب، كما تتم طباعة ما بين ألف وألفي صورة أسبوعياً في معمل الشركة.

القهوة على ثياب رئيس الشركة

وعلى صعيد العلاقة العملية بين مجلة «القافلة» ووحدة التصوير، يؤكد عبدالله الدبيس معرفته بمتانتها من خلال تاريخه الطويل في العمل في هذه الوحدة ويقول في هذا الصدد: «كانت لطلبات التصوير التي تردنا من مجلة «القافلة» الأفضلية والأولوية على ما سواها من طلبات في وحدة التصوير، فكنا نبعث بأفضل مصورينا لالتقاط الصور في المهمات التي يحددها محررو المجلة». وقد سافر الدبيس لالتقاط صور استطلاعات لـ «القافلة» إلى كل من مصر وكينيا والأردن والمغرب وكوريا واليابان مرافقاً لمحرري المجلة.

فريق المصورين الحاليين داخل استوديو التصوير خلال لقائهم بمحرر «القافلة» الزميل عبدالرحمن أبو الجدايل وهم من اليمين إلى اليسار فيصل الدوسري وعبدالعزيز المعيوبد وعبدالله الدبيس وتركي الغامدي

وخلال رحلات الدبيس العملية صادف الكثير من التجارب والخبرات والمواقف وبعضها ظل عالقاً في ذاكرته إلى اليوم إما لصعوبته وإما لطرافته. وفي ذلك يقول: «كنت أصور حفلاً حضره أحد رؤساء الشركة القدامى. وفي نهاية الحفل دعاني الرئيس إلى الجلوس بجواره إلى مائدة الطعام، فجلست وأنا في غاية البهجة والارتباك، ولكن ما حدث هو أن كوب القهوة الخاص بي انسكب على ثياب رئيس الشركة، فظهرت جميع ألوان الطيف على وجهي، غير أنه هدأ من روعي وحرجي، وكان في غاية التواضع والتسامح.

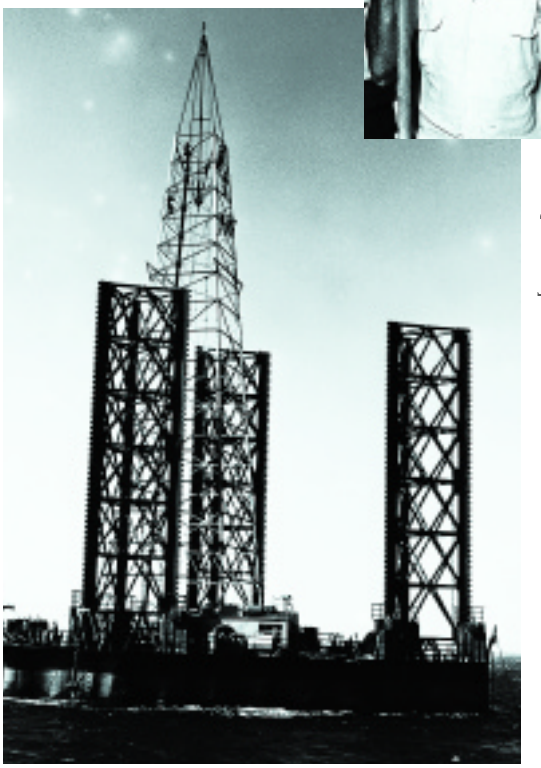

عمال أحد أبراج الحفر في منيفة يظهرون كالعصافير في رأس أحد الأبراج المنصوبة في البحر، ويقول زايد بن سالم، رئيس عمال تشييد أبراج الحفر في منيفة، الصورة في الإطار، والذي قضى ٢٢ سنة في هذه المهنة بين بابكو في البحرين وأرامكو، أنه لا يحصي عدد الأبراج التي شارك في إقامتها، كما لم تقع له، بفضل الله، أية حادثة، وهي معجزة لأن رفع قطع كبيرة من الصلب إلى ذلك العلو الكبير وتركيبها فوق بعض عمل دقيق يحتاج إلى يقظة دائمة.

تمتلئ صفحات المجلة بملامح مصورة ومكتوبة عن اللحظات الفاصلة في تاريخ الشركة منذ توقيع اتفاقية الامتياز في جدة يوم ٢٩ مايو ١٩٣٣م، وحتى تدشين مشروعات حقول الحوطة والشيبة وتحديث مصفاة رأس تنورة، ومشاريع الغاز في الحوية وحرض.

أغلفة المجلة وصفحاتها تزدان بوجوه أليفة تنتمي إلى الجيل الأول من موظفي الشركة السعوديين الذين خاضوا غمار تجربة العمل الميداني دون حصيلة علمية تذكر. جاءوا بوفاض خال من أي مجد أو غنيمة، لذا أقبلوا على مراكز التدريب والدراسة المهنية بنهم فريد، وانخرطوا ببسالة قل نظيرها في مناهج إتقان جميع المهن، وارتبطت الدروس النظرية بالتجارب التطبيقية في حياتهم بروابط كبرت وأزهرت واختمرت في دماء الأجيال اللاحقة.

ولم يكن غريباً أن يتسنم أغلفة المجلة وتحقيقاتها الداخلية موظفو معامل فصل الغاز من الزيت، وحفارو بئر شدقم ١٢، ومراقبو عدادات الغاز في رأس تنورة، ومشغلو محطات الدفع في بقيق، ومسؤولو معمل التركيز في الظهران، وميكانيكيو السيارات في الظهران، وخريجو مدرسة التمريض، وفرق قيادة السيارات الثقيلة والمتوسطة، وسائقو الجرافات الثقيلة في الصحراء، ووجوه عديدة من أقسام المستودعات والمشتريات، والآلات الرافعة والنقليات والصيانة والمشاغل ومحطات الدفع، وورش النجارة، والبحرية، والسباكة، وورش التصليح، والمختبرات،.. وغيرهم الكثير.

أما الأمر الأكثر إدهاشاً، فهو أن أعداد المجلة عبر مضي السنوات قد تحولت إلى سجل ناصع لمجمل التطورات والمشاريع والملتقيات التي حدثت فوق رمال المملكة، وأحالت شطراً منها إلى مواطن للناس، صالحة للعيش، والإقامة الثابتة، وعمارة الأرض. نعم لقد اتسعت المدن أحيانا بشكل يدفع للحنين إلى القرية الأولى والمضارب المتآلفة. ولعل هذا الشعور ذاته هو ما دفع الرحالة الإنجليزي جيرالد دوغوري في منتصف الخمسينيات ليكتب عن أيامه في الربع الخالي قائلاً: «يشعر الرحالة في مثل هذه الأراضي القفراء بالجاذبية الغريبة للصحراء بتمامها، ويصبح افتخاره بإنسانيته أقوى، لأنه يعيش لذة الهروب من الأدغال المربكة. يشعر أنه وحيد مع أخيه الإنسان فوق الأرض التي خلق منها، ومع عناصر الوجود العظيمة التي أبدعها خالق الشمس والقمر والنجوم. يبدو حب الصحراء لأول مرة أمراً يخالف العقل، لكنه عندما يتعرف عليها فإنها تجذبه إليها ثانية وإلى الأبد...». ورغم كل نزعات الماضي التي تستبد بنا في لحظات مواجهة المستقبل فإنه من المتعذر علينا أن نجحد ما أضافته المدينة إلى حياتنا من رغد تعليمي ومعيشي واقتصادي واجتماعي وتقني.

مهنية استثنائية

نكتشف فيما نكتشف عبر رحيلنا في المجلدات مستوى راق من المهنية في إعداد المواد وصياغتها وإخراجها، يكاد يقارع أحياناً بعض دورياتنا الداخلة إلى القرن

جغرافية المهنة

أسرار مجتمع يتلمس طريقه إلى الفجر

بقلم: محمد الدميني - هيئة التحرير

حاولت مراراً أن أبني من سيل الصور والاستطلاعات والمشاهدات التي انهالت علي من مجلدات «القافلة» صورة متماسكة لشكل الحياة في أي بلدة من بلدات الدمام أو الظهران أو الخبر، قبل أن تبلغ أول البعثات الجيولوجية ساحل الجبيل في سبتمبر ١٩٣٣م، لتنصب خيامها لاحقا في موقع ما قرب جبل الظهران، لكنني لم أتمكن من أن أجمع أبداً شظايا تلك الصورة. كأنني أمسك قبضة رمل سرعان ما تندفع هاربة من بين أصابعي.

كثيراً ما سرقتني الساعات وأنا أتجول بين صفحات تلك الخزينة النادرة من أعداد المجلة متفرساً في الملامح والوجوه، ومدققاً في أبراج الحفر والمعامل والمنشآت، ومحاولاً قراءة المنعطفات التاريخية في مسيرة إنساننا ووطننا وزمننا.

وفي الآن ذاته، كنت أقرأ في عباب الصفحات الماضية للمجلة صورة جيلي الذي يجتاز الآن عقده الرابع، حين كنا نتناهب أعداد هذه المجلة ونتبادلها كمن يتخاطف تحفة نخاف عليها من يد المنون. كانت تصلنا طبعاً متقطعة تجللها وعثاء السفر وعطور الإياب في حقائب العائدين إلى القرية لقضاء إجازتهم السنوية، وكنا نتلقفها كهدايا من أيدي الموظفين القدامى الذين كانوا يتجشمون حملها إلينا رغم أنهم لم يقرأوا سطراً واحداً فيها بحكم أميتهم.

لم يعد الجمل وحده سفينة الصحراء، مقطورات النقل تشارك في حمل اللقب، وترى هنا، في منتصف الستينيات، وهي تحمل معدات الحفر في طريقها إلى مواقع العمل في أعماق الصحراء

تلك أيام بعيدة، لا أجد وهجها يخف رغم انقضاء الأيام، وحين أحمل بعض المجلدات هذه الأيام إلى منزلي مستجمعاً كل المغذيات اللازمة لكتابة مقالة تليق بمناسبة ذهبية في تاريخ المجلة الحافل، يستبد بي شوق لمواصلة الرحيل عبر الصفحات. فها أنذا أكتشف أن لا مجلة اقتربت من موضوعها ومن جمهورها، وانخرطت في دورها التاريخي كما فعلت هذه المجلة «قافلة الزيت»، وخاصة في عقودها الثلاثة الأولى.

انطلاقة مدارس أرامكو في الشرقية

لم تكن الحال التعليمية بأحسن من مثيلاتها في مناطق المملكة الأخرى. كان التعليم مقصوراً على حلقات للبالغين أو في كتاتيب خاصة تعلم مبادئ الدين والقراءة والكتابة. ولم تعرف المدارس النظامية في المنطقة الشرقية إلا عام ١٩٣٧م حين أنشأت حكومة المملكة أول معهد ابتدائي رسمي في الهفوف. لكن معالم التقدم العمراني والزراعي والصناعي التي صاحبت المزيد من اكتشاف آبار الزيت، وتزايد أعمال الإنتاج، بعد أن خمد أوار الحرب العالمية الثانية، فرض أن يواكب ذلك تطور تعليمي ملموس.

المدرسة الابتدائية الأولى للبنات في الخبر كما تبدو عام ١٩٦٧م، وهي إحدى المدارس التي بنتها الشركة في المنطقة الشرقية

ففي عام ١٣٧٣هـ طلبت وزارة المعارف، التي كانت لتوها قد تأسست، من شركة الزيت العربية الأمريكية، إنشاء مدارس تعليمية لأبناء موظفيها الذين أخذوا في التزايد، واستجابت الشركة للطلب مباشرة، وبدأت لجنة مشتركة من قبل الحكومة والشركة التخطيط لإخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود، وخرجت اللجنة باتفاقية التزمت فيها حكومة المملكة بتقديم الأرض اللازمة لبناء المدارس في المناطق التي تقطنها أغلبية أبناء موظفي الشركة، في حين التزمت أرامكو بتصميم المدارس وإنشائها وتشغيلها وصيانتها ودفع رواتب المدرسين والإداريين فيها.

وكانت أول مدرسة أنشأتها الشركة بموجب هذه الاتفاقية، مدرسة الدمام الابتدائية الثانية التي افتتحها في شهر نوفمبر عام ١٩٥٤م، جلالة الملك سعود، يرحمه الله، عندما كان ولياً للعهد آنذاك. وتلتها مدرسة الخبر الثانية. وفي عام ١٣٧٩هـ شمل البرنامج التعليمي إقامة مدارس متوسطة، فتم إنشاء أول مدرسة متوسطة بالدمام عام ١٣٨١هـ، أعقبتها المدرسة المتوسطة في الهفوف. وانطلقت بعد ذلك المدارس في بلدات القطيف وسيهات والمبرز وصفوى، وتزايد عددها في الدمام والخبر والإحساء وبقيق ورأس تنورة. ومع انطلاقة تعليم الفتاة في المملكة جرى التفكير ذاته بالنسبة لمدارس البنات. ففي أواخر عام ١٣٨١هـ، التزمت الشركة بناء مدارس تفي بحاجة بنات موظفي الشركة، وتقرر أن يكون إنشاء المدارس بمعدل مدرستين تقريباً في السنة، تتسع الواحدة لحوالي ٣٦٠ طالبة، وبذلك أقيمت أول مدرسة ابتدائية للبنات في بلدة رحيمة، تلتها مدرسة أخرى في الخبر.

هذه المدارس التي انتظم عقدها على مدى السنوات اللاحقة شكلت أرضية تعليمية ساندت من ناحية أعمال الشركة من خلال ضم الفئات المتعلمة التي اجتازت المراحل التعليمية المختلفة بنجاح، كما أسهمت بنصيب وافر في دعم مسيرة التعليم في المملكة وتقليص مساحة الأمية في المنطقة، وتوفير أسس خلاقة لأجيال متتالية نالت قسطها من العلم والمعرفة في مدارس تعتبر نموذجاً متميزاً للمؤسسات والدور التعليمية، وقد بلغ عدد هذه المدارس اليوم ١٢٧ مدرسة تحتضن نحو ٧٠ ألف طالب وطالبة.

أول توقيع على اتفاقية تملك البيوت

لا نعرف ما إذا كان السيد عقيل عبدالله عقيل، على قيد الحياة اليوم، فلاسمه في تاريخ عمارة الأرض في المنطقة الشرقية، بريق خاص، فقد كان أول موظف يوقع اتفاقية تملك البيوت في الشركة في أحد أيام عام ١٩٥١م، وبعده تقاطر الألوف لينضموا إلى هذا البرنامج الذي شكل أول نواة لإقامة تجمعات سكانية اتسعت لاحقاً لتصبح المدن التي نعرفها اليوم:

الجديد، ونطالع سرباً من الصور الفوتوغرافية التي التقطت بيراع لافت، ثم حفظت بعناية، وبعضها ربما أصبح من كلاسيكيات المعنى الفوتوغرافي في حياتنا، بعضها عُلّق في ممرات وردهات مكاتب الشركة مذكراً الموظفين في ترحالهم اليومي بجهاد الآباء والأجداد، وبعضها ينتظر أن يتصدر معارضنا ومناسباتنا، فتلك الوجوه المسفرة التي قفزت فوق عتبات المستحيل، وأرخت لبزوغ اقتصاد دولة، كم تستحق أن تبقى نبراساً وهادياً لكل إرادة قررت القفز فوق الصغائر وارتياد المسالك الصعبة.

إن أية قراءة منصفة لكفاح الإنسان في هذه البلاد لا بد وأن تلحظ أن السواعد والإرادات التي نزحت من قرى المملكة وهجرتها واتجهت إلى هذه المنطقة قد صنعت نموذجاً غير مسبوق لاتحاد واندماج تجمعات سكانية متباعدة وربما متنافرة في مفاهيمها وعاداتها ولهجاتها. اكتشفت – ربما بفعل ضرورات عدة – أن الانخراط في إقامة مكان واحد ومشترك للعيش والعمل والإنتاج هو أفضل السبل لتجاوز مظاهر التشرذم والانفصال التي تطبع الأمم الشديدة التمسك بتاريخها العصبي والفئوي. يمكن القول أن مدن الدمام والخبر والظهران وبقيق ورأس تنورة والهفوف هي نماذج للمدن التي احتضنت أفراداً وأسر من جميع مناطق المملكة وأتاحت لهم فرص العمل الشريف والإقامة المشتركة مع سكان المنطقة الأصليين. ولن نكون مثاليين هنا لكي نعتبر أن الانصهار بين الفئات السكانية بات منجزا ومكتملا في جميع الحقول، وأن الجميع يتماثلون في طبائعهم وخصالهم ومفاهيمهم السلوكية والنفسية، لكننا نعتقد أن شوطاً في هذا المضمار الصعب قد قطع، وأن جهداً يتعين على المؤسسات التعليمية والثقافية والاجتماعية أن تنجزه، لتكتمل صورة المجتمع التي تشكلت من قبائل وأطياف وأقامت كيانا صالحاً ومتماسكا على الأرض.

إن الدور الذي لعبته شركة أرامكو في جميع مراحل نمو المنطقة منذ توقيع امتيازها للتنقيب عن النفط هو دور استراتيجي لا على مستوى المنطقة الشرقية فحسب، بل على مستوى بلادنا بأسرها والعالم قاطبة.

عدد من مزارعي الأحساء يزرعون أشجار الأثل داخل منطقة الحزام الأول لمشروع تثبيت كثبان الرمال هناك

فبمضي الأيام وتدفق الإنتاج البترولي وتوسعه وتزايد العوائد المالية، انتقلت المملكة من مرحلة البداوة إلى عصر الدولة الحديثة والمنظمة. وكون النفط إحدى السلع الاستراتيجية في العالم حتّم أن تكون وسائل الاكتشاف والإنتاج والتسويق هي الأكفأ من نوعها في العالم. وبالطبع فإن هذا لم يكن ليتم دون تأسيس بنية علمية ومهنية متكاملة، لذا جاءت البداية من المنطقة الشرقية حيث كانت آبار البترول تتفجر بالذهب الأسود وتملأ الأرض وعوداً وآمالاً عراضاً.

وإذا كان من الصعب استيفاء كل المعالم والصروح والإنجازات التي انتصبت تحت سماء الشرقية، فحسبنا هنا أن نروي فصولاً من حكاية طويلة، هي حكاية الألم والجهاد الإنساني ومواجهة المجهول والإيمان بالمستقبل فوق أرض تشويها الشموس بسعيرها المتأجج. وقد تواكب مع انطلاقة «القافلة» قبل ٥٠ عاماً البدء في برنامجين رائدين كان لهما أعظم الأثر في تحقيق التنمية الاجتماعية والعمرانية في المنطقة وهما برنامج المدارس الحكومية التي بنتها أرامكو وبرنامج تملك البيوت.

أحد أوائل مرشدي المعرض، عبداللطيف المخايطة، يشرح لعدد من الطلاب الزائرين للمعرض، في عام ١٩٦٣م، وظائف أحد أبراج الحفر الضخمة

وعائلاتهم والمجتمع الذين ينتمون إليه، نكتفي هنا بذكر عينة منها: برنامج الورش للنجارين، وبرنامج المقاولين للبناءين، وهواة العلم والاختراع، وبرنامج هل تعلم؟، والطب في خدمتك، وتعلم العربية والإنجليزية في التلفزيون... وحين يطالع القارئ الصور المرافقة للتحقيق الصحفي الذي كتب عن المحطة، تستبد به نفحة من الفخر، لأن أطقم التصوير وفنيّي الصوت ومراجعي الأفلام، وفنيّي قسم المراقبة وقسم التنسيق، كانت تضم نخبة متخصصة من السعوديين المؤهلين الذين عملوا باقتدار مهني في زمن كان التلفزيون فيه في بقاع أخرى من المملكة والخليج شيئاً من أطياف الأحلام.

مرشدو معرض الزيت

على جدول معرض أرامكو السعودية اليوم، مواعيد رتبت لزيارة أفواج طلابية تأتي من مناطق المملكة، بهدف التعرف على الملامح الجديدة لصناعة النفط والغاز في المملكة، والاقتراب من فهم أهم شريان اقتصادي يغذي حياة كل مواطن. حين أشاهد صورهم اليوم برفقة أحد الإخوة العاملين في المعرض، وهو يشرح لهم محتوياته، تتداعى إلى مخيلتي أطياف بعيدة من صور وحكايات كنا نطالعها بشغف لا يضاهى على صفحات هذه المجلة، حين كانت تصل إلينا في قاع أحد حقائب الموظفين العاملين في شركة أرامكو. هل يستبد بالأجيال الجديدة ذلك الشوق القديم الذي كان يحتدم في روحي، شوق اكتشاف هذا السائل الأسود الغريب، والشغف برؤية أبراج الحفر والمعامل والناقلات والأنابيب، رأي العين؟ إن دهشة الاكتشاف باقية لأنها لصيقة الطبيعة البشرية ذاتها، وأعتقد أن الجيل الجديد يقرأ بطريقته ملامح المعرض الجديد.

المعرض الذي نشاهده اليوم بدأ كفكرة تمخض عنها معرض دولي أقيم في مدينة دمشق عام ١٩٤٥م، فحين جرى في تلك الأيام الإعداد لجناح المملكة المشارك في المعرض، طلبت حكومة المملكة من أرامكو تزويدها ببعض النماذج والصور والرسوم الإيضاحية لعرضها في معرض دمشق. وما حدث بعد ذلك هو أن الشركة استجابت للفكرة فأقامت معرضاً متنقلاً للزيت في الظهران، ثم تنقل في بعض مناطق المملكة. وبعد ذلك قررت الشركة تأسيس معرض دائم يروي صناعة الزيت، ويرحب بزواره للتعرف على أساليب التنقيب والحفر والإنتاج والتكرير، وتم افتتاحه فعلياً في ٢٥ أغسطس ١٩٦٣م في حفل أقامته أرامكو برعاية صاحب السمو الأمير عبد المحسن بن جلوي. وما زال العديد من قادة الفكر والعلم والرأي في المملكة يستلهمون ذكرياتهم العطرة حول أول لقاء لهم بمعرض الزيت الدائم أو المتنقل حينما كانوا فتياناً يافعين في بداية رحلتهم المعرفية.

الدمام، والخبر، والظهران، ورأس تنورة، وبقيق... وغيرها. وبفضل هذا البرنامج تملك آلاف الموظفين في الشركة عبر تاريخها منازل قريبة من أماكن عملهم، عن طريق البناء أو الشراء. كانت كثافة الإقبال على الاشتراك في هذا البرنامج ظاهرة، فشروط التسديد كانت معقولة، حيث يحسم ما نسبته ٢٠٪ من راتب الموظف، وتتنازل الشركة عن حقها من دفعات التسديد في حال وفاة الموظف وفي بعض حالات الإصابة المقعدة. وفي إحصائية نشرت عام ١٩٦٧م، حظيت مدينة الدمام الناشئة بقرابة ١٩١٢ اتفاقية بناء أو شراء بيوت فيها، كما وقعت ٩١٥ اتفاقية في الخبر، وفي بقيق ٣٨٣، وفي رحيمة ٩٦٤، وفي القطيف ١٠٤٢، وفي الهفوف ١١٣١ وفي الجبيل ٦١، وفي الغربية ٩١، وثلاث اتفاقيات للبناء في مناطق أخرى.

وشكل مجمل هذه الاتفاقيات عصب البنية العمرانية في المنطقة، وحول هذا العصب ارتفعت التجمعات التجارية والزراعية والصناعية واتسعت المدن وتضاعفت وتائر التنمية. وعلى مدى تاريخه العريق أسهم برنامج تملك البيوت في إنشاء نحو ٤٥ ألف بيت وكان النواة التي انطلقت منها عملية بناء الفلل الحديثة والتي انتشرت نماذجها في المملكة بعد ذلك.

القناة رقم (٣)

كان يوم ١٦ سبتمبر من عام ١٩٥٧م يوماً مشهوداً في تاريخ العمل الإعلامي والثقافي في منطقة الخليج بأسرها، فهذا اليوم كان يوم انطلاق محطة تلفزيونية تبث في منطقة الخليج العربي، ألا وهي محطة تلفزيون أرامكو التي عرفت فيما بعد بالقناة رقم (٣)، وهي بذلك تسبق محطة تلفزيون المملكة بعدة سنوات.

بدأت المحطة ببث برامجها لمدة خمسة أيام في الأسبوع، بمعدل ساعة واحدة في اليوم، وبعد ذلك انتظم بثها ليصبح ساعتين، فثلاث ساعات يومياً. كان وراء ذلك طاقم متخصص ينطلق بقدراته الذاتية إذ لم تكن هناك من تجربة سابقة يمكن الاقتداء بها. وعمل الطاقم على تعريب البرامج التي كانت ترد باللغة الإنجليزية، وإضافة الصوت العربي إليها

السيد عثمان المبارك، ناظر قسم تملك البيوت في رأس تنورة، يراجع إحدى الخرائط مع موظف مشترك في برنامج تملك البيوت، في عام ١٩٦٧م

«الدبلجة»، والشروع في تصوير برامج محلية تراوحت بين الصحة والسلامة ونشرات الأخبار.

إن قصة ما يجري في كواليس إعداد الأفلام والبرامج الأجنبية مثل: أفلام موسوعة المعارف البريطانية، ومدينة ديزني، وبرامج الورش، وأفلام العلوم والرحلات، وبعض البرامج الترفيهية، هي إحدى القصص التي تستحق أن تروى لأنها تلخص جانباً من المهنية العالية التي اتسم بها جهاز تلفزيوني هو في الطور الأول من أيام ولادته.

فنيون سعوديون، في العام ١٩٦١م، داخل غرفة المراقبة بتلفزيون أرامكو يشرفون على بث البرامج

ونحن إذا كنا نتحدث اليوم عن الآثار السلبية لضعف البرامج التدريبية المهنية في المملكة إجمالاً، فلا يوجد ما هو أسهل من الإدراك أن القائمين على تلفزيون أرامكو في تلك الأيام من أواخر الخمسينيات، قد فطنوا إلى اختيار برامج ذات نفع مباشر للموظفين

طبيب واحد يساعده اثنان من الممرضين لمعالجة الحالات الطارئة، ثم جاءت مرحلة أخرى توسعت فيها أعمال الشركة وازداد عدد الموظفين العاملين لديها،

واجهة المركز الصحي في بقيق، كما تظهر عام ١٩٥٧م، وكان هذا المركز يتسع لـ ٣٢ سريراً

مما أوجب بالتالي بدء أعمال توسعة الخدمات والمنشآت الطبية.

وشهد عام ١٩٥٣م إنشاء ثلاث مستشفيات حديثة مزودة بالمعدات والأجهزة الطبية الكاملة أولها: في الظهران وضم ٤٣سريراً، والثاني في رأس تنورة وضم ٣٢ سريراً، والثالث في بقيق وضم ٣٢ سريراً أيضاً... لكن اللبنة الأولى التي وضعت حداً بين أشكال الطب البدائي التي كانت سائدة في المنطقة، والممارسات الطبية الحديثة تمثلت في مبادرة هي الأولى من نوعها وهي القضاء على الأمراض المعدية والمستوطنة، والحيلولة دون استفحالها مثل: الكوليرا، والملاريا، وغيرها.

وتحفل الصفحات التي سجلت عن حملات المكافحة بقصص مؤلمة عن الآثار الفادحة لهذه الأمراض، وبجهود كبيرة بذلها أهالي المنطقة وأخصائيو الشركة العاملين في قسمي الطب الوبائي في المنطقة الشرقية. وفي سنواتٍ لاحقة أنهى قسم الأبحاث الطبية في أرامكو برنامجاً خاصاً عن أبحاث التراخوما بالاشتراك مع جامعة هارفارد الأمريكية استمر لمدة عشر سنوات واختتم عام ١٩٧٥م بعد أن خلت المنطقة منه، وشرع القسم نفسه بعد ذلك في إجراء سلسلة من الأبحاث استهدفت التعرف على «مرض الخلايا المنجلية». ورغم النجاح الذي تحقق في تقليص رقعة انتشار المرض، فإنه لم يختف تماماً لأن الأسباب الاجتماعية «الزواج بين الأقارب» قد وقفت حائلاً دون اختفائه نهائياً.

التدريب...الصناعة الباقية

إذا كانت هناك من علامات فارقة في مسيرة هذه الشركة، فإحدى هذه العلامات بالتأكيد هي: «استراتيجية التدريب». فقد فطنت الشركة منذ حصولها عام ١٩٣٣م على امتياز التنقيب عن الزيت في المملكة، إلى أنها شرعت في العمل على أرض تخلو من الأيدي العاملة المتقنة لمهماتها، خاصة وأن طبيعة أعمالها قد تختلف عما ورثه سكان هذه المنطقة ومناطق المملكة الأخرى من مهن وصناعات تقليدية. إنها تبدأ أعمال الحفر والتنقيب والاستكشاف وما تستلزمه من جهود تشغيل ومراقبة وصيانة دون أن يكون بين يديها سوى ثلة من المهندسين والعمال الذين أتوا من القارات البعيدة أو بعض البلاد العربية.

بدأ التدريب في أول الأمر تدريباً مبدئياً، وغالباً ما كان يتم في مواقع حفر الآبار، وما لبثت أن بادرت الشركة بإنشاء مراكز وورش للتدريب على مختلف المهن والحرف والمهارات الفنية في مناطق أعمالها، ولم يمض وقت طويل حتى اتسع نطاق برامج التدريب.

لكن العمود الفقري في مسيرة التدريب، في اعتقاد الكثيرين، هو إنشاء مراكز التدريب الصناعي التي بدأ نشاطها الدراسي في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي في كلٍ من الظهران وبقيق ورأس تنورة، ولم يحل عام ١٩٥٠م حتى كان أكثر من أربعة آلاف موظف سعودي يتلقون تدريباً على حوالي ١٤٤ حرفة ومهنة مختلفة، وتركزت مواد هذه المراكز على دروس نظرية وعملية تشمل اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم والطبيعيات والكيمياء والمحاسبة والاختزال والضرب على الآلة الكاتبة.

ومن جهة أخرى، فقد ساعدت مراكز وورش التدريب الأخرى على إمداد الشركة بمثل هذه المهارات حتى غدا معظم مرافقها ومنشآتها يعتمد على المهارات

كلية البترول والمعادن وتعقيدات الروتين

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، هي إحدى الصروح العلمية المتخصصة لا في المملكة فحسب، بل في العالم العربي، وعبر تاريخها الذي يناهز أربعة عقود خرجت أجيالاً من المتخصصين والمهندسين، كان لأرامكو السعودية نصيب وافر منهم.

نواة هذه الجامعة كانت «كلية البترول والمعادن» التي افتتحها جلالة المغفور له الملك فيصل ابن عبدالعزيز، في شوّال عام ١٩٦٥م، والتي تخصصت في إتقان كل ما يتصل بالبترول والمعادن، وتشجيع البحوث العلمية في هذين الميدانين، والعمل على نشر الثقافة البترولية والمعدنية في المملكة، وتزويدها بالمتخصصين في هذه المجالات. وقد كان تأسيس هذه الجامعة المتميزة من بين المشاريع التنموية التي تعتز أرامكو بالمشاركة فيها.

لكن أكثر الأمور جدارة بالذكر هي أن مجلس إدارة الكلية قد ضم إلى جانب ثمانية من كبار رجالات الدولة، ثلاث شخصيات ذات مناصب عالمية مرموقة وهي: رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت، وعميد الدراسات العليا في «معهد ماسا تشوستس للتكنولوجيا»، ومدير إدارة العلاقات الخارجية في معهد البترول الفرنسي، وهي شخصيات عززت بثقلها موقع الكلية ورفعت من كفاءة طاقمها الأكاديمي، ومنحتها سمعة رصينة بين مثيلاتها في العالم.

بدأت الدراسة في الكلية في ٣ أكتوبر عام ١٩٦٤م، بعد اختبارات قبول شملت ٢٠٠ متقدم، اجتاز ٥٣ طالباً منهم الاختبارات بنجاح، ورغم أن شروط الالتحاق بالكلية يلزم المتقدم أن يكون سعودي الجنسية، فان إحدى المفارقات آنذاك أن الدفعة الأولى ضمت ١٥ طالباً جزائرياً تلقوا منحاً تعليمية ليصبح مجموع طلاب أول دفعة ٦٨ طالباً.

من اليمين، الدكتور صالح أمبه، عميد كلية البترول والمعادن، أحد أوائل الحائزين على شهادتي الماجستير والدكتوراة في هندسة البترول، والأستاذ بكر عبدالله بكر المتخرج حديثا في جامعة تكساس الأمريكية الذي عمل نائبا لعميد الكلية قبل حصوله على شهاداته العليا، في إحدى جلسات العمل بالجامعة الوليدة آنذاك

وتوسعت أقسام الكلية وتخصصاتها كما نعرف، وزاد عدد ملتحقيها وضمت أقساماً للدراسات العليا ومعاهد متخصصة لتصبح فيما بعد جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، التي نعرفها اليوم والتي لم تتوقف عن دورها الرائد في تخريج دفعات تملأ شواغر التخصصات الهندسية والتقنية في جميع قطاعات الأعمال الحكومية والعامة والخاصة في المملكة.

أسرار السيارات البيضاء

فوجئ موظفو بقيق في أوائل عام ١٩٥٤م بمشاهدة سيارات بيضاء مقفلة، شبيهة بسيارات الإسعاف، وهي تطوف بالمنطقة الصناعية هناك. لم تكن تلك السيارات سوى عيادات منتظمة مزودة بأنواع العلاجات ومواد الإسعاف الطبي، تخترق حشود الموظفين لتقدم الخدمات الطبية لهم. وقد مكثت تلك السيارات تتنقل بين محطات انتظار الموظفين وفق برنامج أعده قسم الخدمات الطبية في بقيق.

هذه ومضة من بدايات الأمل في بلوغ حالة صحية تختفي فيها الأمراض المزمنة والأوبئة المستوطنة التي طالما أبادت أجيالاً بكاملها، لا في منطقة شرق المملكة بل في جميع مناطقها. وحين بدأ المنقبون الأوائل أعمال الحفر والاستكشاف في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي، لم يكن في أرامكو الوليدة آنذاك سوى

لقطة لميناء الدمام تعود إلى عام ١٩٥٢م، وتظهر سكة القطار التي كانت تشق أرصفة الميناء فيما تفرغ إحدى السفن حمولتها

أوّل المكتبات الحديثة

أول مكتبة في المنطقة الشرقية يمكن اعتبارها مكتبة حديثة بالمعنى الدقيق للكلمة هي: «مكتبة الأبحاث العربية» التي أسست عام ١٩٤٧م، في مبنى مقر المكاتب العامة في الظهران. وفي شهر ديسمبر عام ١٩٦٦م كانت الكتب المحفوظة فيها قد زادت على ٨٠٠٠ كتاب، فيما كانت تكتنز حوالي ٢٠٠٠ مجلة ودورية متنوعة الأغراض والمشارب، تلتها المكتبة الفنية المركزية التي تم تأسيسها عام ١٩٥٦م وضمت موجودات مدرستي الجبيل والتدريب العالي، وبلغ مجموع ما احتضنته من الكتب والمجلات والمراجع في منتصف الستينيات حوالي ٣٨٠٠٠ مصدر. كما ضمت المكتبة ٢٥١٠ أفلام منها ١٣٢٥ فلماً صامتاً والأخرى ناطقة.

بعد ذلك أنشئت مكتبات تابعة لمراكز التدريب في بقيق (١٩٥٥م) والظهران (١٩٥٦م) ورأس تنورة (١٩٥٧م). ومن المدهش أن يكون معدل زائري أي من المكتبات الثلاث حوالي ٥٠٠ طالب يومياً. كما ضمت أحياء سكن الموظفين عدة مكتبات كان أولها في حي المنيرة عام ١٩٥٢م، ومكتبة حي الفرحة في بقيق عام ١٩٥٤م، ومكتبة حي رضوى برأس تنورة عام ١٩٥٢م، ورواد هذه المكتبات يتراوحون بين ١٠٠-٥٠٠ زائر يومياً.

هذه التواريخ التي سردت هنا لم أقصد بها سوى إعطاء القارئ صورة عن الأرضية الثقافية التي نشأت في أواخر الأربعينيات، وكيف تفتحت عليها عقول، وتبرعمت فيها مواهب، وصقلت أذهان مجموعة كبيرة من الموظفين الذين كانوا الأوائل في اجتياز درب علمي وتعليمي شاق. ويعتبر مؤرخو المكتبات والوثائق في المملكة أن مصادر المعرفة والمراجع والكتب التي احتضنتها أرامكو في عقودها الأولى قد شكلت مراجع أساسية لطليعة من الكتاب والباحثين والدارسين، خاصة وأن ريادتها في تطبيق نظام حفظ مكتبي فاعل، قد حمى تلك المصنفات من عوادي الأيدي والأيام وطرق الحفظ والاسترجاع الرديئة.

محمد الدميني
كاتب وشاعر سعودي. كتب عدداً من التحقيقات وأجرى عدداً من المقابلات التي نشرت في مجلة «القافلة». سبق له العمل في القسم الثقافي بجريدة «اليوم». كما نشرت مقالاته ونصوصه في الصحف المحلية والعربية. له مجموعتان شعريتان هما: «أنقاض الغبطة» و«سنابل في منحدر».

والكفاءات المحلية في مختلف أعمالها. ومع نمو إنتاج الزيت وظهور منشآت جديدة تطلب الأمر استخدام معدات وأجهزة معقدة يتطلب تشغيلها قدرات ومهارات فنية عالية، حتى أن الشركة افتتحت عام ١٩٥٣م، مدرسة أسمتها مدرسة التدريب المهني لعمال المقاولين تخصصت في تزويد الشركة بحاجاتها من الأيدي العاملة في أعمال اللحام والأعمال الكهربائية وأعمال السباكة وتوضيب الأنابيب، وأعمال النجارة والصفائح المعدنية وغيرها. واستهدفت الشركة من تلك المدرسة تلبية النقص في أيديها العاملة، وتشجيع المقاولين المحليين وأصحاب الصناعات المحلية على القيام بأعباء الأعمال المساندة. وأثمرت كل جهود التدريب تلك سعودة القطاعات المهنية الواسعة التي يقوم عليها قطاع صناعة الزيت بكافة منشآته ومرافقه وأعمال مساندته.

لقد شكلت هذه الأجيال المدرّبة مرتكزاً لصنع بيئة مهنية وعملية مختلفة في المنطقة، وقد تسرب منهم عدد غير قليل استطاع قيادة المؤسسات والشركات العامة والخاصة بجدارة دللت على الثروة التدريبية التي حملوها معهم.

دفان القاطرات.. ودفان البواخر

السكة الحديد وميناء الدمام متلازمان في علاقتهما ببعضهما. ففي حين أدى الميناء الذي افتتح عام ١٩٥٠م إلى الانفتاح على العالم الخارجي، أدى مشروع السكة الحديد الذي خططت له ونفذته كاملاً شركة أرامكو، ثم افتتحه الملك عبد العزيز، يرحمه الله، عام ١٩٥٠م إلى ربط وسط البلاد بشرقها، والتطور الكبير الذي شهده الإنتاج البترولي في شرق المملكة، وما أعقبه من نشاط عمراني وإنشائي واسع، حملا إدارة السكة الحديد على شراء عدد إضافي من القاطرات وعربات الشحن والركاب، وهذا ما شجع لاحقاً على نشوء شركات صناعية محلية، وقيام صناعات وطنية حديثة.

بلغت تكلفة مشروع الخط الحديد الذي بلغ طوله حوالي ٥٧٧ كيلومتراً ما يقرب من ٢٠٠ مليون ريال، وهو مبلغ فلكي في ميزان تلك الأيام (أواخر الأربعينيات)، أما دعم مرفق السكة الحديد للحركة الصناعية والتجارية

عدد من مشغلي المعامل يتابعون شرح مدربهم حول وظائف غرف المراقبة التي تعد المفتاح الرئيس لكل مرفق صناعي

فقد تمثّل في القيام بتأجير الأراضي التي تمتلكها السكة بأجور مخفضة للشركات التجارية والصناعية لإقامة مصانع ومستودعات وغيره.

أما ميناء الدمام، فقد بنيت فرضته الشمالية ضمن مشروع إنشاء السكة الحديد عام ١٩٥٠م، وكانت ترتبط بالشاطئ بخط حديد طوله ١١كم، ثم أنشئ عام ١٣٩١هـ جسر صخري طوله ١،٤كم، واستعمل لمرور الخط الحديدي عليه، كما أصبح حاجزاً تتكسر عليه أمواج البحر في حالات المد.

ونظراً للنمو الاقتصادي والصناعي السريع تم الشروع في بناء ميناء الملك عبد العزيز الذي افتتح رسمياً عام ١٩٦٣م. وقد بقي مرفق السكة الحديد وميناء الملك عبد العزيز مرتبطين بإدارة واحدة هي مصلحة سكة حديد الحكومة السعودية، لكن اتساع مهمتيهما جعل هذه المصلحة تتحول إلى مؤسسة حكومية عامة، يشرف عليها مجلس إدارة يرأسه معالي وزير المواصلات.

القرّاء بالأرقام

حتى وقت إعداد هذه القراءة لنتائج الاستبيان بلغ عدد الردود التي تسلمتها أسرة المجلة ٣٣٣٤ ردّاً ذكر ٨٥،٩٪ منهم أسماءهم بينما فضّل ما نسبته ١٤،١٪ من المتلقين عدم ذكر أسمائهم. وتراوحت أعمار القراء الذين أرسلوا بردودهم ما بين ١٠ سنوات و٨٠ سنة. ومثلت فئات العمر الواقعة ما بين ٣١ و٥٠ سنة ما نسبته ٦١،٧٪ من المشاركين في هذا الاستبيان وامتنع ما نسبته ٨،٤٪ من القراء عن التصريح بأعمارهم. وتعكس فئات العمر من ٣١ إلى ٥٠ سنة التصاقها الوثيق بـ «القافلة» واستجابتها السريعة الناتجة عن الانتماء الشديد للمجلة بحكم أعمار هذا الجيل.

معظم الذين استجابوا للاستبيان كانوا من منسوبي القطاع الحكومي

للقافلة الشهرية مكانة أثيرة وخاصة لدى متلقيها القدامى وغالبية القراء يتابعونها منذ أكثر من ١٠ سنوات

ويبدو أن مجلة «القافلة» لا تشكل قوة جذب شديدة للنساء، فقد كانت نسبة الإناث المشاركات في الاستبيان متدنية جداً، حيث بلغت نحو ٥،٥٪، بينما شارك ما نسبته ٩٤،٥٪ من الذكور. وقد تكون قلة الموضوعات التي تهتم بالمرأة أو ندرتها سبباً رئيساً لعزوف النساء عن قراءتها أو المشاركة باستبيانها. وهذه النسبة الضئيلة للمشاركات من النساء تشكّل دعوة إلى أسرة تحرير المجلة لتسليط الضوء، بشكل أكبر، على الموضوعات التي تهم المرأة، بشكل خاص، والأسرة، بشكل عام.

أما معظم الذين استجابوا لهذا الاستبيان فقد كانوا من منسوبي القطاع الحكومي (٤٠٪) بينما جاء موظفو أرامكو السعودية في الدرجة الثانية (٣٥،٢٪). وقد يرجع ذلك إلى مدى كفاءة عملية توزيع «القافلة» أو إلى اطلاع موظفي الشركة على أكثر من مطبوعة تصدرها أرامكو السعودية، أو أن موضوعات المجلة تلبي رغبات وطموحات أفراد القطاع الحكومي بشكل أكبر. وفيما يتعلق بالمستوى التعليمي لمتلقي «القافلة» فقد بلغت نسبة من يحملون درجة البكالوريوس فما أعلى نحو ٣٤،٩٪ بينما بلغ حملة الشهادات العليا (ماجستير ودكتوراة) ما نسبته نحو ١٠٪. وكان نصيب حملة شهادة الثانوية العامة (٣٥،١٪) من المشاركة في الاستجابة لأسئلة الاستبيان.

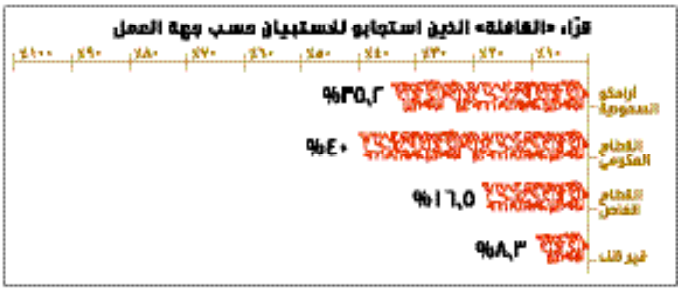

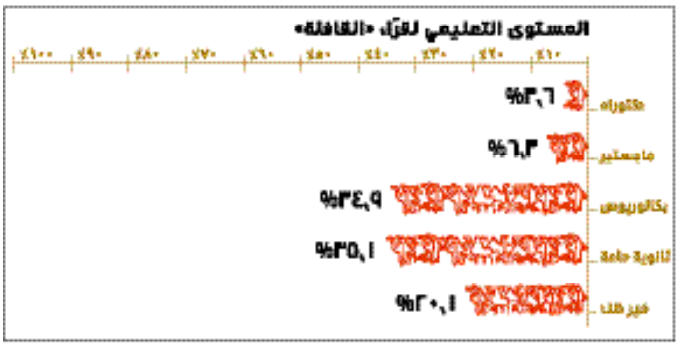

ومن جانب آخر أظهرت نتائج الاستبيان أن لـ «القافلة» مكانة أثيرة لدى متلقيها القدامى حيث بلغت نسبة من يتابعونها منذ خمس سنوات وأكثر ٧٧٪، أما نسبة من يتلقونها من القراء بشكل دائم فقد بلغت ٨٠٪. وفيما يتعلق بطريقة توزيع «القافلة» فقد أشار معظم متلقي الاستبيان (٨٢،٣٪) أنهم لا يواجهون أية صعوبة في الحصول على «القافلة» بينما عزا ما نسبته

«القافلة»
في عيون قرائها

بقلم: أحمد حافظ الحنجل
هيئة التحرير

بمناسبة احتفالها بعيدها الخمسين، توجهت «القافلة» من جديد إلى قارئها، تستشف رأيه وتستنير باقتراحاته. وقد بادر قارئنا العزيز في التجاوب مع الاستبيان الذي بعثناه أثناء مرحلة الإعداد لهذا العدد الخاص. وأكثر ما سرّنا ونحن نستقبل الاستمارات في رحلة عودتها أن المكاشفة كانت هي السائدة بيننا، ليلتقي بناء على ذلك هدفان: هدف من جانب القارئ نفسه؛ تمثل في إبداء طموحاته ومستوى تطلعاته لدور «القافلة»، وهدف من جانب جهاز تحرير المجلة وهو الوصول بها إلى غاية تستجيب لهذه الطموحات وهذه التطلعات.

ومن هذين الهدفين ندخل إلى نتيجة الاستبيان وتفاصيل رأي قراء المجلة الذين شاركوا فيه، مقدرين جهدهم في هذا التجاوب الذي يكتسب أهمية قصوى لدينا.

أظهرت نتائج الاستبيان أن عائلات المتلقين للمجلة تولي قراءتها أهمية خاصة، حيث بلغت مشاركات العائلات في قراءة «القافلة» نحو ٨٥٪

	الموضوعات	النسبة المئوية
١	العلمية	٦٥٫٧%
٢	الدينية	٥٦٫١%
٣	الأدبية	٤٠٫١%
٤	الطبية	٣٠٫٢%
٥	الاجتماعية	٢٧٫٠%
٦	الطاقة والبترول	٢١٫٧%
٧	الاقتصادية	١٩٫٥%
٨	أعمال الشركة	١٩٫٤%
٩	الاستطلاعات	١٧٫٦%

زخرت نتائج الاستبيان بفيض من الموضوعات التي اقترح القراء أن تطرحها المجلة في المستقبل

- علم الكمبيوتر وتطبيقاته
- المخترعات، والاكتشافات، والابتكارات الحديثة
- الأمراض الشائعة وطرق تجنب الإصابة بها وعلاجها
- الأغذية وتأثيرها على صحة الإنسان
- الأسرة والمجتمع
- الآثار والتراث
- المياه ومحطات التحلية في المملكة
- شخصيات عربية وعالمية
- القصة القصيرة والنقد الأدبي
- استشراف المستقبل
- استطلاعات عن مدن المملكة والعالم العربي
- علوم الفلك والفضاء
- أنشطة وأعمال أرامكو السعودية
- الإعجاز في القرآن الكريم
- البيئة وأصول السلامة
- التصحر: مشكلاته وحلوله
- مسابقات ثقافية وذهنية
- مستقبل الطاقة في العالم
- صناعة السياحة الداخلية
- الرياضة
- عالم البحار والمحيطات
- الحضارات القديمة والحديثة
- أخبار موظفي الشركة وطموحاتهم
- الفنون التشكيلية
- الحياة الفطرية

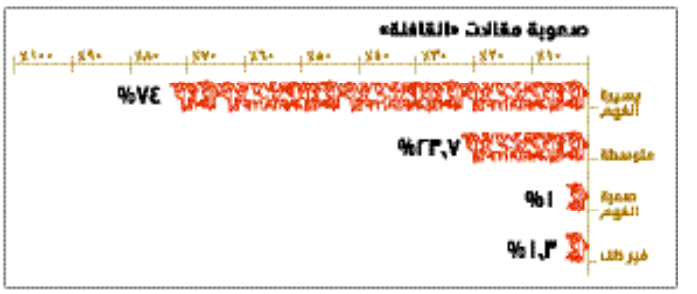

١٧،٤٪ من القراء الصعوبات التي يواجهونها في الحصول على المجلة إلى أسباب مختلفة، من أبرزها:

- عدم إتاحة الفرصة للاشتراك الواسع بالمجلة
- سرعة نفادها لأن الكميات التي تصل إلى الإدارات محدودة
- عدم توزيعها بشكل منتظم
- بطء توزيعها من قبل مراكز البريد
- عدم إرسال «القافلة» الشهرية إلى الإدارات والأقسام
- انقطاع الاشتراك فجأة
- تغيّر العنوان بشكل متكرر

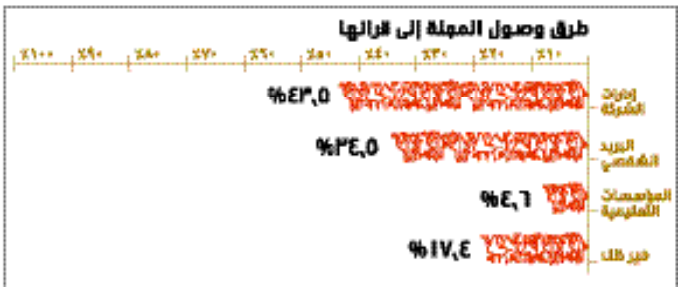

وقد أظهرت ردود القراء أن معظمهم يحصلون على «القافلة» عن طريق إداراتهم (٤٣،٥٪) أو عن طريق البريد الشخصي (٣٤،٥٪) فيما أشارت نسبة لا بأس بها من القراء إلى أنهم يحصلون عليها عن طريق:

- صديق في الشركة
- الاستعارة من زميل أو مكتبة المدرسة أو المعهد
- أحد الأقارب
- المدارس التي بنتها أرامكو السعودية
- شركة سكيكو
- مكاتب المحافظة أو البلدية
- الجامعات
- وزارة البترول والثروة المعدنية

وعلى عكس الاستجابة الضعيفة من النساء للمشاركة في الاستبيان أظهرت نتائجه أن عائلات المتلقين للمجلة من القراء تولي قراءتها أهمية خاصة، حيث بلغت مشاركات الأسر في قراءة «القافلة» نحو ٨٥٪.

الغالبية العظمى من القراء لا يؤيدون تحويل «القافلة» إلى مجلة إلكترونية أو مجلة متخصصة في الطاقة وعلومها

الموضوعات العلمية تتصدر اهتمامات القراء

وبالرغم من أن هناك موضوعات عديدة حازت على اهتمام وتقدير القراء إلا أن الموضوعات العلمية كانت على رأس اهتماماتهم المفضلة. والجدول التالي يظهر بوضوح ترتيب الموضوعات المفضلة لدى القراء والنسبة المئوية لأولوياتهم العالية:

وقد زخرت نتائج الاستبيان بفيض من الموضوعات التي يتطلع متلقو «القافلة» إلى قراءتها مستقبلاً، ومن هذه الموضوعات:

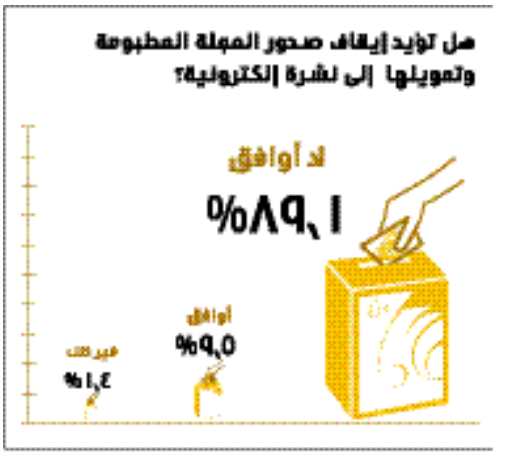

وبعد

فإن الآمال عريضة والطموحات شاسعة والجهود متواصلة من أجل تطوير «القافلة» وجعلها أكثر التصاقاً وقرباً من تطلعات قرائها الأعزاء الذين ما بخلوا بالنقد البناء، والعتاب الرقيق، والنصح المخلص، والمديح الصادق. ولا شك أن كل هذه العناصر سوف تدفع أسرة التحرير إلى بذل المزيد من الجهد والإبداع للوصول للأفضل، مسترشدين بذلك بتوجيهات وتعليمات رئيس الشركة، كبير إداريها التنفيذيين، الأستاذ عبدالله بن صالح بن جمعة الذي يعد من أكثر قراء المجلة التصاقاً بها. وستقوم أسرة التحرير بدراسة اقتراحات القراء والاستجابة لمعظمها قدر الإمكان. وسوف يلاحظ القراء الأعزاء نقلة كبيرة في شكل المجلة ومضمونها في القريب العاجل، إن شاء الله، بما يلبي رغباتهم ويعكس حرص الشركة على مواكبة التطور وتقديم الأفضل لقرائها.

سوف يلاحظ القراء الأعزاء نقلة في شكل المجلة ومضمونها في القريب العاجل، إن شاء الله، بما يلبّي رغباتهم ويعكس حرص الشركة على مواكبة التطوّر وتقديم الأفضل لقرائها

أحمد حافظ الحنجل

مسؤول تحرير مجلة «القافلة». التحق للعمل في إدارة العلاقات العامة في العام ٢٠٠٠م، حيث عمل في مطبوعاتها الأسبوعية والشهرية، وشارك في التنسيق والمتابعة لمواد العدد الخاص. كاتب ومترجم، نشر العديد من المقالات والقصص القصيرة المترجمة. يحضر حالياً رسالة الدكتوراه في علم اللغويات التطبيقية في جامعة ليستر في المملكة المتحدة.

أسلوب «القافلة»... السهل الممتنع

أجمع عدد كبير من متلقي الاستبيان (٧٤٪) على أن مستوى المقالات المنشورة في «القافلة» يسير الفهم، بينما رأى أقل من ١٪ من القراء أن أسلوبها صعب. وفي نفس التقويم اعتبر نحو ثلثي المتلقين موضوعات «القافلة» ذات جودة عالية. وصوّت ٨١٪ لصالح تميّز مستوى طباعة وإخراج «القافلة»، بينما صوّت ٨٠٪ لصالح تميّز نوعية الصور المصاحبة لموضوعات «القافلة».

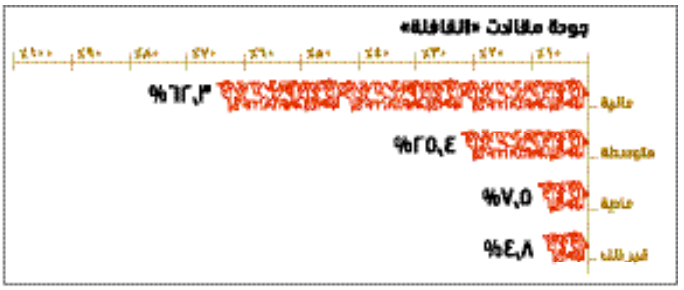

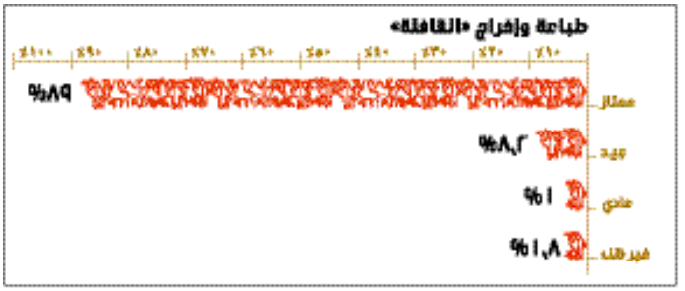

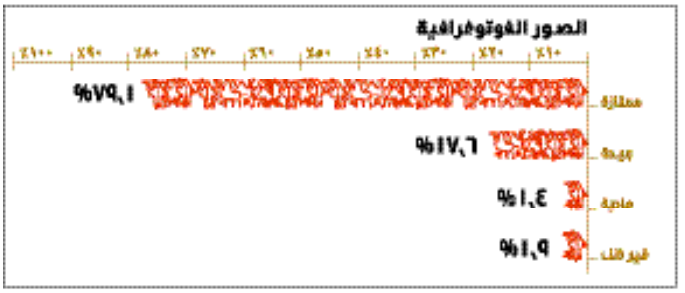

وقرر ٧١،٤٪ من القراء أن «القافلة» بحاجة إلى مزيد من التطوير حيث أشار نصفهم إلى أنها بحاجة إلى تحسين جذري مع الاحتفاظ بهويتها الحالية وثلث هؤلاء فضلوا أن يكون تطويرها كلياً مع تغيير هويتها الحالية.

نشرة إلكترونية أو مجلة متخصصة بالطاقة

وفيما يبدو أنه رسوخ لجذور «القافلة» الثقافية العامة لم يوافق سوى قلة قليلة من قرائها (١٢،٥٪) على تحولها إلى مجلة متخصصة في الطاقة وعلومها، بينما رفض هذه الفكرة ما نسبته ٨٥،٥٪ من القراء. وكان الرفض أشد فيما يتعلق بتحويل المجلة إلى نشرة إلكترونية (٨٩،١٪) بينما وافق على ذلك نحو ١٠،٩٪ من متلقي الاستبيان.

القراء يقيّمون «القافلة» إجمالاً

شكلت إجابات المتلقين لـ «القافلة» من القراء تقويماً واضحاً لموضوعاتها، فقد منحها أكثر من نصف المشاركين في الاستبيان درجة «ممتاز» (٩ أو ١٠ من ١٠ بينما أعطاها ما نسبته ٩٠٪ منهم ٧ من ١٠ فما فوق. وعدّ ١٠٪ من المشاركين مستواها دون المتوسط). وبشكل عام، حصلت المجلة على معدّل بلغ ٨،٤ من ١٠.

ومن أجل بلوغ نسبة عالية من الدقّة والموثوقية، فقد قامت «القافلة» بالإتصال هاتفياً بخمسة عشر من موظفي الشركة ممن لم يتلقوا الاستبيان من خلال المجلة وطرحت عليهم أسئلته، وكانت نتائج ردودهم متقاربة جداً مع النتائج العامة للاستبيان الأساس.

- «القافلة» ليست ملزمة بإعادة المساهمات التي لم تفز أو التي لم تقبل للنشر إلى أصحابها.
- يراعي المتسابق بدقة الشروط الخاصة بكل فرع من فروع المسابقة.
- آخر موعد لتسلم المساهمات هو يوم الإثنين ٢٥ رمضان ١٤٢٣هـ، الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢م.

فروع المسابقة:

■ الفرع الأول الاستطلاعات المصورة:

يتقدم المتسابق باستطلاع مصور في المجالات التالية:

١ مواقع مثل: الآثار، القلاع، مدن أو أحياء في مدن، مناطق رئيسة، مرافئ، مناطق صناعية.

٢ استطلاع عن نوع من النباتات أو الحيوانات أو الطيور أو المحميات الطبيعية أو الحياة البحرية.

٣ استطلاع عن أبنية لها قيمة خاصة مثل القصور والمساجد، المبنية قديما أو حديثا.

٤ استطلاع عن معالم سياحية تتمتع بإمكانيات عالمية مرموقة.

الشروط الخاصة بالفرع الأول:

- يكتب الاستطلاع على ورق (A4) ا لا يتجاوز ١٢ صفحة ولا يقل عن ١٠ صفحات مطبوعة.
- ترفق بالاستطلاع صور ملونة أصلية وممتازة.
- يلتزم المتسابق بأصول النشر مثل ذكر المصادر التي رجع إليها وحفظ حقوق المصورين والمؤلفين.

■ الفرع الثاني الموضوعات الدينية والتربوية والاجتماعية:

التقدم للمسابقة بموضوعات تبحث في الشؤون الدينية والتربوية والاجتماعية، على أن تتمتع بالجدة والأصالة. وتتناول ما يثير اهتمام الناس في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ويسهم في تعزيز ثقافتهم ووعيهم في هذه المجالات.

الشروط الخاصة بالفرع الثاني:

- يكتب الموضوع على ورق (A4) بما لا يتجاوز ٨ صفحات ولا يقل عن ٦ صفحات مطبوعة.
- ترفق بالموضوعات التربوية والاجتماعية، قدر الإمكان، صور ورسوم توضيحية تساعد على استيعاب وفهم الموضوع.
- يلتزم المتسابق بأصول النشر مثل ذكر المصادر التي رجع إليها وحفظ حقوق هذه المصادر.

■ الفرع الثالث الموضوعات الخاصة بالبيئة والصحة والسلامة:

التقدم للمسابقة بموضوعات تبحث في شؤون البيئة أو الصحة أو السلامة، مع مراعاة التخصص في هذه المجالات الدقيقة، على أن تتمتع هذه الموضوعات بالجدة والأصالة وسهولة الطرح، وتتناول ما يسهم في تعزيز ثقافة ووعي القارئ في هذه المجالات.

الشروط الخاصة بالفرع الثالث:

- يكتب الموضوع على ورق (A4) بما لا يتجاوز ٨ صفحات ولا يقل عن ٦ صفحات مطبوعة.
- ترفق بالموضوعات الصور والرسوم البيانية والتوضيحية التي تساعد على استيعابها وفهمها.
- يلتزم المتسابق بأصول النشر مثل ذكر المصادر التي رجع إليها وحفظ حقوق هذه المصادر.

مسابقة «القافلة» الذهبية

بمناسبة الاحتفال بمرور خمسين عاما على صدورها، تنظّم مجلة «القافلة» مسابقتها الذهبية، وتدعو جميع قرائها للاشتراك بهذه المسابقة المشتملة على موضوعات وجوائز متعددة.

الشروط العامة للمسابقة:

- لا يحق لموظفي إدارة العلاقات العامة في أرامكو السعودية الاشتراك بالمسابقة.
- تكون المساهمة في أي فرع من فروع المسابقة جديدة، لم يسبق نشرها في أي مجلة أو كتاب أو أية وسيلة من وسائل النشر.
- ترسل المساهمات من نسخة واحدة مطبوعة، مع صورة عن الهوية أو جواز السفر والعنوان كاملا.
- يكتب على الظرف اسم فرع المسابقة.
- تحتفظ مجلة «القافلة» بحق نشر الأعمال الفائزة في فروع المسابقة، كما تحتفظ بحق نشر ما تراه مناسباً من المساهمات التي لم تفز بجوائز المسابقة مقابل مكافأة مقطوعة.

■ **الفرع الرابع الطاقة والاقتصاد:**

التقدم للمسابقة بموضوعات تبحث في شؤون الطاقة والاقتصاد، مع مراعاة التخصص في هذين المجالين الدقيقين، والتركيز على الموضوعات التي تتناول الفكر التنموي والقضايا الاقتصادية العربية والدولية السائدة وانعكاساتها على الحياة اليومية وكذلك التعريف بالمنظمات العربية والدولية ذات العلاقة بشؤون الطاقة والاقتصاد والأسواق الدولية، وآثار ظاهرة «العولمة» في هذين المجالين.

الشروط الخاصة بالفرع الرابع:

- يكتب الموضوع على ورق (A4) بما لا يتجاوز ١٢ صفحة ولا يقل عن ٨ صفحات مطبوعة.
- ترفق بالموضوع الصور والإحصاءات والرسوم البيانية التوضيحية التي تساعد على استيعابه وفهمه.
- يلتزم المتسابق بأصول النشر مثل ذكر المصادر التي رجع إليها وحفظ حقوق هذه المصادر.

■ **الفرع الخامس الأدب والشعر:**

التقدم للمسابقة بموضوعات أدبية أو نقدية أو قصص قصيرة أو قصائد باللغة العربية الفصحى.

الشروط الخاصة بالفرع الخامس:

يتقدم المتسابق بقصة قصيرة من تأليفه، أو قصيدة من شعره، مع مراعاة الأصول الفنية المتعارف عليها في هذين النوعين من الأدب.

التقدم بموضوعات وأبحاث تعالج مختلف الشؤون الأدبية والنقدية، وتتناول الشعر أو القصة أو الرواية.

جوائز المسابقة:

يبلغ مجموع قيمة جوائز المسابقة ١٥٠،٠٠٠ ريال سعودي (مائة وخمسون ألف ريال سعودي) موزعة على ١٥ فائزاً، بمعدل ثلاثة فائزين لكل فرع من فروعها، وذلك على النحو التالي:

- الجائزة الأولى لكل فرع من فروع المسابقة ١٥،٠٠٠ ريال (خمسة عشر ألف ريال سعودي).
- الجائزة الثانية لكل فرع من فروع المسابقة ١٠،٠٠٠ ريال (عشرة آلاف ريال سعودي).
- الجائزة الثالثة لكل فرع من فروع المسابقة ٥،٠٠٠ ريال (خمسة آلاف ريال سعودي).

ترسل جميع المشاركات في المسابقة إلى العنوان التالي:

أرامكو السعودية
إدارة العلاقات العامة
وحدة النشر العربي
المملكة العربية السعودية
الظهران
مبنى الإدارة الرئيس
غرفة رقم: ٢٢١٣

ملف خاص

مع القافلة..وفيها
خلال نصف قرن

تحقيق: عبّود عطية

لو كان للزمن أن يتجسد في صورة إنسان، لظهر آنذاك أمام الأستاذ البارودي ولأعطاه الأجوبة الشافية والمدهشة عن أسئلته الحائرة، وقال: «إن «قافلة الزيت» ستستمر إلى ما شاء الله، وستعيش طويلا... أكثر بكثير من متوسط أعمار المجلات الثقافية العربية. ستجوب العالم من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، وستستقطب كبارَ الصحافيين والكتّاب العرب. والمجلة التي تقولون عنها اليوم «نشرة شهرية لموظفي الشركة» ستلمع وستشع في رحاب المملكة ودنيا العرب بأسرها، وستتحول خلال سنوات قليلة إلى مجلة ثقافية متنوعة ومرموقة تستقطب الكتاب والقراء العرب على حد سواء».

في هذا الاستطلاع محاولة لسرد حكاية «القافلة» من خلال رحلة الخمسين عاما، والتوقف في بعض المحطات التي صنعت (مجتمعة) شخصيتها على مدى نصف قرن.

وإذا شئنا أن نلخّص موضوعات السنوات العشر الأولى فيمكن أن نحصرها في العناوين التالية إلى حد بعيد: أخبار الزيت، الحرف، التعليم والتدريب المهني، الأنشطة الرياضية، الصحة والأبحاث العلمية، الثقافة والأدب على أنواعها، إضافة إلى الاستطلاعات التي بدأت تغلب على المجلة في عقودها الأخيرة.

الكلمة الأولى.. الرسالة الأولى

العنوان الأول في العدد الأول لـ «القافلة» مباشرة بعد إنتهاء كلمة رئيس التحرير هو «محاربة الأمية»، وكأني بها تقول لشباب المملكة في أول تعبير لها: «أيها الشباب، إقرأ لتتعلم». ولا شك أن ذلك يعبر عن الرسالة الثقافية للمجلة والشركة على حد سواء.

أما كلمات رئيس تحريرها الأستاذ حافظ البارودي فجاءت بسيطة معبرة، إذ يقول في الفقرة الأولى:

«بسم الله، نصدر أول عدد من «قافلة الزيت» وبعونه نوالي إصدار أعدادنا المقبلة. وتأمل إدارة هذه النشرة أن تقدم إلى قرائها موظفي الشركة كل طريف ممكن وكل شائق ميسور وكل مفيد وممتع. ونرجو أن يكون هذا المشروع كبير الفائدة، عظيم الأثر في نشر المعرفة والعلم، وسنبذل كل جهد ممكن في تقديم الزاد الفكري النافع، فترضى عنه الخاصة وتستسيغه العامة».

حكاية المجلة التي انطلقت كنشرة لموظفي شركة تهتم بصناعة الزيت... لتصبح منبراً مشعاً للآداب والعلوم والاجتماع والتحقيقات المصورة

يمكننا أن نتخيّل ما حصل في ذلك اليوم.
وكان ذلك اليوم في شهر صفر من سنة ١٣٧٣هـ.

فبعد طول بحث وعمل وعناء دام سنتين ونصف وصل إلى الظهران من بيروت، حيث طبع هناك، العدد الأول من «قافلة الزيت»، المجلة الشهرية التي قررت شركة أرامكو إصدارها لموظفيها.

لا شك أنه كان يوماً مميزاً لكل العاملين في الشركة، وأسعدهم وقتذاك كان عبد العزيز بن شيبان، الذي يعمل سائقاً لصهريج ماء، فقد تصدّرت صورته مبتسماً خلف مقود الصهريج غلاف المجلة. ومن المرجح أنه كباقي زملائه، الذين استأثرت صورهم بمعظم صفحاتها، طلب أعداداً إضافية ليتباهى بها أمام أقربائه وأصدقائه.

ولا شك أيضاً أن رئيس تحريرها الأستاذ حافظ البارودي – يرحمه الله – كان نجم ذلك النهار في مقر عمله، ولا بد أنه تلقى الكثير من التهاني وعبارات المديح، ولكن من المؤكد أيضاً أنه في ساعة معينة من ذلك اليوم، خلا لنفسه في مكتبه. وبعد أن عاد إلى تصفح العدد الأول للمرة الألف وضعه على الطاولة أمامه، ونظر إليه وهو يرحل بذهنه إلى ما هو أبعد منه بكثير...

تساءل عما سيكون عليه العدد الثاني... ثم الذي يليه... وهل سيبقى الاهتمام بالمجلة على ما بدا عليه اليوم؟ ومن ثم، كيف يمكن تحسين هذه المجلة؟ ما هو مصيرها؟ هل يمكن أن تخرج يوماً من دائرة موظفي الشركة ليتم توزيعها على غيرهم؟ هل يمكن للشركة أن تتخلى عنها بعد سنة أو سنتين؟ إلى متى ستستمر وإلى أي حد ستلمع؟

الغلفة الولى

صور من أغلفة العشرين عدد الأولى تعكس المناخ العام للمجلة في فترة صدورها الأولى. الملفت في أغلب هذه الأغلفة اهتمام المجلة بمشاهد عمال الشركة في مواقع عملهم وتدريبهم ودراستهم، وهو اهتمام استمر لسنوات طويلة ويعود اليوم من جديد إلى الصدارة.

وهذه الباقة من العناوين إنما كانت تعكس رؤية الشركة حينها تجاه الحياة الاجتماعية وتطورها، كما أنها كانت تمثّل قرب المجلة من الاهتمامات العامة واليومية للناس، فنرى أخبار النشاط الرياضي في كل عدد من أعداد السنوات الأولى، وإذا ما غابت الأخبار تطالعنا زاوية «رياضي الشهر». مع الاقتراب من أواخر العقد الثاني حدث تحوّل أساسي في «القافلة» تتجاوز فيه كونها «نشرة لموظفي أرامكو» لتتحول شيئاً فشيئاً إلى مجلة ثقافية عامة، حتى لو لم تغب عنها أخبار صناعة الزيت والشركة نفسها. وبعض العناوين اندثرت، من أبرزها «تغطية الحياة الرياضية» التي ربما انتقلت مع الوقت إلى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية التي أخذت تتزايد في المملكة. علماً بأنه في وقت من الأوقات وصلت الفرق التي تتبناها الشركة إلى حوالي ٤٨ فريقاً في مختلف الرياضات، منها رياضات لم تكن قد دخلت المملكة من قبل.

كذلك تناقصت موضوعات أخرى مثل الحرف والصناعات المحلية، وربما من أجمل ما نفتقده في أعداد الفترات اللاحقة صور عمّال أرامكو في مواقع عملهم وتدريبهم، وسمات الشوق إلى العلم والمعرفة واكتساب الكفاءة بادية على وجوههم.

ولأن «القافلة» في عامها الخمسين صارت في نظر الكثيرين، وبالدرجة الأولى، مجلة استطلاعات صحافية مصوّرة فلا بأس في أن تبدأ رحلتنا

اهتمت «القافلة» في بداياتها بأخبار المحلية وصورها. وفي باب (رياضي صورة بطل كرة الطاولة لعامي ٣٧٦ فرج بن سالم

أن يشكّل كتاباً كاملاً ورائعاً في جغرافية المملكة وتاريخها.

ولكن، لماذا كانت «القافلة» تعود إلى المكان الواحد مرةً بعد الأخرى؟

في شوال عام ١٣٧٤هـ كتب الأموي في «قافلة الزيت» يقول حول مدينة جدة: «لا أظنني حالماً أو مغرقاً في المبالغة إذا قلت إن جدة ستغدو عروساً من عرائس الشرق في يوم من الأيام... وربما كان ذلك اليوم ليس عنا ببعيد... ولست أبني هذا الحكم إلا على ماضي جدّة، ليس من عشر سنوات، بل من خمس سنوات فقط... يوم كنا نشرب ماء براميل السقّا من الكنداسة العتيدة، ويوم كنا نعدّ شجيرات جدة على أصابع اليد، ويوم كان من يتخطى سور جدة فكأنه ذاهب في مخاطرة أو مغامرة، ويوم كنا نعيش في ليلنا على الفانوس...»

وعندما وصلنا في تصفحنا لمجلدات «القافلة» إلى المجلد الثامن والأربعين طالعنا في عدد ذي القعدة «ألبوم» صور فوتوغرافية رائعة تم جمعها تحت عنوان «لقطات مصوّرة من مظاهر النهضة الشاملة في المملكة».

الرياض عام ٢٠٠٠م.
(ذوالحجة ١٤٢١هـ)

جدة... على درب النهضة قبل سبعة وعشرين عاماً.
(رمضان ١٣٩٥هـ)

وهنا استفقنا على السؤال الذي كان يختمر في أعماقنا ببطء بين كل عدد والذي يليه: أين كنا وأين أصبحنا؟

«لقد سجّلت «القافلة» خلال الخمسين سنة الماضية حكاية النمو والتطور في المملكة كلمة كلمة وحرفاً حرفاً وفي شتى الميادين. ولذا تعددت التحقيقات والمقالات حول المدينة الواحدة أو المنطقة الواحدة، ولكن لا واحد منها يشبه الآخر في شيء».

فلو أخذنا المقال الذي كتبه الأستاذ الشيخ حمد الجاسر قبل ٤٦ عاماً (محرم ١٣٧٦هـ) حول مدينة «الرياض قديماً وحديثاً» لوجدنا أن «حديثه» صار قديماً، ولم يعد يمتّ بأية صلة إلى مدينة «الرياض عام ٢٠٠١م» التي تحدث عنها محمد الدميني (ذو الحجة ١٤٢١هـ)، حتى أن

القافلة مرت من هنا..

أحياناً كان التحقيق في «القافلة» يشمل منطقة بكاملها مثل عسير، وأحياناً كان ينحصر في مدينة واحدة مثل «أبها» عاصمة عسير. ولإعطاء فكرة عن المسافة التي جابتها «القافلة» داخل المملكة نذكر بعض أسماء المناطق والمدن التي توقفت فيها، ومعظمها كان موضوعاً لأكثر من تحقيق أو لسلسلة طويلة من التحقيقات:

الرياض، جدة، مكة المكرمة، المدينة المنورة، عسير، أبها، التوائم الثلاث الدمام - الخبر - الظهران، تبوك، الطائف، القصيم، القطيف، الأحساء، الربع الخالي، جازان، نجران، حائل، العلا، عنيزة، غامد وزهران، بلاد بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك، جزيرة فرسان، جزيرة تاروت، الأفلاج، العقير، الدرعية، المجمعة، الجبيل، الصويدرة، ينبع، العقير، الباحة، الخرج، الجوف، بلجرشي، عيون الجواء والزغيبية، و... و...

في رحاب المملكة

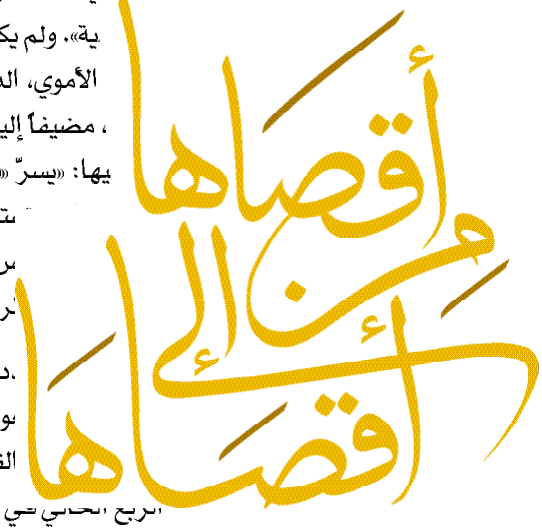

في مطلع جمادى الآخرة عام ١٣٧٦هـ (يناير ١٩٥٧م) بثت الإذاعة
" ...ية حلقة من برنامج جديد بعنوان «إعرف بلادك... المملكة العربية
ية». ولم يكن كاتب الحلقة غير رئيس تحرير «القافلة»، الأستاذ
الأموي، الذي أعاد نشر مادة حلقته لاحقاً في عدد شعبان من
، مضيفاً إليها مقدمة
يها: «يسرّ «قافلة الزيت» أن تبدأ في هذا العدد سلسلة جديدة من
تهدف تعريف المواطن العربي، داخل المملكة وخارجها،
س الذي ينبض منه اليوم الخير المادي، كما فاض منه
روحي...»

.د محدود من التحقيقات المتباعدة عن بعضها، حول
ودية، بدأت الرحلة المنتظمة وما تزال مستمرة حتى
القافلة» كافة أرجاء المملكة من حائل عروس الشمال إلى
الربع الخالي في الجنوب، ومن مغاصات اللؤلؤ في أعماق الخليج العربي
إلى قمم جبال عسير، مروراً بمرّات ومرّات بالمدن الكبرى مثل العاصمة
الرياض، وجدة، ومكة المكرمة، والمدينة المنوّرة وغيرها... حتى يمكن
القول إن مجموع التحقيقات التي دارت حول مدن المملكة ومناطقها يمكنه

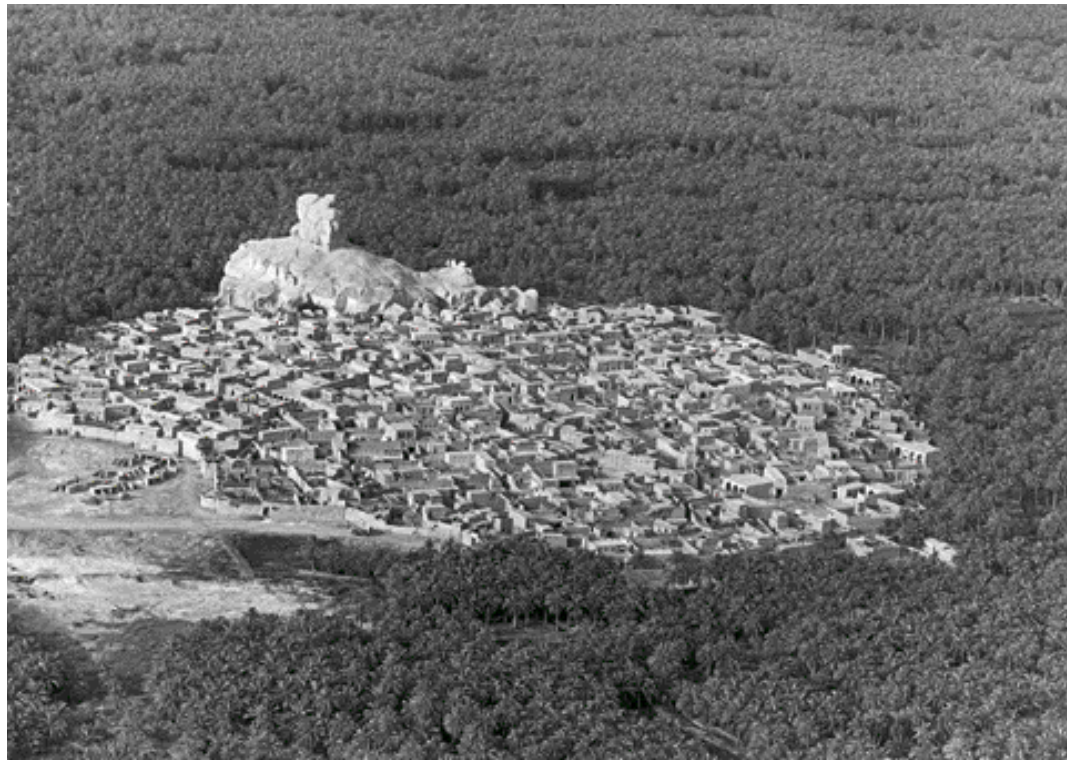

الواحات... واحة النخيل في الهفوف يتوسطها جبل «قارة». (ذو القعدة ١٣٨٩هـ)

إلى ذلك، توقفت «القافلة» أمام كل ثمرة من ثمار النهضة على حدة، وتعدادها يحتاج إلى صفحات طويلة، ولكننا نكتفي هنا بذكر عيّنات قليلة تعطي فكرة موجزة عنها؛ ففي الصناعة مثلاً، وبعد أن كانت «النجارة اليدوية» في منطقة الأحساء من موضوعات العدد الأول، انتقل الحديث في السنوات التالية إلى صناعة الألبسة، ثم الدواجن، ثم الأثاث، فالمكيّفات، ليصل في النهاية إلى المدن الصناعية الكبرى التي قامت في جدة والرياض والدمّام وغيرها...

وفي المواصلات، تنطلق المسيرة من تغطية حفل افتتاح مبنى مطار الظهران (محرم ١٣٨٢هـ) على يد جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز - يرحمه الله - وتنتهي بتحقيق عن «مطار الملك فهد الدولي - البوابة الجوية الشرقية للمملكة» (شعبان ١٤٢٠هـ)، بعد أن تمرّ بتحقيقات أخرى حول إنجازات كبيرة في مناسبات تدشينها مثل «طريق مكة - الطائف» (ربيع الآخر ١٣٨٥هـ) أو «جسر الملك فهد الرابط بين السعودية

فطاب تاريفي في صورة

إنها واحدة من أجمل الصور التي نشرت في تاريخ المجلة، إن لم تكن أجملها على الإطلاق.

تصدّرت هذه الصورة استطلاعاً نُشِرَ في «القافلة» في عدد شهر رجب عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٩م) حول النهضة العمرانية في مدينة الهفوف. وجاء في التعليق عليها أنها صورة «رئيس بلدية الهفوف السيد عبد الرحمن الموسى...» ولكن ما نقرأه في هذه الصورة يتجاوز ذلك بكثير.

إننا نرى شاباً في بداية الثلاثينات من العمر تقريباً، أي في سن بداية العطاء بنضوج وزخم.

يجلس هذا الشاب خلف مكتب عليه كمية من الأوراق تشير بوضوح إلى أن هناك عملاً أو أعمالاً يجب إنجازها.

غرفة المكتب أنيقة، ولكنها متقشفة، وليس فيها أي شيء من مظاهر الرفاهية والرخاء، وتنسجم تماماً في هذا المجال مع ملابس الرجل وأصالتها العربية.

وعندما نتفرس في وجهه الوسيم، نقرأ بوضوح أمارات الرصانة والجدية، التي تتحول من خلال تطلعه صوب الضوء إلى تفاؤل وأمل.

التقشف، سن الشباب، الأعمال المطروحة على الطاولة، الرصانة، التفاؤل والأمل... ألا يلخص ذلك كله العناوين العامة لما كان عليه المناخ النفسي والاجتماعي وحتى الاقتصادي، الذي كان يحيط آنذاك بالمواطن السعودي؟

لذا، لم يكن غريباً أن يضيف التعليق إلى اسم صاحب الصورة ووظيفته القول: «إليه يرجع الفضل في تحقيق عدد كبير من المشروعات العمرانية في الهفوف».

الدميني نفسه يبدأ حديثه بالتحولات الكبيرة التي شهدتها العاصمة ما بين منتصف السبعينيات الميلادية وأواخر القرن، ولم يوغل بحثه في الماضي السحيق للمقارنة مع ما كانت عليه أيام كتب عنها الجاسر.

ولو أخذنا منطقة عسير مثلاً ثانياً، لوجدناها بعد أن كانت موضوعاً لمقالة من أربع صفحات بقلم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (جمادى الأولى ١٣٨٥هـ)، عادت إلى الظهور عام ١٤٠٤هـ كموضوع لاستطلاع مطوّل أعدّه محمد بن هيف بن سليم من هيئة تحرير المجلة. وقد تُشِرَ هذا الاستطلاع على أربع حلقات، وبلغ مجموع عدد صفحاته الخمسين، وازدان بمائة وسبع صور فوتوغرافية، غطت معظم معالم المنطقة التاريخية والجغرافية والحياة الحديثة فيها.

الملاحظة نفسها تنطبق على سلسلة التحقيقات حول المدينة المنورة عندما نقارن مقالة الأنصاري نفسه «المدينة المنورة تاريخها وآثارها» (ربيع الآخر ١٣٨٢هـ) بالتحقيق الذي أجراه سليمان نصر الله بعده بأربعة عشر عاماً «المدينة المنورة البلدة الطيبة المباركة» (محرم ١٣٩٦هـ) إذ تضاعف عدد الصفحات خمس مرّات، وازدادت الصور الفوتوغرافية المرافقة للتحقيق، كما اختلف المضمون تماماً.

والواقع، أن العصر الذهبي للتحقيقات الصحافية الكبرى حول المناطق والمدن السعودية بدأ في العقد الثاني من عمر المجلة، وراح الصحافيون من هيئة التحرير يتابعون بزخم ما كان قد تأسس على أيدي كبار الكتاب مثل الجاسر والأنصاري وأحمد السباعي.

وفي شكلٍ عام، يمكن القول إن التحقيق النموذجي حول أية منطقة أو مدينة في المملكة كان يتضمن عرضاً لتاريخها، وجغرافيتها، والحياة المعاصرة فيها على الصعيدين: التربوي والاقتصادي. وترافقه مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية المنتقاة بعناية. وتؤلف هذه التحقيقات مجتمعة أرشيفاً تاريخياً يغطي كل فصول النهضة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية في المملكة خلال النصف الثاني من القرن العشرين برمته.

الصحراء... بيئة قاسية وأناس طيبون... أحد رجال البادية الذين يقطنون في الربع الخالي يعدّ القهوة العربية لزواره من «القافلة» (رمضان ١٣٩٥هـ)

الجبال... فيفا المدينة الجبلية بمنطقة جازان لمن يهوى سكني السحاب (محرم ١٤١٦هـ).

المدينة المنورة في صورة التقطت عام ١٨٨٠م

الماء والخضرة في إحدى واحات الهفوف

صياغتها بأسلوب أدبي جميل. وغالباً ما كان الموضوع يطعّم بأبيات شعرية كشواهد تاريخية تدعم ما يرمي إليه الكاتب، ففي تحقيق عن القصيم أعده سليمان نصر الله (محرم ١٤٠٢هـ)، استوقفتنا أبيات شعر لعنترة بن شدّاد، منها قوله:

يا دار عبلة بالجواء تكلّمي
وعمي صباحاً دارَ عبلة واسلمي
وتحلُّ عبلة في الجواء وأهلنا
بالحُزنِ فالصّمانِ فالمتثلمِ

وقد أورد الكاتب شعر عنترة ليؤكد عراقة الجواء، وهي ناحية من نواحي القصيم. كما أنه يورد أبياتاً كثيرة لزهير بن أبي سلمى الذي يقول عنه إنه «أكثر شعراء العصر الجاهلي ذكراً للأماكن في منطقة القصيم».

طريق زراعي في منطقة الجوف

الأمر نفسه يطالعنا في استطلاع علي المرهون حول المنطقة الشمالية (ربيع الآخر ١٤٠٤هـ)، إذ يقول: «إن الشعر الجاهلي كان ولا يزال أحد أهم المصادر التي يعوّل عليها المؤرخ للتعرف على المواقع والحوادث والتنقيب. وقد ورد ذكر أودية الشمال في معلّقة امرئ القيس المشهورة:

سما لك الشوق بعدما كان أقصرا
وحلّت سليمى بطنَ قوٍّ فعرعرا»

ولكن، وفي أحيان كثيرة، كان كتّاب هذه الاستطلاعات يطعّمون مقالاتهم بأبيات شعر لا للدلالة على شيء غير عمق عواطفهم تجاه موضوع البحث كالأبيات الثلاثة التي اختتم بها عادل أحمد الصادق تحقيقه عن مدينة فيفا الجبلية (محرم ١٤١٦هـ)، وهي لشاعر وصفها بقوله:

وللنسيمِ بها بين المروجِ شذىً
معطّر كعبيرِ المسكِ في الطررِ
وللندى مقلٌ تزهو الغصونُ بهِ

صخرة النصرة الشهيرة التي كان يلتقي عندها عنترة بعبلة، كما تروي الأقاصيص

والبحرين» (رمضان ١٤٠٦هـ)، وما شابه...

أما مجال التعليم الذي كان الموضوع الأول في العدد الأول من «قافلة الزيت»، فقد رافقته المجلة خطوة خطوة وباهتمام عزّ نظيره... فعندما كنا نطالع مقالة عن «النهضة التعليمية في الرياض» (محرم ١٣٧٨هـ) استوقفتنا صورة جامعة الملك سعود التي كانت تشغل مؤقتاً مبنىً متواضعاً من المباني العائدة إلى بلدية الرياض. ومع ذلك فقد نشرت الصورة على الصفحة الأولى اعتزازاً. وفي نصّ المقالة نتلمس ما الذي دعا إلى هذا الاعتزاز.

درس في الخياطة يتلقاه الطلاب الذين يميلون لتعلم هذه المهنة في معهد سعود الأول للتربية والصناعة (محرم ١٣٧٨هـ)

لم يكن الأمر من باب التباهي بالمبنى، وليس فيه ما يدعو إلى التباهي، بل كان الاعتزاز بالإنسان الذي كان عماد الجامعة والذي ستصنعه هذه الجامعة. كان القارئ يشعر في أعماقه أنه أمام أناس يعرفون ماذا يريدون، وضعوا نصب أعينهم طموحات واضحة ومحددة، وما هذا الإنجاز أو ذاك إلا خطوة من مسيرة تحقيقه. ودائماً كانت هذه الخطوة مدعاة رضا عما تحقق وتفاؤل بثقة لا تتزعزع بالخطوة التالية. ولهذا عندما كانت «القافلة» تعود إلى موضوع التعليم الجامعي في تحقيقات تناولت لاحقاً بعض الصروح الكبرى مثل «جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية» (شعبان ١٣٩٦هـ)، أو «جامعة أم القرى» (جمادى الأولى ١٤٠٩هـ)، لم يكن مستغرباً أن تترك صور المباني الفخمة والحديثة، والتي تدعو فعلاً إلى التباهي لصفحاتها الداخلية، وتفرد على الصفحات الأولى صور الطلاب وهم يطالعون كتباً هنا أو يدرسون في مختبر هناك.

طريق مكة - الطائف مخترقاً الجبال الشهيرة بوعورتها (ربيع الآخر ١٣٨٥هـ)

وبالروح نفسها تابعت «القافلة» مسيرتها في استعراض المؤسسات والصروح الثقافية والحضارية الكبرى التي صارت من المعالم الحديثة للمدينة السعودية، مثل مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (جمادى الأولى ١٤١٠هـ)، مصنع كسوة الكعبة المشرفة (ذو القعدة ١٣٨٧هـ وذو الحجة ١٤٢١هـ)، دارة الملك عبد العزيز (شوال ١٣٩٦هـ و١٤٠٩هـ)، استاد الملك فهد الدولي (صفر ١٤١٠هـ) ومكتبة الملك فهد الوطنية (جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ) والتي سنتوقف أمامها في وقت لاحق.

صورة لطالب يتصفّح أحد الكتب في دار الكتب السعودية بالرياض (ربيع الثاني ١٣٧٩هـ)

وفي تقديرنا أن عدد الصفحات التي خصصت لموضوعات عن مدن المملكة ومناطقها تصل إلى ما يتراوح بين ٨ آلاف و٩ آلاف صفحة على مدى سنواتها الخمسين، تجاور فيها الحديث عن النقوش الأثرية على الصخور مع صور ناطحات السحاب الحديثة، وورد الطائف مع مدينة ينبع الصناعية، ووجه مزارع من القصيم مع صحراء الربع الخالي.

والسمة البارزة للاستطلاعات عن المناطق والمدن السعودية تكمن في

جلالة الملك عبدالعزيز، رحمه الله، في واحدة من صوره النادرة

حلقات. وفي شوّال ١٤١٩هـ (يناير ١٩٩٩م)، أصدرت «القافلة» عدداً خاصاً لمناسبة الذكرى المئوية الأولى لتأسيس المملكة العربية السعودية. فكان أفضل الأعداد الخاصة في تاريخ المجلة وأهمها.

وقد لايكون هذا العدد الخاص كتاباً كاملاً في التاريخ، ولكنه يشكل من دون شك مدخلاً رائعاً وسهلاً إلى فهم التاريخ المعاصر للمملكة.

ومن أبرز ما تضمنه هذا العدد مقالة لعبدالله بن خميس تتناول «موحّد المملكة العربية السعودية» من ناحية المناخ السياسي الذي سبق عملية التوحيد وأحاط بها، وعرضاً لمسيرة التوحيد بحد ذاتها بعنوان «دخول الملك عبدالعزيز الرياض ومسيرة توحيد المملكة» بقلم محمد العصيمي، و«بداية التطور الحضاري للمملكة في عهد الملك عبدالعزيز» للدكتور محمد بن عبدالله السلمان، واستطلاعاً موسعاً عن «الرياض خلال قرن» بقلم محمد الدميني، إضافة إلى ألبوم صور نادرة بعنوان «لقطات مصوّرة من حياة الملك عبدالعزيز»، واستطلاعاً حول أكبر ثمار النهضة

وللبحر مزاجه الخاص

إذا كان الشعر يشارك الصورة في كونه الحلية التي زينت معظم التحقيقات عن المناطق والمدن السعودية، فإن الصورة هي حلية التحقيق البحري، وما نعنيه بالتحقيق البحري هو ذلك الذي كان يبحر فيه مراسلو «القافلة» على متن الأشرعة والزوارق في البحر الأحمر والخليج العربي ليجولوا على جزرها ويغوصوا في أعماقها، ويأتونا بلآلىء فوتوغرافية لقطع نادرة من البيئة البحرية.

جزيرة تاروت في الخليج العربي وأرخبيل فرسان في البحر الأحمر من الجزر التي زارتها «القافلة» أكثر من مرة. وهاتان الجزيرتان مأهولتان، لذا كان من الطبيعي أن يتضمن الحديث عنهما شيئاً من التاريخ والثقافة ونمط الحياة.

أما في الحديث عن الجزر غير المأهولة، فكانت المخلوقات البحرية من سلاحف وسرطانات وطيور الخرشنة والبط هي التي تستفرد بهذه الأماكن وبالصور على صفحات الاستطلاع، كما جاء في واحد من أجملها وكان بعنوان «الكائنات الحية في الخليج العربي» (عن أرامكو وورلد ١٤١٢هـ). مناظر الشعاب المرجانية والأسماك الجميلة التي تسبح وسطها، من درر التصوير الفوتوغرافي ونراها في استطلاع «الثروة المرجانية في الخليج» بقلم يعقوب سلاّم (شعبان ١٣٩٩هـ) و «البحر الأحمر بيئة غنية تحتاج إلى حماية» بقلم سليمان نصر الله.

وإلى جانب الموضوع البيئي، وجمال الأعماق، هناك ما يماثله في الأهمية ألا وهو الجانب التراثي والتاريخي لهذه المياه. لذا كانت هناك مجموعة مقالات مثل «موانيء شبه الجزيرة العربية عبر التاريخ» (شعبان ١٣٨٩هـ) بقلم علي حافظ، وأنواع المراكب التقليدية وخصائصها في سواحل الخليج العربي» (ربيع الأول ١٤٠٦هـ) بقلم عصام السيّد، وعندما عادت «القافلة» ثانية إلى المراكب الشراعية، خصته بغلاف العدد الذي استحقه عن جدارة.

من الأشرعة التقليدية في البحر الأحمر.. في صورة تصدرت استطلاعاً عن «ينبع». (محرم ١٣٩١هـ).

يصوغُه البدرُ أسماطاً من الدرِ
وللمياهِ خريرٌ في جداولِها
جَسَّ الأنامِلِ إن مرّت على الوترِ

أما في تحقيق نصر الله عن ينبع (محرم ١٣٩١هـ)، فلم يصبر الكاتب حتى نهاية المقال، بل صدّره تحت العنوان مباشرة ببيتين جميلين يقولان:

سقى الله الحجازَ وينبُعيهِ
وما حويا من الخيرِ المهولِ
فينبع بحرِهم نفعُ البرايا
وينبع نخلِهم مثوى القفولِ

وحول نجران (شوّال ١٣٩١هـ)، يقول:

هل زرت نجران حيّا الله نجرانا
وجادَها الغيث هطّالاً وهتانا
ترى بها الحُسنَ يبدو أينما وقعت
عيناكَ والزهرَ نمّاماً وفتّانا

والواقع أنه يمكن للقارئ أن يستخرج من مجمل هذه التحقيقات ديواناً شعرياً كاملاً يمتدّ من الجاهلية وحتى القرن الحادي والعشرين، ويغطي بأبياته الجميلة كافة المدن والمناطق السعودية من دون استثناء... بلى، هناك استثناء واحد وهو الربع الخالي. فقد نقّبنا في أربعة مقالات مختلفة حول هذه الصحراء، فلم نجد بيتاً واحداً من الشعر...

...ومن الجغرافية إلى التاريخ وآثاره

عاصرت «قافلة الزيت» جلالة الملك عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - شهراً واحداً. ففي عددها الثاني، وعلى صفحاتها، نقرأ خبر انتقال جلالته إلى الرفيق الأعلى. وفور تولي سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز مقاليد الحكم في المملكة العربية السعودية ومؤسس نهضتها الحديثة، بدأت «القافلة» وراحت بدءاً من العدد الثالث تنشر

فينبع بحرهم

مدخل مدينة الرياض في السبعينيات من القرن الهجري الماضي

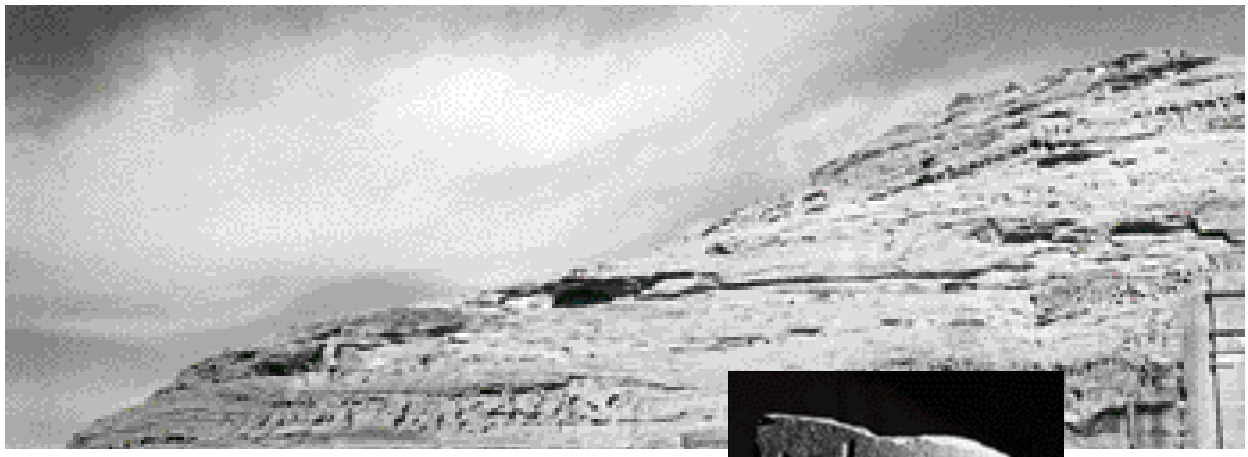

آثار مدائن صالح الشهيرة... (ربيع الآخر ١٣٩١هـ)

حجر مسافات كان يوضع على طريق قوافل الحجاج، وعليه نص يقول: «ميل من البريد وهو على اثنين وستين بريد من الكوفة». (رمضان ١٣٩٥هـ)

تخصصت وحصرت موضوعها في إطار زمني أو قبلي محدد، ومن أبرز الذين كتبوا في هذا المجال عبدالقدوس الأنصاري حول «قبيلة بني سليم عبر التاريخ» (ذو الحجة ١٣٨٥هـ) وأحمد السباعي «مظاهر المدنية عند قريش» (جمادى الأولى ١٣٨٨هـ) وأحمد أبو الفضل «عاد، أصل اسمهم، مساكنهم» (صفر ١٣٨٩هـ.)

أما تاريخ المملكة في فجر الإسلام فنجد فيه عشرات المقالات والتحقيقات، غير أن أبرزها بلا منازع كانت المجموعة التي كتبها عبدالقدوس الأنصاري، ونذكر منها «المدينة المنورة وآثارها» (ربيع الآخر ١٣٨٢هـ)، ومقالة عن «الصويدرة» التي استوقفنا فيها الأنصاري أمام وفرة النقوش والكتابات العربية والثمودية على صخورها. وعلى المنوال نفسه تستمر المسيرة مع محطة لا بد من التوقف أمامها، وهي سلسلة المقالات التي كتبها الدكتور محمد بن سعد الشويعر في أواخر الثمانينيات الميلادية وعرض فيها لِسِيَرِ مجموعة كبيرة من مشاهير القادة العسكريين السعوديين ومعظمهم من القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، وذلك تحت عنوان موحد: «نماذج من القيادة العسكرية في بلادنا».

عاد وتجار العاديات

«كان عرب الجاهلية يتصوّرون أن قوم عاد كانوا من أقدم الأقوام، ولذلك ضرب بِقِدَمهم المثل، حتى كانوا ينسبون الشيء الذي يريدون أن يبالغوا في قدمه، فيقولون «عادي»، أي من أيام عاد. ومن ذلك ما يقال عن تجار الآثار القديمة: «تجار العاديات» وفي «لسان العرب»: العادي هو الشيء القديم. ويتحدث المسعودي صاحب «مروج الذهب» عن أشجار عادية، أي سحيقة القدم.

أحمد أبوالفضل
(«القافلة»، صفر ١٣٨٩هـ)

المعاصرة في المملكة وأضخم مشروع من نوعه في تاريخها والمتمثل في توسعة الحرم المكّي والمسجد النبوي في المدينة المنوّرة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.

هذا عن التاريخ الحديث، ولكن من أين يبدأ هذا التاريخ؟

كشف تحقيق نشرته «القافلة» في شهر شعبان عام ١٤١٣هـ عن أن مسح الآثار الذي جرى تحت إشراف «المديرية العامة للآثار والمتاحف» واستغرق تنفيذه خمس سنوات، أدّى إلى اكتشاف وإحصاء مائتي موقع أثرى من «حقبة الصناعة الأشولينية» التي تعود إلى ما بين مليون ومليون ونصف المليون سنة. وبدّد كاتبا التحقيق نورمان ويلن وديفيد بيس دهشتنا بالتفسير المنطقي الذي يقول إن الجزيرة العربية كانت، لقربها من أفريقيا، البوابة الأولى التي عبر منها الإنسان من هناك إلى هنا، ومن ثم انتشر لاحقاً في كل أرجاء آسيا. ولذا حمل التحقيق عنواناً مشوّقاً يقول: «الجزيرة العربية موطن أول توسع بشري خارج قارة أفريقيا».

جامع قديم في الهفوف. (ذو القعدة ١٣٧٤هـ)

أشرنا إلى هذا التحقيق بالذات للدلالة على اتساع فضاء التاريخ الذي كانت «القافلة» مدعوة للتعامل معه على مدى خمسين عاماً، ولبّت الدعوة على أفضل وجه. فكانت ثمرة هذا التعامل رحلات عبر الزمن إلى عصور وحقب ومواقع أثرية لا تعدّ ولا تحصى، مع توقف بارز، والأمر طبيعي، عند عصر الدعوة الإسلامية، وما قبله وبعده بقليل.

والحقيقة، أن في كل استطلاع عن أية مدينة أو منطقة سعودية حديثاً عن تاريخها. ولكن التاريخ حظي في كثير من الأوقات بصفحات متخصصة ومدهشة. وشمل كل شيء يتراوح ما بين شعوب الجزيرة قبل الإسلام، وتاريخ العملات السعودية وطوابعها البريدية في القرن العشرين.

أحياناً، تكون هذه المقالات عامة، فيحدثنا صلاح البكري مثلاً عن النبطيين والثموديين واللحيانيين وغيرهم في مقال واحد بعنوان «الآثار في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية» (محرم ١٣٨٦هـ). الأمر نفسه ينطبق على مقالة أخرى بعنوان «أضواء على تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام» بقلم الدكتور عبدالرحمن الأنصاري (محرم ١٣٨٩هـ).

الموقع الأثري العائد إلى الحقبة الأشولينية في وادي صفاقة، حيث عثر على أكثر من ١١ ألفاً من الأدوات الحجرية. من استطلاع بعنوان «الإنسان الأول في الجزيرة العربية»

ولكن معظم هذه المقالات

من تاريخ الوطن

من خلال مواكبتها عن كثب لمسيرة النهضة في المملكة. سجلت لنا «القافلة» كل خطوة منها على حدة، ووثقتها بالتفاصيل والصور الفوتوغرافية.

١- جلالة الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، في زيارة تفقدية للمنطقة الشرقية عام ١٩٤٧م.
٢- جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز، يرحمه الله، أثناء حفل افتتاح مطار الظهران.
٣- جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز، يرحمه الله، أثناء حفل افتتاح طريق مكة الطائف.
٤- جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز، يرحمه الله، يفتتح منشآت نفطية جديدة في المنطقة الشرقية.
٥- خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد ابن عبدالعزيز، أثناء جولته في مركز التدريب في رأس تنورة، يستمع إلى شرح عن أحد أقسام المركز من الأستاذ علي النعيمي.

الآثار والمتاحف

وعلى التواريخ شواهد ملموسة نسميها الآثار. والآثار في المملكة العربية السعودية تبدأ بالأحافير التي جمعها العلماء من الربع الخالي، وتعود إلى عشرات آلاف السنين (جمادى الأولى ١٤١٠هـ)، وتنتهي في قصر المصمك في الرياض. وأكثر ما يستوقفنا في مجال الآثار القديمة، هي تلك المجموعة الضخمة من صور الصخور والشواهد الحجرية التي تحمل نقوشاً وكتابات عربية وجزيرية قديمة، وتنتشر في كل مكان من أرجاء المملكة، وتشكل أهم سند يعود إليه العلماء والباحثون في تاريخ اللغة العربية وتطور الحرف وحتى فن الخط.

أما الذي يبحث عن الآثار التي تبهر العين بعظمتها مثل «مدائن صالح» فيمكنه أن يتوقف أمام المقال الذي خصها به الأنصاري (شعبان ١٣٨٥هـ). أو يتعثر بها وهو يطالع تحقيقاً عن «مدينة العلا» (ربيع الآخر ١٣٩١هـ)، أو تناديه من على غلاف «القافلة» عندما احتل موضوع «صناعة السياحة» غلاف العدد (رجب ١٤٢٢هـ).

وأحياناً، هناك دخول في الزخارف الدقيقة لعلم الآثار، فيستعرض لنا محمد بن سعود المحمود مثلاً «المباخر الأثرية في المملكة العربية السعودية» (جمادى الأولى ١٤٢٠هـ). ومحمد أبو الفرج العش ينقلنا في تحقيقين نشرا في العام ١٣٨٤هـ، إلى مواقع مجهولة تماماً من الآثار. والذي يصعب عليه التجوال في أرجاء المملكة بحثاً عن شاهد هنا، أو معلم هناك، يمكنه أن يرى الكثير منها مجتمعاً في المتاحف.

ومن هذه المتاحف «قصر شبرا التاريخي» في الطائف بقلم أحمد عابد شيخ (شعبان ١٤٢١هـ)، وهذا القصر الذي يعتبر تحفة معمارية من الداخل والخارج شيّد في العام ١٣٢٥هـ، وتحوّل في العام ١٤٠٧هـ إلى متحف للتراث العربي والإسلامي بأمر من خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز.

وهناك أيضاً «قصر شدا» في أبها عاصمة منطقة عسير، والذي تحوّل إلى متحف للمأثورات الشعبية، ويضم مجموعة كبيرة من فنون الحرف اليدوية التقليدية والأسلحة القديمة، إضافة إلى المخطوطات والشواهد الحجرية حسبما جاء في استطلاع أجراه عادل الصادق (محرم ١٤١١هـ).

غير أن أكبر المتاحف السعودية طرّا هو بالطبع «المتحف الوطني السعودي» في الرياض، والذي زارته «القافلة» مراراً. وبعدما توقفت في إحدى زياراتها السابقة أمام مجموعة مقتنياته الغنية والثمينة، فإن انتقال المتحف إلى بيت جديد تبلغ مساحته ٣٦٤٢١ م٢ استدعى زيارة جديدة (ربيع الآخر ١٤٢٢هـ). وكان الانبهار بالمبنى هذه المرة طاغياً على الاهتمام بالمحتويات. ومن أبرز خصائص المتحف الجديد احتواؤه على مجسمات كبيرة وبالمقاس الطبيعي لعدد من المعالم الأثرية، مما سمح بتلافي نقلها، وإبقائها في أماكنها الأصلية.

«الترويسة» الجميلة التي كانت تعلو سلسلة المقالات التاريخية حول مشاهير القادة العسكريين في المملكة العربية السعودية

قصر شبرا التاريخي في الطائف، التحفة المعمارية من الخارج والداخل والتي تحولت إلى متحف (شعبان ١٤١٢هـ)

رسوم «القافلة»

اعتمدت المجلة على الرسوم الفنية لتزيين الموضوعات حينما لم يكن بإمكان الصور الفوتوغرافية أن تقوم بهذه المهمة، وبمرور الوقت صارت مجموعة الرسوم هذه من المعالم الأساسية لشخصية «القافلة».

ومن أبرز الذين رسموا لـ «القافلة» كان هناك في النصف الأول من الستينيات الميلادية اسماعيل شمّوط، الذي لمع نجمه لاحقاً كفنان فلسطين المأساة وتبوأ منصب رئيس اتحاد الفنانين العرب. وبعد شمّوط نشر عبداللطيف قباني مجموعة كبيرة من الرسوم، ورسامين آخرين عرب وغربيين. وعلى هذه الصفحة عيّنة من هذه الرسوم التي غالباً ما كانت ترافق الشعر والقصة والدراسات الأدبية.

وعلى المستوى الرفيع نفسه، تابعت «القافلة» جولتها العربية. فها هو شيخ المؤرخين العرب الدكتور نقولا زيادة يكتب على صفحاتها من المغرب عن «رباط الفتح» و«رباط سوسه ورباط المنستير»، و«تطوان»، و«طنجة»، و«الآثار الإسلامية»... ومن مصر بعث إليها بمجموعة استطلاعات حول جامع عمرو بن العاص، وجامع ابن طولون، والآثار المملوكية الإسلامية في القاهرة. وحين أرادت المجلة أن تكتب عن «الأزهر الشريف»، استضافت قلم المدير العام للثقافة الإسلامية فيه، الدكتور محمد البهي.

غير أن هذا لم يمنع المجلة من أن تعتمد أيضاً على محرريها إلى جانب كبار الكتّاب العرب، فها هو إبراهيم الشنطي يعود إلى الرباط، وعلي المرهون إلى مراكش، المدينة الحمراء، وكان عصام العماد قد سبقهما إلى بعلبك لبنان... والنتيجة؟

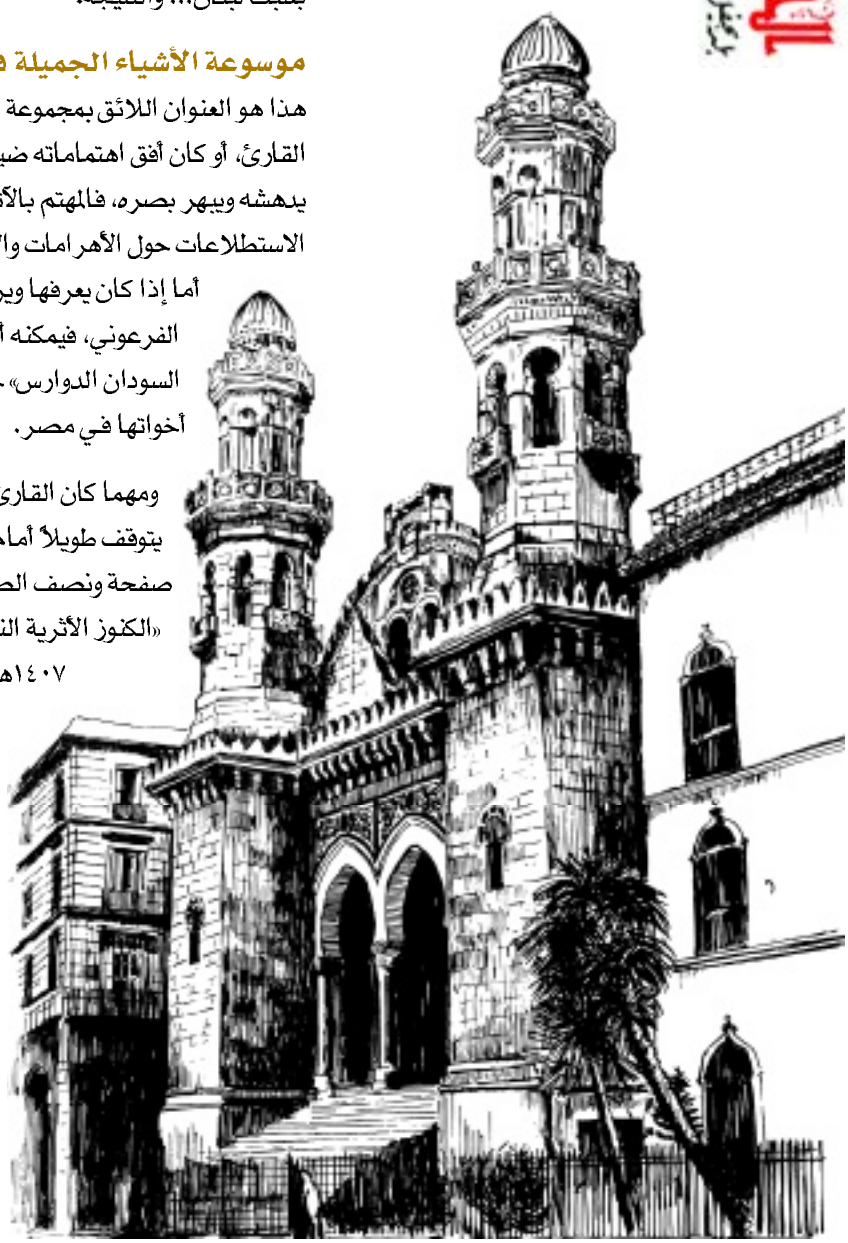

موسوعة الأشياء الجميلة في الوطن العربي

هذا هو العنوان اللائق بمجموعة الاستطلاعات هذه، فمهما اتسعت ثقافة القارئ، أو كان أفق اهتماماته ضيقاً، ففي مجموعة الاستطلاعات هذه ما يدهشه ويبهر بصره، فالمهتم بالآثار والتاريخ القديم يجد ضالته مثلاً في الاستطلاعات حول الأهرامات والآثار الفرعونية في مصر وهي كثيرة. أما إذا كان يعرفها ويريد مزيداً من التفاصيل حول الفن الفرعوني، فيمكنه أن يجد هذا المزيد في «وقفة على آثار السودان الدوارس» حيث الآثار الفرعونية أقل شهرة من أخواتها في مصر.

ومهما كان القارئ ضئيل الحساسية الفنية، لا بد وأن يتوقف طويلاً أمام جمال الوجه الآشوري المنشور على صفحة ونصف الصفحة، قبل أن يغوص في تحقيق عن «الكنوز الأثرية النفيسة في أرض الرافدين» (جمادى الآخر ١٤٠٧هـ) بقلم سليمان نصر الله.

ويختلط الجمال بالعلم اختلاطاً عجيباً في استطلاعات المدن الأثرية في سوريا: تدمر (أربعة تحقيقات)، أفاميا (اثنان)، تل الحريري، إبلا، بصرى، عمريت، وأوغاريت المدينة التي اخترعت أول أبجدية في العالم، والدليل العلمي والملموس على ذلك موجود في متحف دمشق. الأمر نفسه ينطبق على البتراء وجرش في الأردن..

...وإينما كان في رحاب الوطن العربي

خرجت «القافلة» من المملكة لتجوب بلاد العرب، من رباط الفتح في المغرب إلى البحرين في المشرق، ومن قلعة حلب في شمال سوريا إلى «أقصى بقعة في جنوب اليمن» (هذا هو عنوان التحقيق الذي نشر في شوّال عام ١٤١٢هـ)، مروراً بكل ما في الوطن العربي من عواصم وآثار ومدن دارسة وأنماط حياة وعادات وتقاليد وأسواق شعبية.

تعاملت «القافلة» مع دنيا العرب بالمحبة نفسها التي تعاملت بها مع مدن المملكة ومناطقها. وغالباً ما كانت تعود إلى المكان نفسه، تستطلعه مرةً بعد الأخرى، وكأنها لم تشبعه حباً وإعجاباً. فعندما انتهينا من تصوير الاستطلاعات وتصنيفها، لم يكن تلّ «الاستطلاعات العربية» يقل ارتفاعاً عن «الاستطلاعات السعودية».

بدأت رحلة «القافلة» في البلاد العربية في مطلع السنة الثانية من عمرها؛ فاستكتبت آنذاك الصحافي جوزف صدقي من جريدة «الجريدة» اللبنانية مقالةً من حلقتين عن «بيروت هذه اللؤلؤة على شاطئ المتوسط» (ربيع الآخر ١٣٧٤هـ)، ثم نشأت التغلبي لكتابة تحقيق عن «دمشق أقدم مدينة في العالم» (رجب ١٣٧٤هـ)، ثم «القدس المدينة الخالدة» و«طرابلس درة الساحل الأفريقي»... وكرّت السبحة، مع الإشارة إلى أن الحصة الأكبر من هذه الاستطلاعات كانت من نصيب سوريا وبلاد الشام عموماً، إذ أننا لو جمعنا مجرّد عيّنات مما كتب حول سوريا ومدنها ومعالمها الحضارية لكانت النتيجة كتاباً ضخماً يمثّل أفضل دليل سياحي لها.

ومما يضفي على هذه التحقيقات أهمية استثنائية هو أن معظمها جاء بأقلام كبار الاختصاصيين في الموضوع المطروح على بساط البحث، فعشرات التحقيقات عن الآثار في سوريا مثلاً، تحمل توقيع محمد أبو الفرج العش الذي كتب لـ «القافلة» قبل أن يصبح محافظ المتحف الوطني في دمشق، وخلال توليه هذا المنصب، واستمر إلى ما بعد تقاعده منه. وعندما أرادت المجلة أن تنشر استطلاعاً عن «جزيرة أرواد»، اعتمدت لهذه الغاية على أكرم ساطع، محافظ متحف مدينة طرطوس، والذي كتب لها أيضاً عدداً من المقالات الأخرى حول آثار شمال سوريا.

كورنيش بيروت كما كان عندما زارته «القافلة» قبل ٤٨ عاما

القدس الشريف... من المحطات الأولى في جولة «القافلة» العربية. (ذو القعدة ١٣٧٤هـ)

مدينة حماة السورية الشهيرة بنواعيرها... من استطلاع حول نهر العاصي. (صفر ١٣٩٧هـ)

وفي هذا المجال تتعدد المشاعر وتتلون أمام كل موضوع. فالجامع الأموي في دمشق الذي كان موضوع خمسة استطلاعات، لا يترك القارئ إلا منبهرا... وبصمت، إذ مهما قيل في مفخرة العمارة الإسلامية هذه، لا يمكن إيفاؤها حقها من المديح الذي تستحقه، ولا التعبير عن مشاعر الاعتزاز التي تثيرها في النفس.

وأحياناً، تدعونا بعض الاستطلاعات إلى المقارنة، وربما إلى الاكتشاف، وإطلاق أحكام غير متفق عليها. فالعمارة الإسلامية في القاهرة تدعو إلى المقارنة بين الجميل والأجمل... ولا بد وأن يتوقف القارئ أمام أي حديث أو صورة عن مدرسة السلطان حسن، وكأنه يكتشف درّة من درر العمارة الإسلامية ومقارنتها مع ما يجاورها في القاهرة، وإن كان الآخر أكثر شهرة منها.

ولكن مشاعر الاعتزاز والانبهار بعظمة العمارة، تنحني أمام الشجن الذي تثيره الاستطلاعات عن القدس الشريف وحرمه، وكلها تتوقف أمام قبة الصخرة والمسجد الأقصى لتتحدث عن تاريخ البناء ومعالمه، ولسان حالها يسأل عن أصحابها وبناديهم. ويعود أول الاستطلاعات عن القدس إلى ذي القعدة ١٣٧٤هـ، وكان بقلم رجا عيسى صاحب جريدة «فلسطين»، ومنها أيضاً «الحرم القدسي» بقلم محمود العابدي (رمضان ١٣٩٢هـ).

وإلى جانب ذلك، هناك المعالم الحضارية الإسلامية غير الدينية، مثل «البيمارستان النوري الكبير في دمشق» (ذو الحجة ١٤٠٣هـ) وهو المشفى الذي بناه المجاهد الكبير نور الدين زنكي في القرن الثاني عشر الهجري، وأصبح اليوم متحفاً لتاريخ الطب عند العرب، و«قصر بيت الدين الشهابي» في لبنان، و«قصر العظم في دمشق» (عدة مرات)، والقصران يعودان إلى فترة الحكم العثماني.

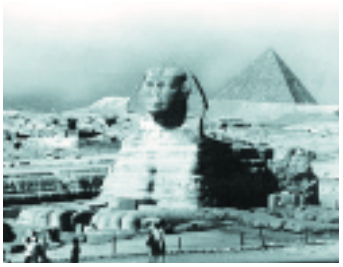

«الأهرامات»... ما من جولة عربية يمكنها أن تكون كاملة من دون المرور بها. (محرم ١٣٩٣هـ)

منظر عام لمبنى مدرسة السلطان حسن في القاهرة الذي يضم جامعا وقبة وأربع مدارس... ويبدو إلى اليمين جامع الرفاعي. (صفر ١٣٩٤هـ)

أوغاريت في سوريا... من المحطات التي توقفت فيها «القافلة»... وشدّها هذا الرقيم الفخاري الذي يعتبر جوهرة متحف دمشق، لأنه يحمل أبجدية أوغاريت المؤلفة من ثلاثين حرفاً بالكامل، وهي أول أبجدية في العالم. (رجب ١٣٨٥هـ)

منظر رائع لمدينة تعز في اليمن، من استطلاع بعنوان «جولة في ربوع اليمن الخضراء» (ربيع الآخر ١٣٩٦هـ)

وإذا كان بعض هذه الاستطلاعات قد تناول مواقع أثرية ذات شهرة عالمية مثل «بعلبك» بقلم عصام العماد (ربيع الأول ١٣٨٨هـ) أو «جبيل» بقلم نجاتي صدقي (ربيع الأول ١٣٩٣هـ)، فإن أهمية الكثير منها تكمن في نقلنا إلى مواقع لم ينصفها الإعلام والدعاية السياحية، ولا تقل أهمية عن غيرها مثل «شحات» في ليبيا، الباهرة بآثارها الإغريقية والرومانية بقلم عبد المنعم خفاجي (شوّال ١٣٨٤هـ).

ولأن الإسلام كان ولا يزال منذ أربعة عشر قرناً يصوغ شخصية المدينة العربية ومعالمها الحضارية الكبرى، كان من الطبيعي أن تتصدر نصف هذه الاستطلاعات صور المآذن المرتفعة في سماء هذه المدينة أو تلك، بدءاً بمئذنة سامّراء الشهيرة في العراق، وصولاً إلى منارة حسّان في الرباط.

فن الاستطلاع نصاً وتصويراً.. وإخراجاً

حظيت مسألة الإخراج الفني للمجلة باهتمام كان يتزايد عدداً بعد عدد على مدى خمسين عاماً.

ويتجلى فن الإخراج بوضوح في التحقيقات المصوّرة بشكل خاص، حتى أنه صار جزءاً أساساً من روح الموضوع. ولعل الصفحتين اللتين تصدرتا التحقيق عن «طرابلس الأثر المملوكي في لبنان» (رمضان ١٤٢١هـ) أفضل مثال على ترقي إخراج المجلة.

فعلى صفحتين كاملتين نشرت صورة تفصيل صغير من تفاصيل شخصية العمارة المملوكية التقليدية، وهو فن تعشيق الحجارة البيضاء والسوداء المعروف بـ «الأبلق»، مصدره المدرسة البرطاسية في المدينة، وعلى الجهة اليمنى صورة لجانب المدينة قبيل الغروب. أما الظلال على الأبلق فتهمس بمرور الزمن ووجود هذا التراث في دائرة غير مضاءة تماماً وكأنها دعوة إلى قراءة النصف المضيء.

إنها مثال يحتذى لما يجب أن يكون عليه التفاهم ما بين المحرر والمصوّر والمخرج، والفهم الوافي لروح الموضوع نصاً وصورة وإخراجاً على مستوى واحد.

«القافلة» في الأندلس

قاعة السفراء في قصر أشبيلية «عروس المدن الأندلسية» (محرم ١٤٠٤هـ)

في العام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) وصلت «القافلة» إلى الأندلس. وكانت البداية متواضعة بعض الشيء، إذ قدّمت المجلة سبع صور فوتوغرافية التقطت في قصر الحمراء في غرناطة، إلى الكاتب محمد عبدالله عنان، وطلبت منه أن يعلق عليها، فكانت النتيجة مقالة بعنوان «سوانح وخواطر تثيرها مناظر الحمراء». وعز على «القافلة» أن تغادر بلاد الأمجاد العربية، فوطّنت واحداً من اهتماماتها هناك، وبعد أربعين سنة كان لا يزال هناك، حيث تجلّى في تحقيق شامل ومطوّل بعنوان «في ربوع الأندلس» (ذو القعدة ١٤٢١هـ).

تعددت الزيارات وتكررت للمكان الواحد: جامع قرطبة، قصر الحمراء، إشبيلية، القصبات... لا كلل ولا ملل، بل رغبة في المزيد، والمزيد مما تثيره الأندلس في نفس أي عربي من فخر واعتزاز بالماضي، حتى ولو كان هذا الاعتزاز مصحوباً بمشاعر الشجن التي لا مفرَّ منها.

كثيرون هم الذين كتبوا في «القافلة» عن الأندلس، ولكننا نخص بالذكر جولتين مميزتين في ربوعه. الأولى، وقام بها عنان في الستينيات والسبعينيات الميلادية، وشملت على مدى عشر سنوات تقريباً وعلى التوالي: قصر الحمراء، وجبل طارق، وجامع قرطبة، وإشبيلية، والقصبات، ومدينة الزهراء، ثم إشبيلية مرة ثانية، ومالقة، والمرية، وجيان، ورندة.

والجولة الثانية قام بها ابراهيم الشنطي من هيئة تحرير المجلة في الثمانينيات الميلادية وشملت «ربوع الأمويين في الأندلس»، «إشبيلية عروس المدن الأندلسية»، و«الحمراء الأثر الإسلامي الخالد في غرناطة». وجرياً على عادة مدرسة «القافلة» في التحقيقات - إذا جاز التعبير - كان كل من عنان والشنطي يصدّر تحقيقه بأبيات من الشعر معظمها ينبض ألماً وحسرة على الماضي. وكأن خطاب الأندلس واحد لا يتغيّر، فتحت العنوان الرئيس «رندة مدينة أندلسية تالدة» (شوّال ١٣٩٣هـ) نطالع بيتين من الشعر يقولان:

أحقاً خبا من جوّ رُندةَ نورُها
وقد كُسِفت بعدَ الشموسِ بدورُها
وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلتْ
منازلُها ذاتَ العلا وقصورُها

نقش لوجه آشوري من الكنوز الأثرية في أرض الرافدين. (جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ)

وهناك أيضاً فن العمارة العسكرية وتاريخ القلاع والحصون. ومرة أخرى يتوقف القارئ أمام كثرتها في سوريا (أربعة استطلاعات حول المجموعة الواقعة في الجبال الساحلية فقط)، ويمرّ القارئ أيضاً بقلعة الكرك، أشهر القلاع في بادية الشام، والتي لعبت دوراً بالغ الخطورة والأهمية في نهاية الدولة الأيوبية وبداية نشوء دولة المماليك، وينتهي به المطاف في سلطنة عُمان تحت أسوار قلعة نزوى التي شيدّها الإمام اليعربي سلطان بن سيف في القرن الحادي عشر الهجري، واستغرق بناؤها ١٢ عاماً.

وإذا كانت مقالة ساطع عن «جزيرة أرواد» في سوريا (ربيع الآخر ١٣٨٦هـ) تستوقفنا فيها حميمية الحياة على هذه الجزيرة المكتظة بالسكان والمساكن المتلاصقة، والتي لا تترك بينها من الطرق إلا دروباً ضيقة لا يتسع بعضها لأكثر من عابر سبيل واحد، حتى قيل إنها تبدو «كآخر مدينة فينيقية في العالم» لأنها من البقايا النادرة من التاريخ، فإن ما يستوقفنا في جزيرة سوقطرة «أقصى بقعة في أرض اليمن» (شوّال ١٤٢١هـ) هو منظر الطبيعة الخلابة في هذه الجزيرة التي انعزلت عن القارة منذ ملايين السنين، بحيث «أن ثلث أنواع النباتات والحيوانات التي تعيش فيها لا توجد في أية منطقة أخرى في العالم».

من الباحة الداخلية للمسجد الأموي في دمشق، الذي زارته القافلة أكثر من أربع مرّات. (رمضان ١٤١٨هـ)

وما تقدم أعلاه لا يعني مطلقاً أن كل الاستطلاعات العربية كانت عن التاريخ والآثار، بل إن الكثير منها كان يبحث في أوضاع دولة أو مدينة ما. فها هي «إرتيريا... دولة تحاول النهوض» (ربيع الآخر ١٤١٨هـ). وهذه جولة على خان الخليلي في القاهرة بعنوان «تبضّع وتمتع» (صفر ١٤١٣هـ). وهناك جولات على الصناعات اليدوية في بلاد الشام، كان أولها في شعبان ١٣٧٦هـ بقلم جيمس بطل، أستاذ الصحافة في الجامعة الأمريكية في بيروت.

ونهمس همساً، كي لا تسمعنا جمعيات الرفق بالحيوان، أن أحد الاستطلاعات من السودان جاء بعنوان «السودان بلاد الصيد» بقلم محمد صالح إبراهيم، القاص المعروف الذي نشر مجموعة من قصصه القصيرة على صفحات «القافلة». ويستعرض الاستطلاع وفرة الحيوانات البرية في السودان وأنواعها مثل وحيد القرن، والوعل البري، والزرافات وغيرها... من حسن حظ هذه الحيوانات أن الاستطلاع المذكور يعود إلى ٣٦ سنة خلت.

...وفي العالم

«ولا غالب إلا الله» شعار بني نصر ملوك غرناطة، يراه الزائر منقوشاً أينما كان في قصر الحمراء. (رجب ١٤٠٤هـ)

وعندما خرجت «القافلة» من الأندلس لتجوب أرجاء العالم، اختارت محطات توقف تهوّن عليها هذا الانتقال، فتوجهت إلى «صقلية ابنة الأندلس» (شعبان ١٣٩٩هـ) حيث عرض لنا سليمان نصر الله مآثر العرب في هذه الجزيرة الإيطالية، وبصماتهم على آثارها ومعالمها. وكان الدكتور عبدالرحمن زكي قد سبقه بخمس سنوات إلى جزيرة «مالطة العربية» (ربيع الآخر ١٣٩٤هـ).

وجابت «القافلة» أرجاء العالم، فتراها حيناً في جامعة أكسفورد في بريطانيا وتارة في رحلة سياحية إلى «جزيرة هايدرا في اليونان».

ولكن معظم رحلات «القافلة» خارج الوطن العربي كانت تهدف إلى استطلاع أحوال المسلمين أو معالم الحضارة الإسلامية في زوايا المعمورة الأربع، فزارت استانبول عروس البوسفور، وأفغانستان، وكشمير، والمساجد في أمريكا، بعد أن مرّت بساحل العاج، المنارة الإسلامية في غرب إفريقيا، والسنغال، وصولاً إلى المسلمين «على سطح العالم في التيبت».

هذا غيض من فيض الاستطلاعات المصوّرة، وتحديداً من فيض شريحة واحدة من شرائح الاستطلاعات المصورة التي سنعود إلى بعضها الآخر لاحقاً. وإن كنا قد بدأنا رحلتنا من هذا الباب، فلأن الاستطلاع المصوّر كان ولا يزال منذ خمسين سنة العمود الفقري للمجلة، غير أن بريق الاستطلاع المصوّر كان رغم لمعانه الشديد، يخبو أمام لمعان مواضيع أخرى، وخاصة الآداب التي طغت على ما عداها لنحو عقدين ونصف من عمر المجلة، حتى أن الذي يصف «القافلة» لما كانت عليه في الستينيات والسبعينيات الميلادية من القرن الماضي بقوله إنها «مجلة أدبية» لا يكون بعيداً عن الحقيقة.

صورة حلة للملك رجار الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، من مقال عن صقلية (شعبان ١٣٩١هـ)

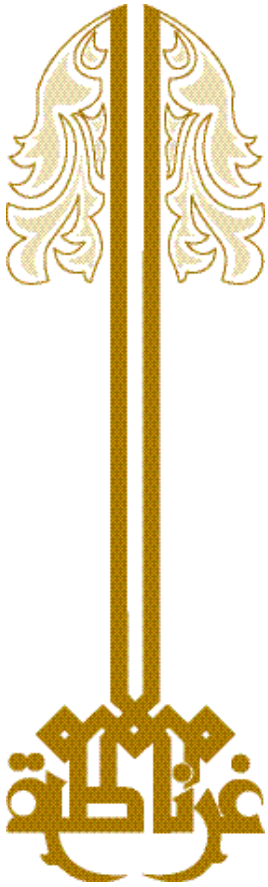

عنوان جميل لمقالة «غرناطة... آخر الحواضر الإسلامية بالأندلس». (جمادى الأولى ١٣٩٣هـ).

وكرر عنان الأمر نفسه في تحقيقه حول مدينة «جيان» (ربيع الأول ١٣٩٤هـ):

أودّعكم أودعكم جياني
وأنثر عَبرتي نثرَ الجُمانِ
وأني لا أريدُ لكم فراقاً
ولكن هكذا حكمُ الزمانِ

ومن الأبيات التي انتقاها الشنطي لتحقيقه «ربوع الأمويين بالأندلس» (رجب ١٤٠٣هـ):

أبكيكِ قرطبة، والقدس في خلدي
وفي فؤادي دمٌ ينزو ويعتَصِرُ
هل كنتِ حاضرةً للعرْبِ زاهرةً
أم كنتِ حاضرةً تنمو وتحتضرُ
يا ليتنا مرةً في العمرِ، واحدةً
بما جرى سالفَ الأيامِ نعتبِرُ

ولقصر الحمراء، «الأثر الإسلامي الخالد في غرناطة» يقول:

هل تعلمينَ أيا غرناطةَ العربِ
ما حلّ فينا على الأيام والحِقبِ
من بعدِك العِز ولى والعُلا رحلا
وَغُيّبَ المجدُ يا غرناطةُ فاحتجبي
يا وَيْح يعربَ قد قصَّت مخالبهُ
من يومِ فَقْدِكِ مذهولٌ ولم يثبِ

جامع قرطبة

على مدخل جامع قرطبة لوحة تحمل كلمة لأحد المؤرخين الغربيين تصفه بأنه «اللحظة الأولى للقاء الغرب بالإسلام وهو واحد من أعظم الروائع في العالم».

وتُجمع المصادر التاريخية على أن عمارة المسجد تمّت على أربع مراحل، وبدأت في عام ١٧٠هـ وانتهت بعد عام ٣٧٧هـ. ويشغل جامع قرطبة مسطحاً كبيراً يبلغ طوله مائة وثمانين متراً، وعرضه مائة وخمسة وثلاثين. وبهذا تبلغ مساحته ٢٤٫٣٠٠ متر مربع.

إن جامع قرطبة هو اليوم سفيرٌ للإسلام على أرض إسبانيا، كما كان جامعة للعلم والدين في أوج ازدهار الدولة الأندلسية، يصدق فيه قول ابن عطية:

أستودع الله أهل قرطبة
حيث عهدت الحياء والكرما
والجامع الأعظم العتيق ولا
زال مدى الدهر مأمناً حرَما.

من استطلاع
للأستاذ عبدالله الخالد - رئيس التحرير
«جامع قرطبة الكبير»
(جمادى الأولى ١٤١٣هـ)

قدس يعالج الفن القصصي في المملكة العربية السعودية والأعمال القصصية الأولى، متوقفاً بشكل خاص عند الروائي حامد دمنهوري، كما يتطرق إلى مستقبل القصة في المملكة العربية السعودية (ربيع الآخر ١٤٠٠هـ).

عباس محمود العقاد... من ألمع الأسماء العربية وأكثرها حضوراً من خلال ما كتبه، وما كُتب عنه.

ومن الندوات التي سجلتها «القافلة»، واحدة حول القصة القصيرة ضمت لفيفاً من الأدباء في المنطقة الشرقية: لقمان يونس، علي عويضة، ماجد أبو شرار، خليل إبراهيم الفزيع، وعبدالرحمن العبيد (ذو القعدة ١٣٨٧هـ). وعاد الأستاذ الفزيع نفسه بعد ٣٤ عاماً إلى صفحات «القافلة» ليكتب عن «القصة القصيرة... شروطها وعناصرها وأدواتها» (جمادى الآخرة ١٤٢١هـ). كما أن هناك ما يؤرخ للقصة في مكان معيّن مثل «تاريخ القصة السورية» بقلم الأستاذ عدنان الداعوق (ذو الحجة ١٣٩٧هـ).

عبدالله بن سعد الرويشد، استكتبته «القافلة» مبكراً ضمن لفيف من أبرز الأدباء العرب.

ومن أجمل ما ورد في هذا المجال، ما قرأناه في مقالة تتحدث عن الأسلوب القصصي، وما يستحسن الابتعاد عنه في كتابة القصة، كاللجوء إلى الألفاظ العامية في السرد، والتكرار دون وعي. ومن النصائح التي يسديها كاتب المقالة للقارئ: «لا تكن فخماً مزهواً بأسلوبك، فخوراً بنفسك، القارئ يهمه أن يقرأ لك دون أن يحسّ بأصابعك توجهه لملاحظة هذا أو ذاك من المعاني الواردة. أكتب وأنت تتحدث إلى صديق عزيز، وانس أنّ في يدك قلماً».

خبر اكتشاف القلم الجاف!

«تستنجده فيسعفك» وتستعين به فلا يخذلك... يلبيك في أحرج الأوقات والأماكن وعلى الأرض وفي الجو... بل وتحت الماء».

هكذا كتبت «القافلة» في جمادى الثانية ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م) عن اختراع جديد مثير وهو القلم الجاف، فاستعرضت فكرة اختراعه وفوائده ومدى انتشاره بسرعة بين الناس.

والغريب أنه رغم تسجيل اختراعه في بريطانيا عام ١٨٨٨م إلا أنه لم يظهر بصورة تجارية إلا بعد اختراع الحبر الجاف نفسه على يد مهاجر هنغاري، وتصدي رجل الأعمال الأمريكي ميلتون رينولدز لإنتاجه عام ١٩٤٦م.

ومن أطرف رسائل الدعاية الأولى له هذه الرسالة التي تقول: «استأجر صاحب متجر غطاساً ليجلس داخل خزان ماء زجاجي ضخم ويكتب بالقلم الجاف على ورق لا يتلفه الماء».

المقالات الأدبية

في الواقع لم تكن «القافلة» يوماً مجلة أدبية متخصصة بالمعنى المتعارف عليه، ولكن الجدية التي اتسم بها تعاملها مع الشؤون الأدبية، والحلة الراقية التي ظهرت فيها مادتها الأدبية، والأسماء المضيئة على مستوى الوطن العربي بأسره والتي غاصت في الشأن الأدبي على صفحات المجلة، من جملة الأمور التي تسمح بالقول أنها كادت أن تكون فعلاً مجلة أدبية متخصصة.

فالمقالات الأدبية على صفحات المجلة، نثراً وشعراً، تعتبر بحق، ثروة فكرية فائدتها جمّة للمتخصص في الأدب وهاويه على حدّ سواء. وقد جمعت هذه المقالات إلى تنّوع الموضوعات غزارتها، وإلى رصانة البحوث بساطة الأسلوب، وإلى العرض العام التحليل العميق.

ومن يقرأ المقالات الأدبية في الأعداد الصادرة منذ أواخر الخمسينيات الميلادية يخال أن معينها لم ينضب. لقد استكتبت «القافلة» لفيفاً من أبرز الأدباء والكتّاب العرب مثل: عباس محمود العقاد، أنور الجندي، مارون عبود، عبدالله بن سعد الرويشد، محمد عبدالغني حسن، محمود تيمور، محمد يوسف نجم، محمد علي قدس، والعديد غيرهم.

ويجد القارئ في المجلة إحاطة شاملة بكل نواحي الأدب، ولما كان من المتعذر عرض مضامين جميع المقالات وما تحويه من آراء ومواقف ودراسات بالتفصيل نظراً لعددها الضخم، نتوقف عند بعضٍ منها على سبيل المثال لا الحصر، وندرجها ضمن الأبواب الآتية:

القصة

من المقالات ما يعرض أنواع القصة، ويعرّف بكل نوع منها: القصة الخيالية، والواقعية، والتاريخية، والفكاهية... ومنها ما يعالج مكانة القصة العربية في الأدب العربي (محمود تيمور جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ) مظهراً تأثر الغربيين أمثال ديفو وسويفت وجوته وأدغار آلن بو بالقصص العربية وخاصة بألف ليلة وليلة. ونجد بعض الدارسين يسلّطون الضوء على البحث في ناحية محدّدة من القصة، فالدكتور جمال الدين الرّمادي يبحث في «الأحداث الدرامية في ثلاث من أروع قصص تيمور» على حد قوله (محرم ١٣٨١هـ)، والأستاذ محمد علي

الصفحة الأولى من مقالة للعقّاد بخط يده. (جمادى الثانية ١٣٨٤هـ)

الاستشهاد بالشعر لوديع فلسطين، (جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ)، وأخرى تتضمن بحثاً طريفاً وهو فنّ التاريخ الشعري للمناسبات المختلفة التي تحفل بها الحياة لمحمد عبدالغني حسن، (جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ).

عمر أبو ريشة

كما طرحت مقالات أخرى مسائل تختص بالشعر مثل: «الحوار في القصيدة العربية» بقلم محمد عبدالغني حسن (شوّال ١٣٨٤هـ). وفي مقالة أخرى للكاتب نفسه عن «ترجمة الشعر» (يناير ١٩٦٦م) يتساءل عمّا إذا كانت الترجمة تذهب بحسنِ الشعر أو أن حظر ترجمته حرمان كبير للتراث الأدبي من كنوز يجب ألا يحجز عليها.

السِيَر والتراجم

الأخطل الصغير بشارة الخوري

تناول عدد كبير من المقالات حياة الأدباء والشعراء في أهم محطاتها، كما تناولت هذه المقالات آثارهم الأدبية، من الجاهلية إلى العصر الحديث. لكن يبدو أن الأدباء والشعراء المحدثين حظوا بنصيب أوفر من أدباء وشعراء العصور السابقة.

وتجدر الإشارة هنا إلى سلسلة تراجم «أدباء من المملكة العربية السعودية» التي كتبها الدكتور مصطفى إبراهيم حسين من الرياض ونشرتها «القافلة» ما بين العامين ١٤٠٧هـ و١٤٠٩هـ، وشملت هذه السلسلة محمد حسن عواد، محمد حسين زيدان، طاهر زمخشري، غازي القصيبي، عبدالقدوس الأنصاري وأحمد قنديل... وسلسلة ثانية كانت بقلم الدكتور نقولا زيادة بعنوان «أعلام عرب محدّثون»، نشرتها «القافلة» ما بين ١٤٠٨هـ و١٤١٠هـ، وشملت سليمان البستاني، محمد بن اكنسوس، ولي الدين يكن، محمود شكري الألوسي، الشيخ إبراهيم اليازجي، وزينب فواز.

المازني يقرأ ديوان العقاد

كما أن عدداً من التراجم تناول أدباء النهضة في مصر وشعراءها: شوقي، حافظ، العقاد، طه حسين، والمازني وغيرهم...

وتجدر الملاحظة أن تراجم الشخصيات المعاصرة حظيت، بعكس تراجم الشخصيات القديمة، بذاك الوصف القريب للشكل والشخصية، وحتى المسكن، وبعض التصرفات، وهذا نابع دون شك من المعرفة الشخصية وعلاقة الصداقة بين الكاتب والمترجم له.

وفي هذا الباب أيضاً نجد مقالات تتناول فن كتابة السير، وأخرى تتناول التعريف بالسيرة الذاتية، وتتحدث عن كتّاب السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث بدءاً بأحمد فارس الشدياق، مروراً بطه حسين وأحمد أمين، وصولاً إلى توفيق الحكيم والمازني والعقاد، حاملةً في نهايتها سؤالاً عن الأهداف التي تتوخاها السيرة الذاتية كعمل فنّي. ومن المقالات المشوقة واحدة تدور حول العلاقة والصلة الشخصية في كتابة التراجم والسير بقلم أنور الجندي (يونيو ١٩٦٧م).

الشعر

له حصة الأسد من المقالات، منها ما يتناول موضوعات معينة في الشعر مثل «الحنين إلى الوطن» لمحمد عبدالغني حسن، (أغسطس ١٩٦٥م) و«الربيع في الشعر العربي المعاصر» (عبدالله بن خميس، شوّال ١٣٨٧هـ)، و«عاطفة الشاعر تجاه ابنته كما يصورها الشعر الأموي» للدكتور محمد عثمان الملا (ربيع الآخر ١٤٠٦هـ)، و«الصحراء في الأدب العربي المعاصر» لخليل فزيع (شعبان ١٤١٨هـ).

ومنها ما يعالج الشعر الحديث، لغة ومضموناً ووزناً، فنجد مثلاً مقالة لعبدالله بن سعد الرويشد (شوّال ١٣٨٣هـ) تحمل عنوان «وجوب التجديد» يتساءل فيها عن الشعر الحديث «أهو خطوة أم نكسة؟».

ومقالة أخرى تبحث في مسألة وحدة البيت ووحدة القصيدة لمحمود الشرقاوي، (يونيو ١٩٦٨م)، ودراسة تتناول لغة الشعر (إبريل ١٩٩٨م). ولا بد من التنويه باللقاء المسجل في المجلة وضم عدداً من أدباء العاصمة وشعرائها في ندوة حول «الشعر بين المضمون والقالب» شارك فيها الأساتذة: فوزي هنانو، عبدالعزيز الرفاعي، عبدالله بن إدريس، حسن عبدالله القرشي، علي حسن فدعق، ماجد أسعد الحسيني، أحمد طاشكندي وعبدالعزيز ربيعي.

وعالجت بعض المقالات موضوع الشعر والتاريخ، ففي مقالة لمحمد عنان (صفر ١٣٨٤هـ) بعنوان «الشعر ودلالته التاريخية» يتساءل هل التاريخ يخدم الشعر، أم الشعر يخدم التاريخ؟. وهناك مقالة تدور حول

عبدالقدوس الأنصاري، علامة المدينة المنورة، من أبلغ الكتاب السعوديين الذين حضروا بقوة على صفحات «القافلة»

عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين... كتب لـ «القافلة» في شعبان ١٣٧٤هـ أما إنتاجه فكان مادة دسمة تناولتها الدراسات الأدبية المختلفة على صفحات المجلة

عنترة العبسي..

استوقفنا عنوان مقالة عثمان شوقي حول أشهر شعرائنا في العصر الجاهلي (ذو القعدة ١٣٦٨هـ)، ودفعنا إلى أن ننزل ببصرنا فوراً إلى عنوان فرعي يسأل: «كم لغة كان يعرف عنترة؟».

ويفاجئنا الكاتب بقوله: «إن عنترة كان دخيلاً على اللغة العربية، لأنها لم تكن لغة أمه كما يقول علماء اللغات، ولكنها كانت مكتسبة من البيئة التي نشأ فيها».

ويضيف: ولو قرأ المرء شعر عنترة، وقارنه بشعر غيره من شعراء الجاهلية، لوجد أن شعر عنترة يفقد كثيراً من حواشي اللفظ وانتهاج الغريب من الألفاظ والتراكيب. وهذا يدل على أن محصول عنترة اللغوي كان محدودا...».

ويمضي الكاتب في الدفاع عن أطروحته حتى النهاية، ليتركنا في حيرة وتساؤل: ماذا لو كان عنترة متمكناً من اللغة العربية؟؟؟

الأدب المهجري

وجاء فيه ما يتناول موضوعات معيّنة في الشعر المهجري «كالأسرة» بقلم أنيس داود (ديسمبر ١٩٦٥م) و«الأمومة» بقلم الغزالي حرب (يونيو ١٩٦٨م). وهناك دراسة قيّمة حول نشوء العصبة والعصبة الأندلسية: تأسيسها، أعضاؤها، مبادئها، ومجلتها بقلم عدنان الداعوق. وكتب عباس محمود العقاد مقالة أخرى عن شعراء المهجر الجنوبي (فبراير ١٩٦٤م). وطرح محمد أبو بكر حميد السؤال التالي: «لماذا سكت الأدب العربي في المهجر الأمريكي» (مايو ١٩٩١م).

جبران خليل جبران، الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، وجورج صيدح... من أعلام الأدب المهجري الذي حظي بمساحة واسعة على صفحات القافلة. والرسوم من مقالة بعنوان «لماذا سكت الأدب العربي في المهجر الأمريكي». (ذو القعدة ١٤١١هـ)

أدب النهضة

هناك مقالة للأمير نديم آل ناصر الدين عن بداية النهضة الأدبية في لبنان (يونيو ١٩٦٧م)، ومقالة للدكتور محمد يوسف نجم عن النشاط اللبناني في الأدب العربي الحديث، ودور اللبنانيين المتمصّرين (مارس ١٩٥٥م). ومقالة أخرى بعنوان «مساهمة الموسوعيين العرب في بناء الفكر العربي المعاصر» بقلم أنور الجندي (مايو ١٩٦٨م)، وتبحث هذه المقالة في مجال الموسوعات الثقافية العامة، ومراجع الدراسات الأدبية ومصادرها، ومجال اللغة، ومجال التاريخ، والتراجم، ومعاجم العلوم الطبية والنباتية والحيوانية والزراعية.

أدب الرحلات

ومن الجوانب الأدبية التي برزت على صفحات «القافلة» أدب الرحلات. ومن الذين كتبوا فيه محمود الشرقاوي «ابن بطوطة وعجائب رحلاته» (ذو القعدة ١٣٨٥هـ). وعاد الشرقاوي بعد ذلك ليطرح السؤال التالي: «الرحالة العرب ولماذا كان أكثرهم من المغرب؟» (جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ). كما أن نجاتي صدقي عرض لنا في مقالته «العرب وأدب الرحلة» (شوال ١٣٩٤هـ) تراجم قصيرة لمعظم الرحالة العرب مثل ابن فضلان، الحسن الهمداني، المسعودي، البيروني، المقدسي، الإدريسي، ياقوت الحموي، وغيرهم، وصولاً إلى الومضات في أدب الرحلات في القرن العشرين عند شوقي، والريحاني، ونعيمة وغيرهم.

وبعيداً بعض الشيء عن التحليل الأدبي والتاريخي، يأخذنا إبراهيم الشنطي «مع ابن بطوطة في رحلته الشهيرة» (جمادى الآخرة ١٤٠١هـ)، فيجوب بنا مع أشهر رحّالة في التاريخ، كافة أرجاء العالم الإسلامي وصولاً إلى الصين، ومن ثم عودته إلى طنجة المغربية التي انطلق منها، وذلك على مدى ١٤ صفحة آسرة.

رسم يمثل ابن بطوطة أمام الأهرامات في مصر. (جمادى الآخرة ١٤٠١هـ)

الأدب النسوي

حظي الأدب النسوي بعدد لا بأس به من المقالات بأقلام أدباء وأديبات من الوطن العربي.

وقد تناولت إحدى هذه المقالات شاعرات من البادية، معظمهن مجهولات لاعتبارات اجتماعية (ربيع الآخر ١٣٩١هـ)، وأخرى تناولت شاعرات معاصرات بقلم محمد عبدالمنعم خفاجي. ومنها ما يتحدث عن خصائص الأدب النسوي وتأثيره في المحيط العربي بقلم جميلة العلايلي. وللدكتور أحمد جوفي مقالة بعنوان «المرأة الشاعرة والناثرة» (أكتوبر ١٩٦٥م)، كما تتحدث وداد السكاكيني عن اتجاه المرأة العربية في أدبها الحديث (رجب ١٣٨٣هـ). وبعد ذلك بسنوات قليلة، كانت السكاكيني نفسها وآثارها الأدبية موضع دراسة بقلم وديع فلسطين (شوّال ١٣٩٧هـ).

الأدب الأندلسي

ونذكر مما ورد فيه بحثاً عن خصائص الشعر الأندلسي ما نشرته «القافلة» بقلم محمد عبدالله عنان (نوفمبر ١٩٦٢م)، وآخر عن الموشحات الأندلسية، يتناول فيه معنى الموشح وأقسامه، وبداية نشوء الموشحات وأصلها وأغراضها.

وهناك مقالة للشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي، يتحدث فيها عن الشعر المهجري والأندلسي، فيعرض سمات كل منهما والجامع بينهما (ذو الحجة ١٣٨٢هـ). ومقالة أخرى بعنوان «قراءة في شعر الطبيعة الأندلسي» بقلم أحمد حافظ الحنجل (ربيع الآخر ١٤١٣هـ) توقف فيها الكاتب أمام ملامح هذا الشعر وبواعثه.

عنوان مقالة لأحمد الجندي (جمادى الأولى ١٣٩٣هـ)

كما نجد عدداً وافراً من المقالات التي تتناول تراجم الأدباء الأندلسيين: ابن درّاج القسطلي بقلم فؤاد شاكر (١٩٦٢م)، وابن خفاجة بقلم محمد حاج حسين (نوفمبر ١٩٦٨م)، وابن زيدون بقلم عبدالفتاح أبو مدين (ديسمبر ١٩٦١م)، والشاعر الأندلسي يحيى الغزال بقلم علي أدهم (أبريل ١٩٥٨م)، والرحالة الأندلسي ابن جبير بقلم محمد عنان (فبراير ١٩٦٨م).

ويشدّك في المجلة طائفة من المقالات الطريفة الجديدة وقتذاك، والبعيدة عن الموضوعات المتداولة. ومن هذه المقالات واحدة لأنور الجندي تبحث قضية عناوين الكتب، فيجد أن معظمها بعيد كل البعد عن مفهوم الكتاب. ويقول إنه من خلال مراجعة شاملة لأكثر من ٥٠ ألف بطاقة عنوان كتاب، وجد أن هذه الكتب «لا تقرأ من عناوينها».

وفي مقالة تحمل عنوان «شيء من الفكاهة في الأدب العربي» يقول محمود الشرقاوي أن الأدب العربي فيه شيء كثير من الفكاهة شعراً ونثراً، ثم يذكر بعضاً من هذه الفكاهات.

ومن المقالات اللافتة مقالة موقعة باسم «البدوي الملثّم»، بعنوان «نهاية أميرين شاعرين»، وهذان الشاعران هما أبو فراس الحمداني الذي توفي نتيجة معاناته في السجن، والمعتمد بن عباد أمير إشبيلية الذي مات في الأسر. والشبه كبير بين الإثنين: ذلٌّ بعد عزّ، وأسرٌ بعد ملك.

ويعود «البدوي الملثم» إلى الظهور في موضوعات أخرى مثل تعريب الإلياذة على يد سليمان البستاني، ضمن سلسلة «أعلام فقدناهم» (نوفمبر ١٩٦٤م).

المقابلات

وهي أكثر من أن تحصى. ومنها على سبيل المثال فقط لقاء ممتع مع طه حسين (يوليو ١٩٦٨م) يتحدث فيه عن مؤلفاته وشعره، ورأيه في الحضارتين الغربية والشرقية، ولغة المسرح وغير ذلك من أمور الساعة وأمور كل ساعة. وهناك أيضاً مقابلة مع عباس محمود العقاد في ندوته الأسبوعية (أكتوبر ١٩٦٦م)، ومقابلتان مع عبدالقدوس الأنصاري (يناير ١٩٦٨م وسبتمبر ١٩٨١م)، وواحدة مع الدكتور إحسان عباس (مارس ١٩٨٤م)، ومع الأديب محمد سعيد العامودي (مارس ١٩٦٨م) وعدد لا يحصى من الكتاب والشعراء السعوديين. كما أن هناك عدداً من المقالات الشيقة والطريفة التي كتبها العقاد بناءً على رغبة المجلة في ذلك، أثناء لقاءات جرت معه. ومن هذه المقالات: «كيف أختار موضوعي» (يوليو ١٩٦٢م) و«مكتبتي» (سبتمبر ١٩٦٢م) و«منهج التأليف عندي» (سبتمبر ١٩٦٢م).

اللغة

لم تهمل المجلة الدراسات والبحوث اللغوية، فالمقالات اللغوية على قصرها وبساطتها تعالج موضوعات رئيسة تهم جميع فئات القراء وفيها إغناء للمعرفة العامة. ومن المقالات واحدة تحمل عرضاً شاملاً ووافياً للمعاجم العربية بدءاً بالمعجم الأول الذي ألفّه الخليل بن أحمد وسماه كتاب «العين»،

عبدالله بن إدريس

أحمد طاشكندي

علي حسن فدغ

حسن عبدالله القرشي

قضايا في الأدب العربي

من القضايا التي تطرق إليها بعض الكتاب مسألة «الاغتراب واللقاء في الأدب العربي» بقلم محمد عبدالغني حسن (سبتمبر ١٩٦٨م). وفي هذه المقالة باقة جميلة من الأبيات التي تحمل معنى الحنين إلى الوطن، ولا عجب أن يكون معظمها لشعراء أندلسيين أو مهجريين ممن اضطروا إلى الاغتراب عن أوطانهم. ومقالة أخرى بقلم محمد إسماعيل إبراهيم تعرض «للمقامات في الأدب العربي» (شوّال ١٣٨٤هـ) وهي مقالة رائعة تتحدث عن نشأة المقامات، وأصل تسميتها وأشهر من كتبها. ويقدم عبدالله بن سعد الرويشد بحثاً عن الحكمة والمثل لغوياً، ثم يعرض لنشأتهما منذ الجاهلية، وأثرهما في النفوس والعواطف لما يكسبان الكلام من سحر وجمال. وهناك مقالة مشابهة، ولكن على نطاق أضيق بعنوان «الحكمة عند شعراء الأحساء» بقلم خالد سعود الجلبي (أغسطس ١٩٩٢م).

ولئن ذكر أنور الجندي «بعض الصفحات المجهولة من الأدب العربي المعاصر»، وتحديداً أدب الرحلات، والرسائل، والأدب الذي يكون صورة لعصره (يوليو ١٩٦٦م)، فقد بحث محمد عبد الغني حسن في مقالتين مستقلتين عن: «شعراء مغمورون في العصر الجاهلي والإسلامي» (يوليو ١٩٦٦م) وعن «أبيات وقصائد حائرة النسب» (ديسمبر ١٩٦٨م). كما قدّم نقولا زيادة عرضاً لكتاب إحسان عباس «شذرات من كتب مفقودة في التاريخ»...

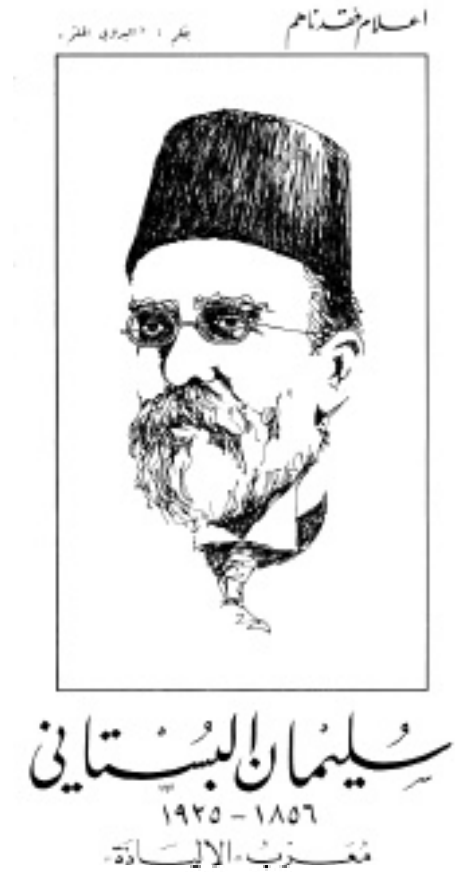

أعلام فقدناهم... بقلم مجهول: «البدوي الملثم»؟
(رجب ١٣٨٤هـ)

لماذا من المغرب؟

يقول محمود الشرقاوي في معرض جوابه عن السؤال: لماذا كان معظم الرحّالة العرب من المغرب: «أعتقد أنه توجد عدة أسباب، أولها سبب عام يشترك فيه أكثر هؤلاء وربما كلهم، وهو الرغبة في أداء فريضة الحج. فالحج فريضة مقدسة... ولأداء هذه الفريضة خرج هؤلاء الرحّالة من بلاد المغرب إلى المشرق يقصدون مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويزورون في طريقهم بلاداً أخرى.

ومن الأسباب الخاصة بأهل المغرب أن الحضارات الإسلامية التي قامت في العصور الوسطى وما سبقها موطنها الشرق، أي بغداد والشام ومصر، وكانت هذه البلاد بحضارتها ذات بريق ومكانة كبيرة في بلاد المغرب الإفريقي والأندلسي تجعل من زيارتها أمنية عزيزة.

ومن الأسباب أيضاً ما قاله شعراً ابن حزم الأندلسي أن نتبه أنه خرج في الغرب ولم يكن من أبناء الشرق، ومن عيوب قومه أنهم يتشوّقون للبعيد ويحنّون له ويكبرونه، وقرب المرء منهم ذنب له عندهم:

أنا الشمس في جو العلوم منيرةٌ
ولكن نتبي أن مطلعي الغربُ
فيا عجباً، من غاب عنهم تشوّقوا
له ودنو المرء من أرضهم ذنبُ

ديوان «القافلة»

بيت القصيد في مكانٍ آخر

في كل عدد تقريباً، كانت هناك قصيدة، وفي بعضها اثنتان، وأحياناً ثلاث... والنتيجة أكثر من تسعمائة قصيدة في كل فنون الشعر: الوصف، الوجدانيات، الغزل، الطبيعة، وخاصة المواضيع الدينية التي شغلت نحو ربع مجموع هذه القصائد، غير أن بيت القصيد يبقى في مكانٍ آخر غير الكمية. ففي الأعوام الثلاثة الأولى من عمر المجلة، كان بعض الشعر المنشور على صفحاتها مقتطفاً من دواوين كبار الشعراء العرب المعروفين أمثال أحمد شوقي وأبي القاسم الشابّي وغيرهما... ولكن، وبسرعة، صارت القصائد خاصة بها، تنشر على صفحاتها للمرة الأولى. ومن هنا تبدأ سلسلة المفاجآت.

تكمن المفاجأة الأولى في أن المجلة الخاصة التي تصدرها أكبر شركة نفط في العالم وصلت في اهتمامها بأحد أرقى ألوان النصوص الأدبية – الشعر – إلى مستوى يقترب في حصيلته العامة من اهتمام المجلات المتخصصة، وهذا ما لم يكن بالإمكان تصوره قبل التطلع إلى مجموع القصائد التي نشرتها مجلة «قافلة الزيت».

ويصبح الاقتراب أدنى (وتصبح المفاجأة – بالتالي – أكبر)، عندما نكتشف أن «القافلة» احتضنت، خاصة في عقودها الثلاثة الأولى، المواهب الشعرية التي بقيت تمارس فن الشعر من خلال قوالبه الكلاسيكية (أوزان الخليل والقافية)، وذلك بعدما انحسر غبار الصراع بين القديم والحديث عن طغيان كامل للشعر الحديث ونماذجه على المجلات «المتخصصة»، حتى أن فناني الشعر الكلاسيكي ما عادوا يجدون منفذاً لنشر قصائدهم في المجلات الأدبية. أما «القافلة» فلم تكن تنشر فقط لأصحاب الأسماء اللامعة المكرسة من شعراء الكلاسيكية العربية، بل تجرأت واحتضنت أسماء من خارج دائرة الشهرة.

وبشكل عام، يمكن توزيع الشعراء الذين نشروا في «القافلة» على مجموعتين: الأولى، وتضم الشعراء الدائمين أو الثابتين في «القافلة»، ومعظمهم من السعوديين. لم يكونوا من أسرة التحرير، ولكننا أسميناهم كذلك لغزارة إنتاجهم على صفحات المجلة. نذكر منهم على سبيل المثال: أحمد قنديل، طاهر زمخشري، زكي المحاسني، أنور العطّار، حسن عبدالله القرشي، وعارف قباسة.

زكي المحاسني، من كبار الأدباء في سوريا وشعرائها المجيدين. اختار «القافلة» منبراً لنشر «الملحمة العربية» ومجموعة من القصائد على هامشها. كان يعد حجة في الأدبين القديم والمعاصر، وتوفي في أواخر سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م)

الشاعر والسفير الدكتور غازي القصيبي كان من المواهب الشابة التي احتضنتها «القافلة» منذ منتصف الستينيات الميلادية

أحمد قنديل من ألمع الشعراء السعوديين في القرن العشرين، وكان أكثرهم حضوراً على صفحة الشعر في «القافلة»

أحمد رامي... أشهر الشعراء الغنائيين العرب في القرن العشرين، وواحد من ضيوف «القافلة»

وتذكر كيف تطور ترتيب المعاجم، والصعوبة في ذلك، ودور المجمع اللغوي في وضع المعاجم، وكانت بقلم د.أحمد الحوفي (يوليو ١٩٦٦م). وفي هذا الموضوع أيضاً كتب د.نقولا زيادة مقالة بعنوان «من المقالة إلى الموسوعة» (ديسمبر ١٩٧٧م)، حيث يرى «أن الذهن العربي أنتج خير ما يمكن أن ينتجه حتى القرن السادس الهجري، إذ لم تعد اللغة العربية تتعرض للتحديات كي تستجيب لها»، ويدافع الدكتور زيادة عن رأيه هذا حتى نهاية المقالة.

زكي مبارك

وتحت عنوان «نعرّب أو نترجم» يرى عباس محمود العقاد أن ترجمة الكلمات الأجنبية إلى اللغة العربية مفضلة، ما دامت مستطاعة سائغة. فإذا تعذّرت، فلا حرج من التعريب على قدر الحاجة إليه، بغير إفراط أو استرسال، وحسب رأيه، فإن التعريب ضرورة ملازمة - لازمت اللغة العربية منذ نشأتها (يناير ١٩٦٠م).

وللدكتور أحمد حسن الزيات مقالة عن الإيجاز والإطناب بعنوان «بلاغة الإيجاز وبلاغة الإطناب» يرفض فيها الفكرة القائلة بأن الطرق المستقيمة في الأسلوب عند البلاغيين ثلاثة: مساواة وإيجاز وإطناب. فهو يرى أن الإطناب ليس من طبيعة اللغة العربية، وعلى البليغ أن يسلك إما طريق المساواة والتقدير، أو طريق القصر والحذف (يونيو ١٩٦٤م).

إلى ذلك أفردت «القافلة» مساحات واسعة لقواعد اللغة السليمة، تحولت في السنوات الأخيرة إلى باب ثابت فيها.

فمنذ السبعينيات الميلادية، كتب الأمير نديم آل ناصر الدين في «عثرات الكتاب» (محرم ١٣٩٣هـ)، وأعاد الكتابة في الباب نفسه علي مصطفى صبح ونجيب محمد القضيب في العقد التالي

وتحت عناوين مختلفة مثل «أخطاء شاعت حديثاً في لغتنا الجميلة»، و«أخطاء لغوية شائعة» وما شابه.

وفي مطلع التسعينيات الميلادية، ظهر باب جديد من الأبواب الثابتة في المجلة بعنوان «صفحة في اللغة»، تُعرض فيه بعض الأخطاء الشائعة في لغتنا، ويُبيَّن صوابها. ولا يزال هذا الباب ثابتاً حتى الآن.

ويفاجئنا في المجموعة ذاتها الشاعر السوري زكي المحاسني الذي انصرف من خلال «قافلة الزيت» دون غيرها من كل ما في الوطن العربي من مجلات متخصصة في الأدب والشعر، إلى وضع شاعريته الكلاسيكية الرفيعة، المنسوجة من قماشة بدوي الجبل ومحمد مهدي الجواهري، في صياغة سلسة من الأناشيد الملحمية الطويلة تحت عنوان «الملحمة العربية»، وذلك في معاكسة تامة للتيار الشعري الحديث الذي لم يتخل فقط عن الكلاسيكية الشكلية، بل حتى عن الكلاسيكية في المضمون.

ومن المفاجآت أيضاً العثور على اسم الشاعر المصري المخضرم محمود أبو الوفا فوق عدة قصائد. ومحمود أبو الوفا من الشعراء الذين تفوق قيمتهم الأدبية الشهرة التي أحرزوها، ذلك أن شهرته بقيت في قصيدة واحدة غنّاها له محمد عبدالوهاب في أواخر الثلاثينيات «عندما يأتي المساء». أما عن قيمة هذا الشاعر فيكفي أن نذكر أن أحمد شوقي قد كتب قصيدة قصيرة رائعة يتغنى فيها بشاعرية محمود أبو الوفاء. ومن القصائد الغنائية التي نشرتها «القافلة» لهذا الشاعر واحدة بعنوان «ولكني أغني» يقول في أحد مقاطعها:

يا حبيبي عندنا لحن جديد
آه لو يبسم لي الحظ السعيد
فأغني وحبيبي يستعيد
كلما قال أعد، رحت أعيد.

الشاعر بشارة الخوري، شاعر الهوى والشباب، وهو يلقي إحدى وجدانياته

والثانية، وتضم الشعراء الذين نشر كل منهم عدداً محدوداً من قصائده في «القافلة». وقد يصل عدد هؤلاء إلى المئات، ونكتفي بذكر البعض ممن يعرفهم القراء جيداً: أحمد رامي ومحمود أبوالوفا وصالح جودت وعلي أحمد باكثير وعزيز أباظة ومحمد مصطفى الماحي ومصطفى عبدالرحمن من مصر، وفدوى طوقان وعبدالكريم الكرمي من فلسطين، ورياض المعلوف وجورج صيدح من لبنان وأحمد الصافي النجفي من العراق، ومن سوريا الشاعر المهجري إلياس قنصل، ومن السعودية غازي القصيبي... وغيرهم العدد الكبير.

أنور العطّار، من الشعراء المجيدين، ويكاد إنتاجه على صفحات «القافلة» أن يقتصر على شكل الرباعيات

في المجموعة الأولى يشكل أحمد قنديل مفاجأة مدهشة. إذ أن النسبة الأعلى من القصائد لشاعر واحد تحمل توقيعه. ومعظم قصائد هذا الشاعر السعودي الكبير الذي لم يكتسب شهرة كبيرة في المجلات الأدبية خارج المملكة تكشف عن خيال رفيع، وغنى لا حدود له من تنوع المواضيع، ولغة شاعرية رقيقة تشرب من ينابيع الكلاسيكية العربية، كما تحلّق أحياناً بحرية في آفاق الحداثة العربية.

المفاجأة الثانية كان اسمها طاهر زمخشري. وما قلناه عن قنديل ينطبق عليه تماماً، وإن كان شعره يتميز بمسحة ألم غامضة حيناً ومعلنة أحياناً. وفي قصائده ذات الطابع الديني، وهي كثيرة، نكتشف حساسيته الفائقة، فتسمعه يهمس همساً في قصائد المناجاة والابتهال، ويتبدل تماماً في القصائد الخاصة بالأماكن المقدسة حيث تصبح نبرته قوية وخطابية، وللمناسبة نشير إلى أن الديوان الأول لزمخشري، والذي صدر عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م) بعنوان «أحلام الربيع» كان أول ديوان لشاعر سعودي من حيث الصدور والنشر طبعاً، إذ قبله لم يجد الشعر في المملكة سبيله للظهور والذيوع إلا من خلال مجاميع الاختيارات...

طاهر زمخشري، صاحب أول ديوان لشاعر سعودي منفرد. كان حاضراً بقوة على صفحات الشعر في «القافلة»، وغلب على نتاجه الموضوع الديني

وهنا بيت القصيد...

لهذين الشاعرين - قنديل وزمخشري - على سبيل المثال وليس الحصر من الأصالة الفنية والعمق والموهبة وغزارة الإنتاج ما يضعهما عن جدارة في الصف الأول الذي احتل بعض مقاعده كبار الشعراء العرب في القرن العشرين، وبقي بعضه الآخر شاغراً. فلماذا لم يحصل الأمر؟ وأين غابت المجلات المتخصصة؟ أو لماذا غيبتهما؟ لا نعرف... لكي لا ندخل في موضوع طويل وشائك يفسد علينا الطابع الاحتفالي لهذه المقالة.

شاعر النيل حافظ إبراهيم

وما قلناه عن قنديل وزمخشري ينطبق إلى حد بعيد على غيرهما من أمثال عارف قباسة، وأنور العطار، الذي تميّز عن غيره بارتكاز شعره إلى رباعيات ذات مضامين بالغة التنوع والغنى.

قافلة القصص
ومواهب لم ينصفها الزمن

وما قلناه عن المفاجآت الممتعة التي واجهناها في ديوان «القافلة» يشبه إلى حَدٍ بعيد ما يمكن أن نقوله في مجموعة القصص القصيرة التي نشرت على صفحات المجلة. غير أن الحديث هنا يحتاج إلى بعض الشجاعة، لأن المقارنة بين القصص القصيرة ممكنة وأسهل مما هي عليه في الشعر، لا بأس ببعض الشجاعة...

عندما أصدرت «القافلة» في صفر ١٤٢١هـ عددها الخاص لمناسبة عيدها الأربعين، وأعادت فيه نشر مختارات بأقلام كبار كتّابها، وقع الاختيار في مجال القصة القصيرة على واحدة بعنوان «أنا والعصفور» بقلم الأستاذ محمود تيمور، كانت قد نشرت في المجلة قبل ثلاثين عاماً وكان لهذا الاختيار مبرراته المفهومة. فالأستاذ تيمور كان من رواد القصة القصيرة في الوطن العربي، وواحداً من أبرز الأسماء على صفحات «القافلة». ولكن...

من القصص التي نشرت في المجلة، هناك واحدة، على سبيل المثال بعنوان «الريال الفضة» بقلم محمود عيسى المشهدي. وعلى الرغم من أننا عرفنا من إحدى صفحات المجلة لاحقاً أنه صاحب مجموعة قصصية بعنوان «الحب لا يكفي»، فإن اسمه لا يتمتع بأي لمعان في عالم الأدب، وعلى الأرجح أنه كان معروفاً أكثر بوصفه مشرفاً على تحرير «القافلة»، ولاحقاً كمدير للعلاقات العامة في «بترومين»... **ما يحتاج إلى الشجاعة هو القول إن قصة «الريال الفضة» أجمل بكثير من «أنا والعصفور». لا مجال هنا طبعاً لنشر القصتين أو سرد موضوعيهما، ولكن في قصة المشهدي من الحساسية والواقعية ما تفتقر إليه الأخرى، كما أنها تشع بالمشاعر الإنسانية العميقة التي تنشأ ما بين رجل طيب القلب وولد بائس، وخالية تماماً من الصناعة أو التصنع الذي نجده في العاطفة ما بين الرجل الذي يشتري عصفوراً ليطلقه.** قصة «الريال الفضة» ذات خاتمة محزنة. ولكن المحزن أكثر هو أن التاريخ... يظلم أحياناً بناءً على سمعة. كانت القصة القصيرة الأولى في العدد الأول من القافلة بعنوان «وفاء»، ومنذ ذلك الحين لم تنقطع القصص القصيرة عن صفحات المجلة إلا نادراً، حتى وصل عدد ما نشرته إلى خمسمائة قصة تقريباً، لأدباء من المملكة ومن كافة أرجاء الوطن العربي.

وبشكل عام، يمكن تقسيم هذه القصص إلى مجموعتين رئيستين. الأولى، وهي الأصغر، وتضم القصص ذوات الموضوعات التاريخية، والثانية تضم القصص ذوات الموضوعات المستوحاة من حياتنا المعاصرة مع تلوّن كبير في أشكال معالجتها.

غالب حمزة أبو الفرج... القاص السعودي المعروف بميله إلى الواقعية والنقد الاجتماعي

محمود المشهدي... كاتب قصصي لم ينصفه الزمن

محمود تيمور، من رواد القصة العربية وكتاب «القافلة» في القصة والمقالات الأدبية والنقدية

وحول هذه القصيدة قال لنا ناقد كان مقرباً من الموسيقار الراحل عبدالوهاب، إنه مقتنع تماماً أن الموسيقار الراحل لم يقرأ في حياته هذه القصيدة، وإلا لما استطاع مقاومة تلحينها لأنها أجمل من «عندما يأتي المساء» الشهيرة. ولمناسبة الحديث عن الشعر الغنائي، كان على صفحات القافلة اسم عزيز أباظة (الذي كان عبدالوهاب قد غنّى من قصائده «همسة حائرة») وأجمل قصائده الكلاسيكية هي التي نظمها في رثاء الأديب الكبير عباس محمود العقاد، ونشرتها «القافلة» وفاءً لذكرى الأديب الراحل. وأيضاً هناك مصطفى عبدالرحمن (صاحب قصيدة «أشواق» الشهيرة التي لحنها وغناها الموسيقار رياض السنباطي). غير أن أشهر الشعراء الغنائيين الذين استضافتهم «القافلة» كان بلا شك أحمد رامي الذي كتب نصف ما غنته أم كلثوم، وكان ذلك في العام الثالث من عمر المجلة.

أحد الرسوم الزخرفية التي كانت تصاحب القصائد الشعرية

ولم تكتفِ «القافلة» باحتضان الأسماء اللامعة فقط، بل احتضنت أيضاً الكثير من المواهب الشابة. ومن المفاجآت على سبيل المثال أن نجد في أعداد تعود إلى مرحلة مبكرة نسبياً (١٩٦٤م و١٩٦٥م و١٩٦٧م) قصائد تحمل اسم غازي القصيبي، ذات مستوى فني راق، ومعنى ذلك أن هذه القصائد كانت من بواكير النتاج الأدبي للروائي والشاعر والسفير الذي لمع اسمه بعد ذلك في عالم الأدب. ولكن «قافلة الزيت» كان لها سبق التنبؤ بموهبته الأدبية، وتحمل مسؤولية النشر لها، على أساس من الحس الفني السليم.

إن ما قلناه حتى الآن قد يعطي الانطباع الخاطئ بأن «القافلة» اتخذت موقفاً مع الشعر الكلاسيكي ضد أشكاله الحديثة، والواقع غير ذلك. ففي العقدين الأخيرين، فتحت المجلة باب صفحة الشعر أمام القصيدة الحديثة، ولو بشيء من حذر.

ومرد الحذر ليس في الحداثة بحد ذاتها بل المستوى المطلوب ليكون لائقاً بالنشر. وهو الحذر نفسه الذي تعاملت به مع القصيدة الكلاسيكية. وهكذا رأيناها تنشر في العقدين الأخيرين لبعض الأسماء المكرّسة في هذا المجال مثل بلند الحيدري وعبدالرزاق عبدالواحد من العراق، وفاروق شوشة وحسن فتح الباب من مصر، وشوقي بزيع ومحمد علي شمس الدين من لبنان، وغيرهم... مما أعاد الإعتبار إلى المقياس الصحيح الذي تفتقده بعض المجلات المتخصصة. وهو أن المستوى الفني للقصيدة هو الفيصل الأهم. **ولا نعرف إذا كانت هناك في الوطن العربي مجلة واحدة غير «القافلة» تتجاور فيها قصائد الشعر التقليدي مع قصائد الشعر الحديث.**

الموضوعات المعاصرة

لا يمكن إيفاؤها حقها ولا حتى في مجلد كامل، فقد تنوعت موضوعاتها بتنوع المئات الذين كتبوا فيها وتلوّن اهتماماتهم وأساليبهم وأمزجتهم الفنية والإنسانية.

ومن مئات القصص هذه هناك مجموعات صغيرة نشرت بشكل متقطع على مدى سنوات. ومنها مجموعة القاص الكويتي منذر الشعّار «المستوحاة من البيئة الخليجية» أو «من قصص البادية في الخليج العربي»، ومجموعة ثانية من «القصص المستوحاة من البيئة السورية» وأبرز الذين كتبوا فيها فاضل السباعي ونادر السباعي. وهناك أيضاً المجموعة السودانية بقلم محمد صالح إبراهيم من الخرطوم، والتي عاشت على صفحات «القافلة» أكثر من عشرين عاماً.

وبرز القلم النسوي في هذا المجال. وكان ظهوره الأول لافتاً للنظر لمجيئه تحت اسم مستعار «بنت الجزيرة العربية» (شعبان ١٣٨٠هـ). ولكن وبسرعة ارتفع القلم النسوي ليوقع أسماء أديبات عربيات ممن كن قد اكتسبن شهرة واسعة آنذاك، مثل وداد السكاكيني «مزرعة بسيم» (جمادى الآخرة ١٣٨١هـ) و«ذات الجوارين» (صفر ١٣٨٢هـ). والكاتبة المصرية المعروفة جاذبية صدقي التي نشرت مجموعة من القصص على مدى أكثر من عقد كامل بدءاً من أواخر الستينيات الميلادية.

أما مجموعة الأدباء السعوديين في مجال القصة القصيرة فهي تشكل قصة بحد ذاتها. فإضافة إلى المشهدي الذي ذكرناه سابقاً تتوالى الاكتشافات والمفاجآت.

لقمان يونس من هذه المفاجآت. إذ أننا عندما نقرأ قصة «الأشجار الباسقة» (محرم ١٣٨٤هـ)، نتأكد فوراً أننا أمام كاتب كبير وخبير ومتمكن تماماً من فن القصة القصيرة التي لا يشوبها عيب. ويتعزز هذا الاعتقاد عندما نقرأ له غيرها، «الرفد المرفوض» (جمادى الأولى ١٣٨٢هـ) أو «جرادة في اليد» (محرم ١٣٨٠هـ). غالب حمزة أبو الفرج مفاجأة ثانية، في «زوجة أب» (ربيع الآخر ١٣٨٩هـ) و«فيلا للإيجار» (محرم ١٣٧٦هـ)، إذ نكتشف فيه ناقداً اجتماعياً من الطراز الأول وشريكاً ليونس في الأسلوب الساخر المرّ.

كانت القصص القصيرة تزدان دائماً برسوم يعدها الفنانون خصيصاً لها. تراوحت بين رسوم كلاسيكية ملونة ورسوم بأساليب حديثة متنوعة

القصص التاريخية

وأبرز ما فيها المجموعة التي كتبها حبيب جاماتي في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي الميلادي، ومعظمها مستوحى من أحداث تاريخية بنى عليها من خياله الأدبي وهو يدخل زخارفها. ومن هذه القصص «الموت ولا العار» (شوّال ١٣٥٥هـ) التي تدور أحداثها في أيام المعارك التي خاضها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في سبيل توحيد المملكة، و«قبر الرومية» (جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ) التي تدور أحداثها حول حقيقة موقع أثري في الجزائر، و«خولة الحلبية» (ذو الحجة ١٣٨٢هـ) وغير ذلك...

وعلى المذهب نفسه حاك عبدالله حشيمة مجموعة مماثلة: «وفاء المعتمد» (ربيع الأول ١٣٨٩هـ)، «جميلة الحمدانية» (ذو القعدة ١٣٨٩هـ) و«سيف ذو يزن» (شعبان ١٣٩٢هـ).

أما مجموعة محمد المجذوب فقد استمدت معظم مواضيعها من التاريخ العربي قبيل الإسلام وفي فجر الإسلام مثل «الحق أو الرق» (جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ)، و«عادت السيوف إلى أغمادها» (ذو القعدة ١٣٩٣هـ) و«الصنم والكلب» (صفر ١٣٩٤هـ). ومن الذين كتبوا أيضاً في القصة التاريخية نذكر حسان محمد المجذوب، وإبراهيم المصري، وسليمان جابر، ومحمد العريضي الذي صاغ أسطورة «اليسار» ابنة مدينة صور الفينيقية بأسلوب جميل (رمضان ١٣٩٤هـ). واللافت أنه لم يُشر إلى هذه القصص على أنها قصص قصيرة، بل كانت تأتي في باب خاص بها حمل أحياناً اسم «تاريخ ما أهمله التاريخ»، أو «قصة من وحي التاريخ» أو «من وحي التاريخ العربي»... وما شابه.

لقمان يونس... الذي ولد في سومطرة بأندونيسيا عام ١٣٣٩هـ، وأتى إلى المملكة وهو صغير ليتلقى العلوم الدينية، فتحوّل إلى واحد من روّاد فن القصة العربية

حبيب جاماتي... من أوائل كتّاب القصة القصيرة التاريخية في «القافلة»، إذ تعود مجموعته إلى منتصف الخمسينيات الميلادية

القصص المترجمة

القصص القصيرة المترجمة عن اللغات الأجنبية، لم تكن على صفحات «القافلة» بغزارة القصص العربية، ولكن الباقة المنشورة منها، كانت بالفعل مختارة بعناية. ومن كبار كتاب القصة العالميين الذين نشرت بعض أعمالهم، ادغار ألن بو «سر اللوحة الخالدة»، جي. دي. موبسان «الجوع»، الفونس دوديه «ستين الصغير»، روبنز كولين «الظبي الرمادي»، أو هنري «هدية رأس السنة»، جيرون ويدمان «أبي يجلس في الظلمة»، وغيرها...

ومن أبرز الذين ترجموا قصصاً للقافلة: فاضل السباعي، حسني محمد بدوي، د. عيسى الصو، ملاك ميخائيل، سليمان الشيشني، ود. عبدالجبار عبود علي... وغيرهم.

وليس منطقياً أن يتم الحديث عن القصة القصيرة السعودية من دون التوقف أمام حسن حسن سليمان لقدرته الفائقة على الولوج في أعماق النفس البشرية في قصته الرائعة «العشرة ريالات» (ربيع الأول ١٣٩٩هـ)، الأمر الذي تؤكده المجموعة الجميلة التي نشرتها له «القافلة». وهناك أيضاً إبراهيم الناصر الذي رصد التحولات الإجتماعية والحياة اليومية من مختلف الزوايا ومنها واحدة من زاوية رجل عجوز لا يستسيغ صوت القطار، ولا الإحساس بالإسفلت تحت قدميه في قصة «حال الدنيا» (رمضان ١٣٩٥هـ). ولا ننسى مجموعتين كتبهما كل من عبدالسلام هاشم حافظ من المدينة المنورة، ومحمد علي قدس من جدة.

عرفنا من الدراسات الأدبية في «القافلة»، أن لقمان بونس وغالب حمزة أبو الفرج، مثلاً، حظيا بشهرة داخل المملكة (ونرجح أن هذه الشهرة لم تكن منصفة تماماً) ولكن لماذا لم تخرج هذه الشهرة إلى أرجاء الوطن العربي بأسره كما تستحق؟ وماذا عن حسن حسن سليمان وإبراهيم الناصر؟ وأين كانت المجلات المتخصصة التي زعمت أنها استنفدت كل المصادر المحلية وراحت تترجم من الشرق الأقصى والغرب البعيد؟

أصدق الأجوبة وأكثرها إيلاماً جاء على لسان غالب حمزة أبو الفرج نفسه الذي يروي لنا في قصته «فيلا للإيجار» انهيار مشروع خطوبة شاب سعودي على فتاة مصرية لما اكتشفه من «جهل فتاته المطلق - رغم ثقافتها العالية - بجغرافية الحجاز وتاريخها، وأخلاق أهل الحجاز وعاداتهم وتقاليدهم... فتقول له إنها لا تصدق أنه تلقى علومه في مكة... ما شاء الله... وهل في مكة مدارس؟».

نعم هناك مشكلة كبيرة نعاني منها عندما يتعلق الموضوع بمعرفة الواحد منا للآخر، أو لأي محيط اجتماعي لا ينتمي إليه مباشرة. ومجموعة القصص المنشورة على صفحات «القافلة» على مدى نصف قرن، تؤلف موسوعة للتقاليد الاجتماعية وتحولاتها وتفاصيلها الحميمة في الخليج كما في المغرب أو السودان أو بلاد الشام. إنها من الأدوية المطلوبة للعلاج... وما على القارئ إلى... تناوله.

وبعد كل هذا الحديث عن الدراسات الأدبية والشعر والقصة، لا بأس في أن نوقف قافلتنا في استراحة مع الطرائف والكاريكاتير...

حين كانوا...

تمضي قافلة الأيام بنا ولا يبقى لنا منها سوى بعض الذكريات، وأحيانا بعض الصور التي تعزّز الذكريات. وأثناء تصفحنا لرحلة «القافلة»، صادفتنا بعض الصور، التي ربما نسيها أصحابها، هذه الصور لبعض أصحاب السمو الملكي الأمراء وشخصيات أخرى أصبحت اليوم من الشخصيات المرموقة، والتي قدّمت الكثير سواء لأرامكو أو للمملكة في مختلف المجالات، وقد اخترنا بعضها عشوائياً، وبجانب كل منها التعليق الذي كتب بجانب الصور كما هو في تاريخ نشرها في «القافلة».

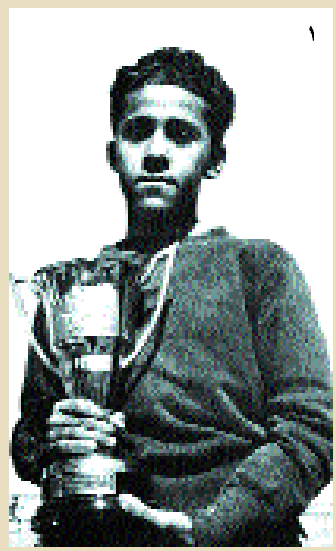
١

٢

٣

٤

٥

٦

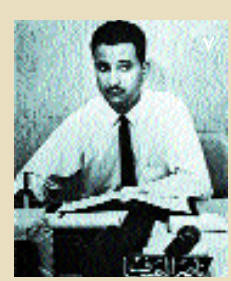
٧

٨

١- صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن سعود رئيس الفريق الأول لكرة القدم بمعهد أنجال جلالة الملك بالرياض (١٣٧٨هـ)

٢- صاحب السمو الملكي الأمير أحمد ابن عبدالعزيز رئيس الفرقة الكشفية في معهد الأنجال بالرياض (١٣٧٨هـ)

٣- صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل يهنئ رئيس فريق أرامكو (١٣٧٤هـ)

٤- صاحبا السمو الملكي الأميران سطام ابن عبدالعزيز (إلى اليمين) وخالد ابن عبدالله، يقرآن الجريدة النصف شهرية التي يصدرها معهد الأنجال (١٣٧٨هـ)

٥- السيد علي النعيمي، جيولوجي سعودي في شركة الزيت العربية الأمريكية (١٣٨٤هـ)

٦- السيد رضا عبيد، أثناء عمله في المختبر التابع لإدارة عمليات الزيت (١٣٧٧هـ)

٧- السيد ناصر العساف، مدير معهد التدريب الفني لشؤون الملاحة الجوية في جدة (١٣٨٧هـ)

٨- السيد محمد سعيد الفارسي أثناء عمله بقسم تملك البيوت (١٣٧٩هـ).

حديث شريف

وواحدة أخرى:
- الأولى: أريد زوجاً مثالياً يكون محط الأنظار، يتمتع بمواهب فنية، يسرد لي قصصاً، يروي نكاتاً، ويبقى في البيت ولا يغادره.
- الثانية: تزوجي التلفزيون.

وأحياناً كانت حكايا الزواج تختفي تماماً من على صفحات عدة، لتحل محلها طرائف الأولاد وذويهم.
- رجل لصديق: ماذا سيصبح ابنك عندما ينهي دراسته الجامعية؟
- الصديق: عجوزا... حسب سرعته الحالية.

وأيضاً:
- الأم: عما تبحث يا بني؟
- الطفل: عن لا شيء...
- الأم: إنه في العلبة حيث كانت الحلوى أمس...

ومن هذه الطرائف أيضاً ما يداعب بسياطه الرقيقة بعض أصحاب المهن، كالأطباء.
- المريض: إني أعاني من مرض النسيان يا دكتور.
- الطبيب: منذ متى أصابك؟
- المريض: أصابني ماذا؟

وكان للمثقفين نصيبهم من الطرائف والكاريكاتير:
- المثقف الأول: لقد قرأت كتابك الجديد. إنه رائع. ولكن من كتبه لك؟
- المثقف الثاني: سرني جداً أنه أعجبك... ولكن من قرأه لك؟

ومن هذه الطرائف التي تقوم على سرعة البديهة ورد الهجوم بمثله واحدة تقول:
- الأول: إني آسف جداً لعدم حضوري وليمتك أمس. فقد نسيتها تماماً.
- الثاني: عجبا... ألم تكن حاضراً أمس؟

المذيع : والآن نستودعكم الله وتصبحون على خير

الطرائف والكاريكاتير

«روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت»، كان هذا الحديث الشريف يعلو صفحات الطرائف والفكاهات أول ما ظهرت في باب خاص بها على صفحات «القافلة»، وكان ذلك في منتصف الخمسينيات الميلادية، واستمر لنحو ربع قرن. والذين تناوبوا على الاهتمام بهذا الباب كثيرون بدليل تنوع أشكال الطرائف وأمزجتها، ولكنهم لم يوقعوا هذه الصفحات بأسمائهم. كما أن العديد من رسامي الكاريكاتير لم يوقعوا رسومهم عندما صارت هناك صفحة خاصة بالكاريكاتير إلى جانب الطرائف.

وعلى مدى سنوات، تمكنت هذه الصفحات التي غالباً ما كانت تقع في نهاية كل عدد، من المحافظة على الإحساس المرهف بالطرفة الذكية والعميقة. تناولت هذه الطرائف كافة الموضوعات، غير أنها نجحت في تلافي الانحدار إلى تلك التي تخدش الحياء، أو تتطاول على القيم الاجتماعية، أو تجرح مشاعر أي كان.

ومن هذه الطرائف على سبيل المثال حكايا الأزواج، ومنها:

– الزوج: متى سيكون العشاء جاهزاً يا عزيزتي؟

– الزوجة بتذمر: منذ ساعتين وأنا أقول لك انتظر دقيقة.

ومنها أيضاً:

– التقى رجلان في حافلة، فقال أحدهما: من الصعب أن يكون المرء حسن الهندام هذه الأيام، فإن وجدت قميصاً نظيفاً – وقلما أجده – أكتشف أن أحد الأزرار مقطوع. وأنا حائر لا أدري ما أفعل؟

فأجاب الآخر: المسألة بسيطة... إما أن تتزوج إن كنت عازباً، وإما أن تتطلق إن كنت متزوجاً.

ومن الطرائف التي تناولت طباع المرأة:

– هو: حلمت ليلة أمس أني تزوجت أجمل امرأة في العالم.

– هي: وهل كنا سعيدين؟

ومن تيارات فن الكاريكاتير التي راجت في «القافلة» لسنوات طويلة، كان فن رسم «قصة في خمس صور»، ويبدو أن هذا التيار كان شائعاً في صفوف رسامي الكاريكاتير العرب بدليل تعدد الذين رسموا على المذهب نفسه.

اللبوة لأحد أشبالها: كم مرة قلت لك لا تلعب مع ابن الصياد.

وقبل أن نغادر محطة الطرائف والكاريكاتير، وللدلالة على المستوى الراقي الذي تعاملت به المجلة مع هذا الفن نتوقف أمام مثل لافت للنظر ورد في عدد ربيع الآخر ١٣٨٦هـ.

فعلى تلك الصفحة نُشِرَت قصيدة عمودية من اثنين وعشرين بيتاً بعنوان القط والمصيدة. تروى القصيدة حكاية رجل أتعبه فأر في بيته:

فأر له مكر الثعالب في ابتداع الحيلةِ
أبداً يُرى في الليل يزرع شرّه في غرفتي
يلهو بأوراقي وأدراجي وجلد حقيبتي
ويذوق أطعمتي ويمعن في اختراع أذيتي

زوجك بحاجة الى الغذاء التام ... حليب اللبن حبات لكي تنامي ..

ويقرر الرجل أن يسجن الفأر في صندوق لقتله، ولكن الفأر يتمكن من الفرار، ثم يلجأ الرجل إلى حيلة ثانية، يرويها في أبيات منها:

أحضرت قطاً جائعاً متوثباً كاللبوةِ
ومصيدة حبلتها ووضعتها في الحجرةِ
فوجدت أن القط ميتٌ تحت قوس مصيدتي
والفأر يلهو ضاحكاً مني ومن أحبولتي

وحول هذه القصيدة ثمانية رسوم كاريكاتيرية تمثل فصولاً من الحكاية. لم يظهر على الصفحة اسم صاحب القصيدة، ولكن اسم رسام الكاريكاتير ظهر: عصام العماد، وهو محرر بارز كان من الجيل الأول الذي قام باستطلاعات صحافية مصورّة لـ «القافلة» حول عدد من المناطق والمدن في المملكة وخارجها.

شر البلية

كان على صفحات الشعر في «القافلة» ما يتمتع بروح كاريكاتيرشية تطغى على مرارة الموضوع، ومنه ما كتبه أحمد مصطفي حافظ من القاهرة حول داء السكري الذي يعاني منه، ومنه هذه الأبيات:

الصحةُ تاجٌ لا يُشترى
لو أمكن أمْهرُه دُرّا
والسُكّرُ مرضٌ يحرمنا
أن نقرب عسلاً أو تمرا
فالأرزُ يُعَدُّ بحبات
بثلاث ملاعق... لا فخرا
وإن رمت قليلاً من زادٍ
ما بين الوجبة والأخرى
تنطلق قذائفُ بركانٍ
فالزوجة تزجُرني زجراً

«القافلة» ربيع الأول ١٤٠٤هـ

والطرائف التي تناولت أبناء شرائح معينة من المجتمع كالأعرابي أوالقروي، جاءت رقيقة لا تزعل أحداً، مثل تلك التي سئل فيها أعرابي: ما إسم المرق عندكم؟ قال السخين، فسُئِلَ: وإذا بَرَدَ؟ أجاب: لا ندعه حتى يبرد...

الأمر نفسه ينطبق على طرائف أبناء الجنسيات الأجنبية ومنها:

– دخل إسباني إلى فندق، فسأله موظف الاستقبال عن اسمه. فقال: اسمي دون خوان بيدرو دو فرناندير رودجيني فيلا كونت دو فولفيرا مركيز...

– فقال الموظف: آسف. ليس عندنا غرف كفاية...

غير أن أذكى الطرائف – إذا جاز التعبير – هي تلك التي كانت تأتي في جملة واحدة من دون حوار. ومنها هذه الأمثلة.

– أم الولد الشقي لصديقتها: «مش عارفة الولد طالع شقي لمين... مع أن سلوك والده كويس في السجن».

– إن حياة حشرة العث صعبة للغاية، فهي تمضي الصيف في ملابس الشتاء، والشتاء في ملابس الصيف.

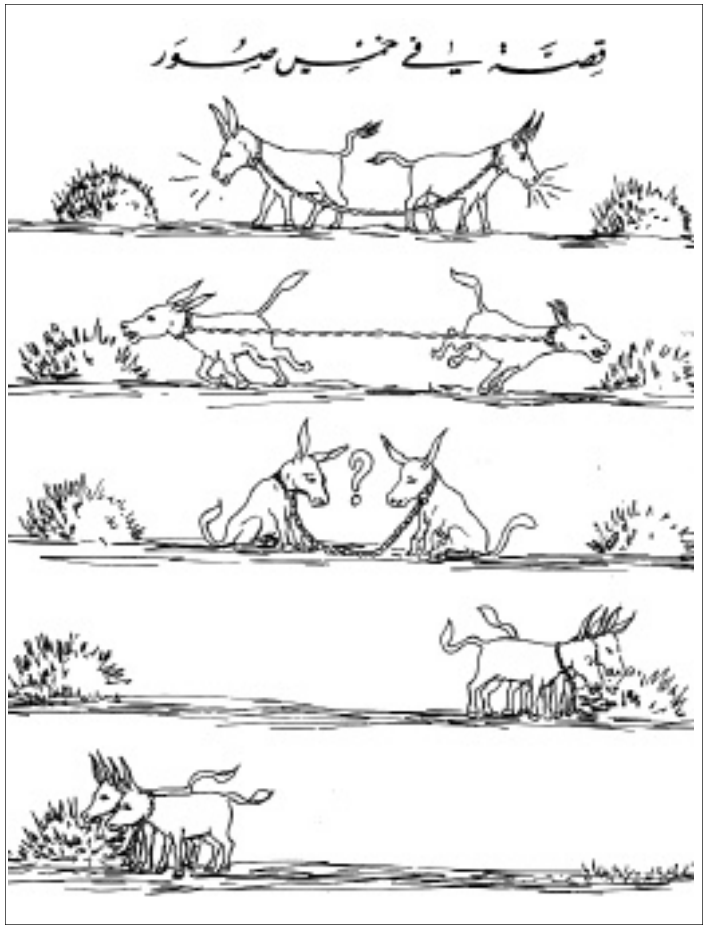

– لقد تطوّرت الزراعة في بلادنا خلال الثلاثين سنة الماضية، حتى بتنا في الوقت الحاضر لا نميّز بين ابنة الريف وابنة المدينة.

– رجل متزوج: قررت أن أذهب خلال إجازتي المقبلة في رحلة حول العالم. ولكن زوجتي تريد رؤية مكان آخر.

أما في ما يتعلق بالكاريكاتير، فقد تنوعت موضوعاته على مدى عشرين عاماً تنوعاً لا يمكن حصره، والأمر طبيعي، ولكن اللافت للنظر أنه في النصف الأول من الستينيات الميلادية تكاثرت الرسوم الكاريكاتيرية التي تتناول التلفزيون كموضوع، ومعظمها يقوم في فكرته أساساً على اعتبار أن ما نشاهده على الشاشة يمكنه أن يخرج منها، ويتجاوز هذا الصندوق الذي يسجنه. فهنا قطة تأكل سمكة رأتها على الشاشة، وهنا يد تخرج من الشاشة لتتصرف بما هو حول التلفزيون... قد لا تبدو هذه الرسوم اليوم على مستوى عالٍ من حس الفكاهة، ولكن، قبل أربعين عاماً كان الوضع مختلفاً، وكان التلفزيون اختراعاً جديداً ومدهشاً، لطالما حيّرنا في قدرته على استيعاب كل هؤلاء الناس والأشياء في داخله!!.

■ صاروخان ■ طنب ■ سركيس

إضحك بتوقيع.. إضحك بدون

ساهم فنانون كثيرون في تزويد «القافلة» بالرسوم الكاريكاتيرية الضاحكة. منهم «جانيتو» الذي رسم إلى جانب الكاريكاتير الكثير من الرسومات المصاحبة للقصص والمواضيع العلمية. وبعضها لا يزيد حجمه عن طابع البريد. وعلى صفحات المجلة خصوصاً «الصفحة الضاحكة» ظهرت رسوم الفنان المشهور حينها «صاروخان» وكذلك طنب، وجبرتب، وسركيس، كما ظهرت رسوم كثيرة بدون توقيع.

واعتمدت المجلة لفترة من الزمن أسلوب القصص الضاحكة المكونة من خمس صور، وقام برسمها فنانون متعددون مما أثرى حصيلة المجلة بتنوع وغنى فني.

الواقع أن الإضحاك ظل يحتل مكانه في صفحات المجلة الأخيرة لفترة تقرب من الثلاثة عقود. وشارك فيه القراء والمحررون والمترجمون.

أراد الصديق السمين أن يداعب صديقه النحيف فقال له
من يراك يظن أن بالبلاد مجاعة...
فرد عليه صديقه، بعد أن تأمل جسمه الضخم:
ومن يراك يعرف سبب المجاعة!

الظهران، وحدة إرشاد السفن، منع الحرائق في أرامكو، صناعة الإسفلت في رأس تنورة...

وفي الستينيات الميلادية من القرن الماضي كانت هناك زاوية ثابتة من صفحة أو اثنتين بعنوان «أرامكو في شهر» تختص بأخبار الشركة، ثم تغيّر اسم الزاوية في السبعينيات والثمانينيات ليصبح «أخبار الزيت المصوّرة».

غير أن طائفة ملحوظة من الاستطلاعات والمقالات حول صناعة الزيت، جاءت بمضامين مثيرة لاهتمام أي قارئ غير متخصص في هذا الشأن، ويمكن إدراجها في باب التثقيف العام. ومن هذه الموضوعات: «البحث عن الزيت»، «هذا الذهب الأسود من أين جاء وكيف يستخرج؟»، «كيف يجدون الزيت؟»، «تطور أساليب التنقيب»، «صناعة الزيت في المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها»... وغيرها الكثير من المواضيع التي كتبت بأسلوب صحافي يشد اهتمام القارئ أياً كان اهتمامه.

ومن أكثر الموضوعات جذباً للاهتمام في هذا المجال نشير على سبيل المثال إلى قصة «بئر الدمام رقم ٧» التي وردت عدة مرات ولمناسبات مختلفة على صفحات «القافلة»، والتي تروي حكاية اكتشاف الزيت في المملكة، التي فصل بين نجاحها وفشلها «خيط رفيع بعرض ٦٠ متراً» أو لنقل بعمق ٦٠ متراً، وهي المسافة الزائدة عن العمق الذي كان يتوقع الجيولوجيون أن يعثروا فيه على الزيت، لكنها خيّبت آمالهم، فتابعوا الحفر بآمال متضاءلة كادت تصل إلى اليأس والتوقف عن البحث، وبعد هذه الأمتار الستين الإضافية تفجرّ الخير من باطن الأرض، واستحقت هذه البئر بعد ذلك إسم «بئر الخير» الذي أطلقه عليها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ابن عبدالعزيز أثناء زيارته للشركة في العام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

وأحياناً كانت المجلة تعود إلى الموضوع ذاته لتتناوله أكثر من مرّة نظراً لما يكون قد طرأ عليه من معطيات جديدة. فلو قارنا المقالة التي نشرت بعنوان «هذا الذهب الأسود من أين جاء وكيف يستخرج؟» (ربيع الأول ١٣٧٣هـ).

صورة شعار أرامكو السعودية الجديد نشرت على غلاف مجلة القافلة. (صفر ١٤٢١هـ)

مركز تخطيط وتنظيم توريد الزيت بالظهران. (ربيع الآخر ١٤٢٠هـ)

«القافلة» تواكب الشركة

أدب وشعر وطرائف... وكأننا نسينا أن هذه المجلة تصدر عن أكبر شركة بترول في العالم. وتوجهت رسمياً عند صدورها إلى موظفي الشركة، ولا تزال كذلك بالدرجة الأولى. وأن اسم المجلة بقي لثلاثين عاماً ونيف «قافلة الزيت»، قبل أن يصبح «القافلة» فقط. والواقع أن موضوع الزيت لم يغب عن أعداد الأشهر الأولى، لا بل كان ينمو ويكبر، حتى أن العدد العاشر من السنة الأولى كان أول الأعداد الخاصة في تاريخ المجلة، وصدر ليروي بين غلافيه «قصة شركة الزيت العربية الأمريكية».

بئر الدمام رقم ٧، أول بئر تدفق منها الزيت بكميات تجارية في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٨م.

ولكن، وبسرعة، اعتدلت المساحة المخصصة لأخبار الزيت ونشاط شركة أرامكو. وصارت المجلة تتعامل معه كواحد من جملة اهتمامات رئيسة كالأدب والاستطلاعات والعلوم المختلفة، وأيضاً بوصفه المصدر الأكبر لثروة البلاد في العصر الحديث، والمحرّك الذي غيّر وجهها تماماً حتى أنه أدّى إلى قيام مدن جديدة، وأيضاً بوصفه اهتماماً يومياً وحياتياً مباشراً لعشرات الألوف من موظفي الشركة الذين لا يزالون يشكلون الشريحة الأكبر من القرّاء، وغير مباشر للملايين في المملكة وخارجها.

وبشكل عام، نجد على صفحات «القافلة» ملخصاً عن التقرير السنوي لأرامكو السعودية. ولكن كما يدل عليه اسمه، نجده مرةً في السنة. ويتضمن هذا التقرير عادة فصولاً خاصة بصناعة الزيت مثل الإنتاج والاحتياطي، التنقيب وهندسة البترول، الحفر والخطوط والأنابيب، التصنيع، والوقاية ومنع الحرائق... وغير ذلك مما يهم المتخصصين في صناعة الزيت في الدرجة الأولى. ولكننا نجد في نهاية كل تقرير مجموعة عناوين فرعية تثير اهتمام القارئ أياً كان اختصاصه أو اهتمامه، مثل نشاط الشركة في ميادين الإنماء والإسكان والبيئة والتعليم، الذي يتخذ أبعاداً مدهشة أحياناً. نذكر منها على سبيل المثال أننا عرفنا من خلال أحد هذه التقارير (العام ١٩٩٩م) أن أرامكو السعودية أنشأت منذ العام ١٩٥٣م وحتى إعداد هذا التقرير ١١٧ مدرسة حكومية في المنطقة الشرقية من المملكة قامت بتسليمها لإدارات التعليم المعنية، وذلك في إطار برنامجها القائم على توفير مرافق تعليمية ذات مستوى مميّز.

كما سجلت «القافلة» تطوّر أوجه الحياة في المملكة، فإنها سجلت أيضاً تطوّر صناعة النفط على مدى نصف قرن، الأمر الذي يظهر بوضوح من مقارنة هاتين الصورتين لمصفاة رأس تنورة كما كانت عام ١٣٦٣هـ وكما هي اليوم.

وهناك الاستطلاعات حول مرافق الشركة، وأخبار ما يطرأ عليها من عمليات تطوير وتوسعة. وكانت هذه الاستطلاعات كثيرة ما بين العامين ١٩٦٢م و ١٩٦٤م حين نشرت المجلة مجموعة كبيرة من الاستطلاعات تناولت مختلف الورش والأقسام في أرامكو: ورش تصنيع المعادن في رأس تنورة، قسم الصيانة والورش في بقيق، فرع تعبئة وقود الطيران في

دافنشي في أرامكو

ليوناردو دافنشي... فنان عصر النهضة الإيطالي، اشتهر كرسام ولكنه كان مخترعاً وواضعاً لأفكار آلات ومعدات كثيراً ما نراها في حياتنا اليومية.

أوردت «القافلة» هاتين الصورتين بمقارنة ذكية لتصميم رافعة من أعمال دافنشي وصورة لرافعة حديثة تستخدمها أرامكو في أعوام الثمانينيات الهجرية.

وجاء في المقالة التي تطرقت لذلك: «أوجد دافنشي القواعد الأولية للروافع والونشات والبكرات والمقاييس وضغط البخار والمسن العدسي، وحزام الغوص ومكيفات الهواء والمسرح الدوّار... وتعتبر عمليات الزيت بأرامكو مثالاً جيداً للقول: أينما تدور عجلة من عجلات الصناعة تكون يد دافنشي المرشدة خلفها».

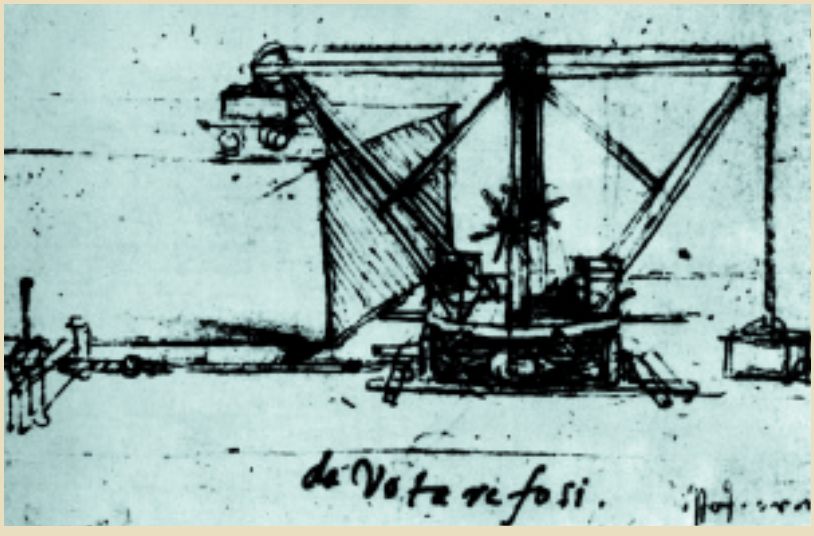

تصميم لجهاز رافع من صنع دافنشي

هذه الرافعة الضخمة التي تستخدمها أرامكو تعمل بنفس الطريقة التي توصل إليها دافنشي بذكائه الفذ

بالاستطلاع الذي كتبه علي المرهون حول «تطوّر أساليب التنقيب عن الزيت والغاز في المملكة» (محرم ١٤١٤هـ)، للاحظنا فارقاً كبيراً بينهما. فالمقالة الأولى كانت مبسطة جداً، الأمر الذي يكشف لنا أن معظم الموظفين في الشركة كانوا آنذاك في مرحلة التدريب، واستكشاف هذا العالم الجديد. أما المقالة الثانية فكانت علمية ودقيقة، تؤكد أن القارئ الجديد صار يطلب مزيداً من التفاصيل الدقيقة.

والمرّات التي احتلت فيها صناعة الزيت غلاف «القافلة»، لم تكن كثيرة كما قد يعتقد البعض. وغالباً ما كانت موضوعات الغلاف هذه مرتبطة بمناسبة مرور عدد من السنوات على تأسيس الشركة، فيصدر عدد خاص للمناسبة، أو يكون موضوع الغلاف مرتبطاً بحدث في عالم الزيت ذي أصداء على الصعيد الوطني بأسره، كتدشين مرافق حقل الشيبة العملاق في الربع الخالي (محرم ١٤٢٠هـ).

إلى ذلك، تابعت «القافلة» باستطلاعاتها نشاطات الشركة في مجالات عدة منها البيئة التي سنعود إليها لاحقاً والإسكان، حيث تطالعنا على سبيل المثال عناوين مثل «أربعة آلاف منزل» (ذو القعدة ١٣٨٢هـ)، ومن متن النص نفهم أن آلاف المنازل هذه هي ما بنته أو اشترته أرامكو حتى آنذاك في مدينة العمال في الدمام بموجب برنامجها الإسكاني الخاص.

ومن الموضوعات اللافتة للنظر في هذا المجال «معرض أرامكو السعودية في الظهران» (ربيع الأول ١٤٢١هـ)، والذي نكتشفُ من خلاله أن هذا المعرض هو في الواقع متحف تاريخي خاص يقدم صورة كاملة وواضحة لبيعة الزيت وصناعته في المملكة العربية السعودية، وبأكثر الأساليب ية تطوراً وحداثة وإمتاعاً للزائر، بحيث أن عدد الذين يزورونه سنوياً ومن الطلاب فقط، يصل إلى ٥٠،٠٠٠ طالب من جميع المراحل التعليمية. ومن «غرائب» ما جاء في الاستطلاع المذكور أيضاً أنه وفي كل عام تنطلق منه ست شاحنات تمثل ست مكتبات متنقلة محملة بالكتب المفيدة، وتزور ٥٠٠ موقع في جميع أنحاء المملكة توزع خلالها ما يقارب ١٥٠،٠٠٠ كتاب على ٧٠،٠٠٠ طالب!!

ولا يجوز الخروج من صفحات صناعة الزيت في مجلة «القافلة» من دون الإشارة إلى أهمية ما ازدانت به دائماً من صور فوتوغرافية رائعة. ولأن ما كان في الماضي جزءاً من الحياة اليومية، صار اليوم تاريخاً، فإن هذه الصور اكتسبت بمرور الوقت قيمة أخرى إضافة إلى قيمتها الفنية، ألا وهي تحولها إلى وثائق تاريخية وشهادات على الماضي.

الماضي؟ وماذا عن الماضي قبل اكتشاف الزيت؟

مجموعة من العاملين على سطح إحدى ناقلات الزيت الحديثة التي تقوم بتشغيلها شركة فيلا البحرية العالمية المحدودة التابعة لأرامكو السعودية. (شوال ١٤٢١هـ)

جاء في التعليق الأصلي على هذه الصورة التي نشرت في العدد الأول من «القافلة» الآتي حرفياً: «حسن بن عبدالكريم من بيشة وهو أحد مناظري العمال المقاولين. بدأ عمله الحالي منذ ٦ سنوات. وقد عمل قبلها ٨ سنوات في الحجاز حيث تعلّم القراءة والكتابة وقيادة السيارات». (صفر ١٣٧٣هـ)

ومخاطر الغوص... وغير ذلك الكثير. إلى أن يصل الكاتب إلى الفصل الأخير من هذه الملحمة فيقول: «جاء اكتشاف النفط في منطقة الخليج ليضع الفصل الأخير في رواية هذه الصناعة، إذ ما أن حطّت شركات النفط الأجنبية رحالها على شواطئ الخليج الحالمة، وبدأت عمليات التنقيب عن النفط، حتى تدافع إليها الكثير من البحّارة والعاملين بمهن البحر المختلفة للعمل لديها، إذ وجدوا فيها عملاً مضموناً وأكثر استقراراً وأجزل عطاءً، وأكثر سلامة. وقد ابتدأ ذلك في البحرين عام ١٩٣٢م، حيث اكتشف البترول هناك، ثم تكرر المشهد نفسه في الساحل الشرقي من المملكة العربية السعودية، حيث اكتشف البترول عام ١٩٣٦م، ثم في باقي دول الخليج، كالكويت والإمارات، وقطر وأخيراً عمان... وبذلك سُلِبَت هذه الصناعة أهم مقوّمات وجودها وهم «البحّارة»، فانتكست معالمها ورموزها...»

وللذين لم يستوقفهم الحديث عن اللؤلؤ إلا لولعهم بجماله وبالمجوهرات، نشير إلى أن مقالات عدّة نشرت في «القافلة» حول الحجارة الكريمة مثل «الماس» بقلم أحمد الحنجل (جمادى الآخرة ١٤١٢هـ) و «الكهرمان» بقلم د.أحمد المهندس (شوّال ١٤١٤هـ)، مروراً بالفيروز والعنبر. ومعظم ما جاء في هذه المقالات كان بأسلوب صحفي مبسط يروي تاريخ هذا الحجر الكريم أو ذاك ومميزّاته.

طبقات اللؤلؤ

تتفاوت أثمان اللآلئ حسب جودتها واستدارتها وجمالها. وتتدرج أثمانها من هذه الناحية على النحو الآتي:

- «الجيوان»، وهي من أجمل اللآلئ، فهي كاملة الاستدارة وتمتاز بالبريق واللمعان ولونها أبيض تشوبه حمره.
- «الخشن»، ويأتي في المرتبة الثانية بعد الجيوان وهو أصغر حجماً.
- «القولواه»، وهي لؤلؤة صافية ولامعة ولكنها غير مستديرة.
- «البدلة»، لها أشكال مختلفة وبها رصعة أحياناً، وتكون بيضاوية الشكل أو نصف كروية.
- «الناعم»، اللؤلؤ الصغير الجيد الذي يباع بالجملة.
- «البوكة»، لؤلؤة غير كاملة الاستدارة، مختلفة الأشكال والألوان. وحجمها صغير.
- «الفصوص»، لآلئ ملتصقة بالمحارة وتحتاج لمهارة دقيقة لتخليصها من الصدفة.

من استطلاع بقلم علي المرهون (ربيع الآخر ١٤٠٩هـ).

اللؤلؤ... من نمط العيش قبل الزيت

عندما كنا نتصفح القصص القصيرة في «القافلة»، استوقفتنا ملاحظة أن عدداً منها يدور حول عالم اللؤلؤ وصيده. ومن هذه القصص «اللؤلؤة الفريدة» بقلم قدري قلعجي (شعبان ١٣٨٤هـ)، «رأس المحار» (رجب ١٤٠١هـ) و «عودة اللؤلؤة» (رمضان ١٤٠٣هـ) بقلم الأديب الكويتي منذر الشعار.

هذه الصورة التي تظهر غواصاً يطفو وفي يده محارة، والتي تعود إلى العام ١٣٧٧هـ، تحوّلت إلى مصدر وحي لدى العديد من الفنانين، الذين رسموها لتزيين عدد من القصص القصيرة حول صيد اللؤلؤ نشرت لاحقاً في «القافلة» في شعبان ١٣٨٤هـ، وجمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

أخذتنا هذه القصص في رحلات صيد متخيَّلة مع صيادي اللؤلؤ إلى أعماق الخليج، والحكايا والمفارقات العجيبة التي يمكن أن يعيشها الباحثون عن هذه الحبيبات الكريمة. وتعلّمنا من هذه القصص بعض المفردات الخاصة بهم، وأسماء وظائفهم المختلفة على سطح الزورق أو تحت الماء أو في الأسواق. ولكن أهم ما عرفناه من هذه القصص هو أن استخراج اللؤلؤ في الخليج العربي «لم يكن مورداً معيشياً واقتصادياً فقط»... بل كان نمطاً من أنماط العيش، وأسلوباً من أساليب الحياة قبل اكتشاف الزيت.

وما بين أهمية اللؤلؤ كمعلم من معالم الحياة القديمة في الخليج، والتشويق الذي تتضمنه رحلات صيده، وجمال هذه الحبيبات الساحرة بلونها اللبني الذي يلمع من دون أن يضيء، كان من الطبيعي أن يظهر اللؤلؤ موضوعاً لعدد كبير من المقالات والاستطلاعات على صفحات المجلة.

من هذه الاستطلاعات على سبيل المثال «اللؤلؤ» (ذو القعدة ١٣٧٧هـ). وعلى الرغم من أن كاتبه رافق الصيادين في رحلة مشوّقة، فإنه لم يوقع اسمه. ومنها أيضاً «لآلئ الخليج العربي، إطلالة على صناعة الغوص وتجارة اللؤلؤ» بقلم عصام ضياء الدين السيّد (جمادى الأولى ١٤٠٥هـ). غير أن أوسع هذه التحقيقات وأكثرها شمولية كان بقلم علي المرهون وبعنوان «صناعة استخراج اللؤلؤ» (ربيع الآخر ١٤٠٩هـ).

منظر خلفي لأحد الزوارق التي كانت تستعمل في رحلات صيد اللؤلؤ في الخليج العربي، وتعود إلى أول الاستطلاعات عن هذه الصناعة. (ذو القعدة ١٣٧٧هـ)

فقد تضمنت هذه المقالة عرضاً لماهية اللؤلؤ، ومغاصاته (أي أماكن وجوده)، وطرق الغوص، وتصنيف هذه الحبيبات الثمينة، وأوزانها، وأسمائها، وتسويق اللؤلؤ، وأثره على الاقتصاد في الخليج العربي،

التراث والعلوم المعاصرة

تلازم أضاء درب «القافلة»

منذ منتصف القرن العشرين، اتخذت مسألة التراث والمعاصرة في أماكن كثيرة بعداً صدامياً - إذا جاز التعبير. والجدال النظري حول ما يتوجب أخذه من التراث وكيفية التعامل معه من جهة والأشكال الممكنة أو المطلوبة لتعاملنا مع مواضيع العصر، جرف في طريقه العديد من المنابر الإعلامية وخاصة المجلات الثقافية.

أما في «القافلة» فلا نجد أثراً يستحق الذكر للجدل الذي قام على الصعد النظرية. ما نجده هو تطبيق عملي للحل السليم في التعامل مع التراث والحداثة، بكل ما في التراث من عشرات ومئات العناوين الفرعية، التي لا تزال ترسم قيمنا وأخلاقنا وعاداتنا ونظرتنا إلى الحياة والكون، وتنير بِعِبَر الماضي المجيد ما يبدد الظلام من حول الأجوبة التي تطرحها حياتنا العصرية، وأيضاً في التعامل مع العلوم والاهتمامات التي استجدت في زماننا بحد ذاتها. ويأتي في طليعة الموضوعات المنيرة لمسار «القافلة» تراثنا الروحي.

الدراسات والموضوعات الإسلامية

عندما اتخذت «القافلة» قرارها بأن توسّع دائرة تحريرها، وأرادت لهذه الغاية أن تستكتب ألمع الأقلام العربية، وكان ذلك في السنة الثانية من عمرها، وجدناها تتوجه إلى مفتي الديار المصرية آنذاك الشيخ حسن مأمون وإلى المفكر المعروف الدكتور محمد حسين هيكل، رحمهما الله.

الدكتور محمد عمارة، لا يزال حتى اليوم من كبار كتّاب «القافلة» في الموضوعات الإسلامية

استجاب الإثنان، وفي عدد ذي الحجة ١٣٧٤هـ نشرت مقالتان للمفتي مأمون والدكتور هيكل، الأولى بعنوان «العدالة الاجتماعية في الإسلام» والثانية بعنوان «حكمة الحج أمس واليوم».

كان ذلك كما أشرنا في شهر ذي الحجة، أي أن هاتين المقالتين ارتبطتا بمناسبة موسم الحج وعيد الأضحى المبارك. والواقع أنه ترسخت منذ ذلك الحين مجموعة تقاليد صارت جزءاً من شخصية المجلة، ومنها أن يتضمن عدد شهر رمضان المبارك من كل عام تقريباً موضوعاً عن جانب معين من جوانب فريضة الصيام، كما أن عدد ذي الحجة يتضمن عادة موضوعاً عن فريضة الحج، وغالباً ما احتل هذا الموضوع غلاف العدد إما بصورة للحجيج، أو للحرمين الشريفين، مع تنوع يستحيل حصره في مضامين هذه المقالات.

اللؤلؤ في يد التاجر

غير أن هناك مجموعة من المقالات طغى عليها الطابع العلمي البحت مثل «طرق معالجة الأحجار الكريمة» (جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ) حيث يعرض لنا أحمد السويكت الأساليب المخبرية لتحسين نوعية الأحجار الكريمة (العبث بألوانها الأصلية... أليس كذلك؟).

ومن أغرب ما جاء في هذا المجال العلمي ما قرأناه عن «الفيروز» بقلم د. المهندس (ربيع الأول ١٤١٦هـ)، ومفاده أنه: «عندما يسحق هذا المعدن ويسخّن، فإنه يصبح قابلاً للذوبان في حمض الهيدروكلوريك!...؟» الأمر الذي يدعونا إلى التوقف عند هذا الحد، لأننا لا نعرف أحداً يمتلك فصاً من الفيروز ويرغب في سحقه وتسخينه وتذويبه في حمض الهيدروكلوريك...

أدب، شعر، مدن، مناطق، والآن الكيمياء ويصبح من حقنا هنا أن نتساءل عن الخيط الذي يجمع حبات العُقد الذي يزين عنق «القافلة»، وعلى أي أساس قام هذا التنوع في المجلة، بعد أن بتنا متأكدين أنه لم يأت بشكل عشوائي بل يبدو مترابطاً ومتماسكاً، ومختاراً بعناية فائقة.

أين تجد اللؤلؤ؟

في محلات المجوهرات طبعاً... أما في البحر فإن أهم مغاصات اللؤلؤ هي الواقعة على السواحل الغربية للخليج، وأغناها يقع في شمال وشرق البحرين. وقيل أنه كان يوجد بكثرة في الحزام الممتد قرب ساحل عُمان ويسير في اتجاه الشمال ثم ينحني على بعد ٢٠ أو ٣٠ ميلاً من أقرب موقع على الأرض حول قطر وأرخبيل البحرين، ثم يأخذ الحزام في التناقص شمال جزر البحرين.

ويتوالد صدف اللؤلؤ في المياه التي يتراوح عمقها ما بين ٦٠ و ٩٠ قدماً وما بين ١٢٠ و ١٣٠ قدماً، كما توجد بعض الروابي المرتفعة تحت الماء على عمق يتراوح بين ١٢ و ٢٤ قدماً...

ولقد جرى من قبل تقسيم مغاصات اللؤلؤ في الخليج إلى قسمين: الأول ما بين رأس تنورة ودبي، والثاني ما بين الكويت ورأس تنورة. وأمكن حصر ١٨٤ مغاصاً في الأول، و٥٥ مغاصاً في الثاني. وتسمى تلك الجهات عموماً «هيرات» جمع هير.

من تحقيق بقلم
عصام ضياء الدين السيد
(جمادى الأولى ١٤٠٥هـ)

«الفلسفة الإسلامية عند ابن تيمية» (ذو الحجة ١٣٨٦هـ)، حيث يعرض لنا الدكتور زكي المحاسني ما قام به ابن تيمية على صعيد تحرير الفلسفة الإسلامية من المؤثرات اليونانية التي كانت قد طرأت عليها وشابتها طوال قرون عدة.

ومن المقالات الكلاسيكية أيضاً ما دار حول الفرائض والأحكام مثل «الزكاة في الإسلام ودورها في خدمة المجتمع» بقلم الدكتور أحمد جمال العمري، الذي كتب أيضاً حول «الجهاد في الإسلام» (ذو الحجة ١٤٠١هـ).

وفي العقدين الأخيرين كثرت بشكل بارز المقالات التي تبحث في قضايا يطرحها العالم المعاصر وذلك من وجهة نظر الإسلام وأحكامه، مثل «الالتقاء بين الإسلام ومواثيق حقوق الإنسان» للدكتور أحمد عبدالرحمن (شعبان ١٤١٦هـ)، و «الانتماء الإسلامي والوطني والقومي تكامل أم تناقض؟» للدكتور محمد عمارة. والدكتور عمارة لا يزال حتى اليوم واحداً من كبار كتّاب «القافلة» في الموضوعات الإسلامية.

على صعيد آخر، كان من الطبيعي أن يتناول عدد كبير من المقالات والاستطلاعات فريضة الحج والمشاعر المقدسة من زوايا مختلفة وعلى صعد متعددة. ومن هذه الموضوعات الخاصة بفريضة الحج ومواسمه ما يدخل في جوهر عقيدتنا الإسلامية، مثل مقالة الدكتور عمارة «دور الحج في ربط أمة الرسالة بمركز واحد» (ذو الحجة ١٤٢١هـ). ومنها ما يطغى عليه الطابع الصحافي، أو الأدبي، ومن أبرز الذين كتبوا في هذا المجال الأنصاري: «من ذكريات الحج» (ذو الحجة ١٣٧٨هـ)، والأستاذ أحمد السباعي الذي يروي لنا «يوم بنيت مكة» (جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ)، أو «آبار مكة وعيونها» (صفر ١٣٨٢هـ).

ونصل أخيراً إلى طائفة من الاستطلاعات التي لا يمكن إغفالها لأهميتها الصحافية والتثقيفية، ولا تدخل في الواقع تحت عنوان التراث الروحي، بقدر ما هي من المعالم المادية لهذا التراث، ولا يجمع بينها سوى ظهورها الملائم على صفحات «القافلة» لمناسبة مواسم الحج.

ومن أبرز الذين كتبوا في هذا المجال الدكتور أحمد المهندس الذي بحث في «ماء زمزم... الأمن المائي وصحة الحجيج» (محرم ١٤١٤هـ)، وخالد الطويلي الذي عرض لنا «مهنة الطوافة... رحلة طويلة عبر تاريخ الحج» (ذو الحجة ١٤٢١هـ)، وفي الشهر نفسه من العام التالي كان الطويلي على موعد مع استطلاع آخر حول «مسألة النظافة في الحرمين الشريفين»، كما يستوقفنا في المجال نفسه استطلاع واسع قامت به هيئة تحرير المجلة ونشرته في ذي الحجة ١٤١٩هـ حول عناية الحكومة بالمشاعر المقدسة والمشروعات التطويرية... وإلى ذلك مما يصعب حصره أو تعداده.

◄ شكلت الدراسات في القرآن الكريم القسم الأكبر من الدراسات الإسلامية على صفحات «القافلة».

◄ لوحة زيتية للكعبة المشرفة على غلاف «القافلة». (ذو الحجة ١٣٨١هـ)

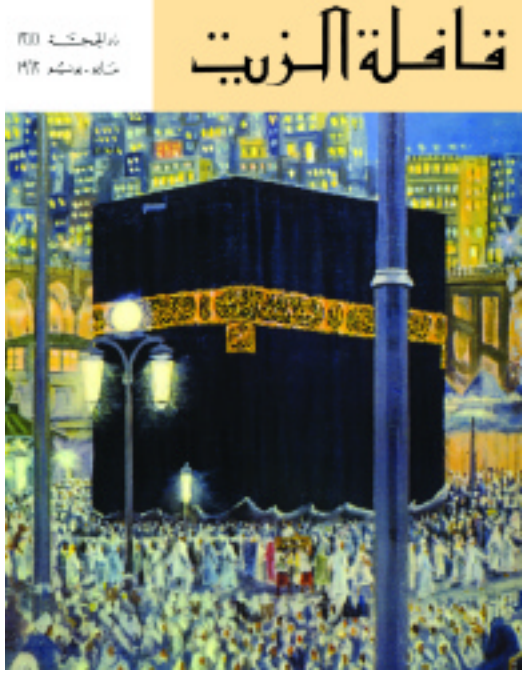

وماذا عن باقي أشهر السنة؟

يمكن الجزم بسهولة أن هناك ما يزيد على ٨٠ في المائة من أعداد «القافلة» كانت الموضوعات الإسلامية تحتل فيها الصفحات الأولى. وتنوعت هذه الموضوعات تنوعاً كبيراً، فبعضها كان دراسات في القرآن الكريم، وبعضها الآخر كان مخصصاً لسرد فصل من حياة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وبعضها عن أركان الإسلام وأحكامه، وآخر في الفلسفة وصولاً إلى طائفة كبيرة من المقالات التاريخية والاستطلاعات المرتبطة بشكل أو بآخر بمواسم الحج والأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

حجاج من سومطرة مع اثنين من مندوبي مطوّفهم. من استطلاع حول «مهنة الطوافة... رحلة طويلة عبر تاريخ الحج». (ذو الحجة ١٤٢١هـ)

فمن الدراسات في القرآن الكريم نذكر على سبيل المثال مقالة «كُتِبَ عليكم الصيام» (رمضان ١٣٨٦هـ) للكاتب السعودي المعروف محمد حسين زيدان الذي يحلل في مقالته الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلِكم لعلكم تتقون﴾ متسائلاً ومن ثم مفسراً لماذا لم يأت النص البياني في القرآن الكريم بـ «فُرِضَ» بدلاً من «كُتِبَ».

وفي مقالة بعنوان «في القرآن من كل لسان» (رمضان ١٣٩٦هـ) حاول سميح أبو مغلي أن يجيب عن السؤال عما إذا كانت في القرآن الكريم كلمات أو ألفاظ أعجمية. وبعد أن يستعرض الجدل التاريخي الذي قام بين العلماء، ينتهي إلى التأكيد أنه وإن كان في القرآن الكريم بعض الكلمات الأعجمية الأصل، فإن هذه الكلمات كانت قد راجت على ألسنة العرب منذ وقت طويل قبل الإسلام، وأصبحت جزءاً من اللغة العربية قبل ظهور الدعوة.

وهناك أيضاً «الإيقاع الصوتي والتناسق الفني في القرآن العظيم» (محرم ١٣٩٩هـ) للدكتور أحمد جمال العمري. وإضافة إلى عدة مقالات حول الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، استوقفتنا سلسلة طويلة من الأبحاث بعنوان «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» كتبها الدكتور زغلول راغب النجار، ونشرها بشكل متقطع على مدى العقد الأخير.

«أثر الحج في توحيد الأمة»، من أهم الموضوعات الإسلامية على صفحات المجلة

ومن الذين كتبوا في تاريخ الدعوة الإسلامية وفجر الإسلام، عبدالقدوس الأنصاري «حجة الوداع» (ذو الحجة ١٣٨٢هـ)، والدكتور جابر قميحة «الهجرة النبوية... عبقرية الحدث وإنشاء الدولة» (محرم ١٤١٤هـ)، والدكتور محمد عبده يماني «الرسول، صلّى الله عليه وسلم، في رمضان» (رمضان ١٤١٥هـ).

ومع أن الفلسفة لم تحظ بمساحة كبيرة نسبياً (وربما مرد ذلك أنها تخرج عن اهتمامات قارئ مجلة ثقافية)، فيمكننا أن نجد بعض المقالات اللافتة في أهمية موضوعها والمعالجة بأسلوب مبسّط وواضح مثل

الفنون الإسلامية

ويتجلى التراث العربي والإسلامي بأبهى صوره أمام العين، وليس الذهن فقط، في المجموعة الكبيرة من المقالات والاستطلاعات حول الفنون الإسلامية، وما يرافقها من صور تحبس الأنفاس بجمالها.

قنديل زجاجي مطلي بالألوان والميناء يدل على ازدهار فن التوريق إبّان العهد المملوكي. (رجب ١٤٠٣هـ)

فنون الزخرفة

الزخارف الإسلامية الأموية ثم العباسية في صفر وشعبان ١٣٨٢هـ بقلم الدكتور عبدالرحمن زكي. ومن ثم الحلي البدوية، صناعة الخزف العربي في الأندلس، المشكاوات، فن التوريق العربي، روائع الفن المملوكي، الخزف الإسلامي وصولاً إلى فن العمارة.

معظم هذه الموضوعات نشر على صفحات «القافلة» من دون مناسبة محددة. بل لكونه جزءاً من تراثنا وشخصيتنا الثقافية والحضارية. ولكن، ومن جهة أخرى، لم تفوّت «القافلة» فرصة في النشاط الملحوظ

من تراث العرب

في النصف الأول من الثمانينيات الميلادية، كانت هناك زاوية ثابتة على صفحات «القافلة»، احتلت تارة نصف صفحة وأحياناً صفحة كاملة بعنوان «من تراث العرب». وفي ما يأتي بعض المختارات التي تعطي فكرة عما كانت تتضمنه:

- قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».
- قال سهل بن هارون: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم.
- قال عبدالله بن مسلم بن قتيبة: من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً، ومن أراد أن يكون أديباً فليتفنن في العلوم.
- قال معاوية: كل الناس يمكن إرضاؤهم إلا حاسد النعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها.
- قال بعضهم: إياك وكثرة الغضب، فإنها تصيّرك إلى ذل الاعتذار.
- قال الشعار: تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي سورة المستنفر الحامي.
- قال عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعرف خير الشرير.

(والقول الأخير ظهر في عدد ربيع الآخر ٢٨٣١هـ إلا أنه عاد وظهر نفسه بعد شهرين، منسوباً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

وفي فضاء التراث السحيق

إذا كانت المقالات الإسلامية تتوجه إلى عقل القارئ وروحه، فهناك مئات المقالات التي تسبح في فضاء التراث العربي والإسلامي، وتتوجه حيناً إلى الذاكرة «كي لا ننسى» مثل تراجم الأعلام، وأحياناً إلى العين كي تبهرها بعظمة التراث الفني الإسلامي، أو إلى الذهن تتحداه في الارتقاء إلى مستوى السلف والعصور القديمة التي صاغها أو صاغته.

تراجم الأعلام من قادة التاريخ العربي والإسلامي

وهي كثيرة تبدأ بـ «الفاروق عمر بن الخطاب» رضي الله عنه (ذو القعدة ١٣٨٢هـ) بقلم إبراهيم الشنطي، وصولاً إلى الشيخ العلامة «محمد عبده» بقلم عزت إبراهيم (رمضان ١٣٨٥هـ)، مروراً بمشاهير القادة التاريخيين مثل خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، وعبدالرحمن الداخل، وسيف الدولة الحمداني، وأسامة بن منقذ وغيرهم.

واستوقفنا في هذه المجموعة مقالتان عن الخليفة العباسي هارون الرشيد كتبهما الدكتور محمد علي الهرفي من الدمام في ذي القعدة ١٤٠٦هـ، ومحرم من السنة التالية. المقالة الأولى تتحدث عن هارون الرشيد كما تصوّره السيرة الشعبية «ثرياً يغرق في النفيس من الأشياء ويتحلى بالجوهر ويعيش حياته في مجالس اللهو ويصاحب أحط رعاياه...». ويرد الهرفي ذلك إلى أن الشاعر أبا النوّاس كان معاصراً لهارون الرشيد وقد مدحه بالفعل في بعض قصائده... والكل يعلم أن في شخصية أبي النوّاس بعض الجوانب الماجنة، لذا كان من الطبيعي «أن يمزج الوجدان الشعبي ما بين الاثنين في حكايات ماجنة ترضي أذواق الناس وتدخل ألوان البهجة والسرور إلى نفوسهم».

ويعود الهرفي في مقالته الثانية ليقدم الصورة الحقيقية لهارون الرشيد كما رسمها ثقاة المؤرخين، وتظهره «عالماً ومجاهداً، وسّع رقعة الدولة الإسلامية وقاوم شتى الانحرافات حتى قبضه الله».

فن الزخرفة يتجلى في أبهى حلله وأرقى أشكاله على صفحات القرآن الكريم

فن العمارة التاريخية والتقليدية في المملكة والوطن العربي

وتشمل المقالات التي تناولت هذا الفن معظم معالمه المعروفة في الوطن العربي، وتدخل في الكثير من التفاصيل والأمثلة من داخل المملكة الغنية جداً بالمعالم المعمارية الإسلامية القديمة والحديثة.

من الوطن العربي والعالم الإسلامي نجد الكثير الذي يتراوح ما بين «الأيوبيون ومآثرهم العمرانية» بقلم أكرم ساطع (جمادى الأولى ١٣٨٧هـ)، والعمارة الإسلامية المعاصرة في موضوع حول «جائزة الآغا خان للعمارة» الذي احتل غلاف العدد (جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ)، وتضمن أكثر من عشرين صورة لروائع الهندسة الإسلامية وما آلت إليه في القرن العشرين.

ونجد أيضاً على صفحات «القافلة» مقالات حول أشهر البنائين المسلمين مثل «سنان عبد المنّان» (ذو القعدة ١٤٠٠هـ) بقلم الدكتور عبدالرحمن زكي. وسنان هذا عاش في القرن السادس عشر الميلادي، ويعتبر بحق من أشهر البنائين المسلمين قاطبة، إذ صمّم وبنى عشرات المساجد في استانبول، ومن بينها جامع السليمانية الأعظم، والجامع الأزرق، إضافة إلى الجسر التاريخي الشهير على نهر درينا.

ويتوغل الحديث عن العمارة الإسلامية في صفحات أخرى إلى أعماق تفاصيلها، مثل مقالة بعنوان «المشربيات، من سمات فن البناء العربي القديم» بقلم زكريا البنا (شعبان ١٣٩٥هـ)، أو «الحرف اليدوية في العمارة الإسلامية» بقلم عبدالله خيرت (ذو القعدة ١٤١٦هـ). والمقال الأخير هو في الواقع تسجيل لندوة عقدت في القاهرة حول هذا الموضوع.

أما فن العمارة الإسلامية في المملكة، ورغم أننا شاهدنا الكثير منه في الاستطلاعات المصوّرة حول المدن والمناطق، فإنه حظي بعدد كبير من المقالات الخاصة به.

بعض هذه المقالات تناول أشهر المعالم وأهمها مثل تاريخ المساجد وعمارتها في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكثيرون هم الذين كتبوا فيها من الدكتور جابر الأنصاري إلى إبراهيم الشنطي من هيئة التحرير.

وبعض هذه المقالات تناول جوانب ومعالم تكاد أن تكون مجهولة تماماً لعموم القراء، فأتى بالغ التشويق، مثل «التراث المعماري المحلي» (شعبان ١٤٠٩هـ) حيث يعرض لنا علي المرهون العوامل المناخية والاقتصادية والأمنية التي حددت ملامح العمارة التقليدية في المملكة، وازدانت مقالته بمجموعة صور التقطها علي المبارك لنماذج مجهولة من الأبنية التراثية، فهنا مسجد صغير وقديم تهدّم نصفه. وهناك بيت من جريد وسعف النخل، أو زخارف جصية أو خشبية متواضعة، أو كتابة بخط الثلث وغير

العمارة الإسلامية المعاصرة على غلاف المجلة. (جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ)

من النماذج المعمارية الحديثة التي تقترب في صورها من اللوحات الفنية

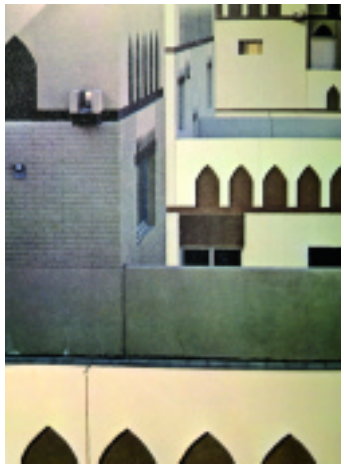

الذي عرفه عالم الفنون الإسلامية في العقود الأخيرة، إلا واستفادت منها لتنقل القراء إلى أجواء هذا النشاط.

فعندما أقامت «الهيئة العامة لتطوير مدينة الرياض» في العام ١٤١٢هـ معرضاً للأسلحة التاريخية التي استخدمها المسلمون أو غنموها في حروبهم تحت عنوان «ملامح من التراث العسكري»، كان أحمد عابد شيخ من هيئة التحرير في طليعة الزائرين. المعرض انتهى، ولكن المقالة بقيت، وحفظت لنا الكثير من المعلومات عن صناعة السيوف والخناجر والدروع وست عشرة صورة لنماذج من المعروضات.

الأمر نفسه ينطبق على كتاب «زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين» الذي ما أن صدر عن «مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية» حتى تناوله محمد الدميني في مقالة عرضت لمحتويات الكتاب، وتضمنت عرضاً لمجموعة منتقاة من أروع الصور التي اشتمل عليها، وتمثل عينات من فن الزخرفة الإسلامية.

ولو أخذنا السيف فقط كمثال، لوجدناه موضوع أكثر من استطلاع غير المقالة عن التراث العسكري التي أشرنا إليها أعلاه. فقد عرض لنا الدكتور عبدالرحمن زكي تاريخ السيف الإسلامي المستقيم منه والمقوس، وأصنافه، وتلوّن أنواعه وأشكاله ما بين الهند شرقاً والأندلس غرباً، وعرض لنا أسماء كل نوع منها (ذو القعدة ١٣٩٩هـ). وبعده بثلاثة وعشرين عاماً عاد الدكتور وفيق صفوت مختار ليحدثنا عن «السيف العربي جوهر البطولة... وعبقرية الصناعة». (جمادى الأولى ١٤٢٢هـ).

وإذا كان الدكتور زكي قد بدأ مقالته بإشارة متشائمة تقول إن «السيف فقد اليوم المكانة والأهمية في الصراع...» وتابع حديثه العلمي عن السيف باعتباره جزءاً من الماضي، فإن مقالة الدكتور مختار كانت أكثر تفاؤلاً وإشراقاً، وحملت على صفحتها الأولى صورة مجموعة من الرجال يلوّحون بسيوفهم وهم يؤدون رقصة «العرضة» في مهرجان الجنادرية، ومن ثم عرضت لنا مجموعة من الصور للسيوف التي لا تزال تنبض بالحياة، والمحلاة بالذهب والفضة، والعاج.

علاقة برونزية بباب الغفران في مسجد إشبيلية. (محرم ١٤٠٤هـ)

زخرف يزيّن مقال الدكتور نقولا زيادة عن جامع الزيتونة. (مايو ١٩٧٤م)

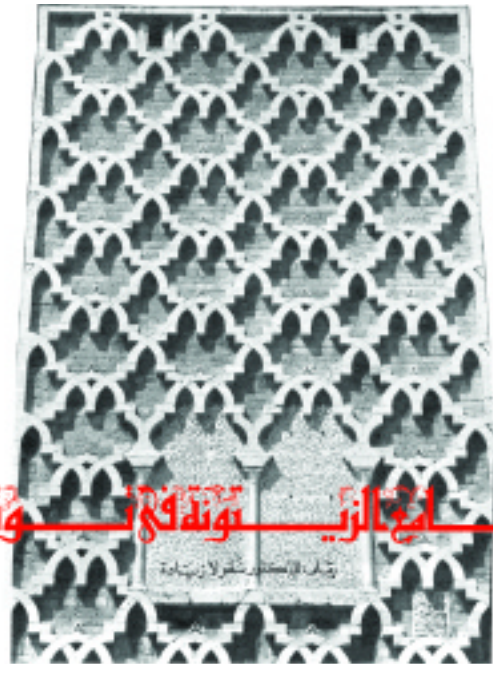

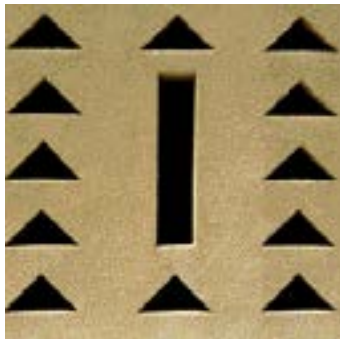

نوافذ حديثة شيّدت على الطراز النجدي القديم

ذلك من العناصر التي تشكلت منها شخصية العمارة التقليدية في المملكة، مع توقف لافت في منطقة الأحساء.

ويبدو أن لمنطقة الأحساء مكانة مميّزة في هذا الميدان، بدليل أن عمارتها التقليدية كانت موضوع استطلاع آخر خصّها به علي عثمان الناجم (صفر ١٤١١هـ)، وكشف فيه ما تتمتع به من قدرات وخصائص تساعد على حلّ إشكالية استعمال الطاقة الكهربائية في التبريد والتهوئة والإنارة وما شابه...

وللعمارة الحديثة وفن تجميل المدن مساحتهما المستقلة أيضاً. فها هو يعقوب سلاّم يعرض لنا بالنص والصورة مجموعة من المساجد الحديثة في المملكة (جمادى الأولى ١٤٠٨هـ). وتجمع هذه المساجد بين خصائص الفن المعماري الإسلامي العريق، والفن المعماري الحديث، وقد بنيت كلها في الربع الأخير من القرن العشرين. كما شهدت الفترة نفسها، كما نفهم من هذه المقالة، إنشاء العديد من المساجد ذات الطرز المعروفة كالطراز المملوكي والتركي والفاطمي والسعودي القديم الذي يشبه القلاع، إلا أنها كلها تنشد الجمال والبساطة إضافة إلى متانة البناء.

فن المشربية الذي راج في المنطقة الغربية من المملكة ليصبح نمطاً معمارياً فريداً في المباني التقليدية

ومباشرة بعد سلاّم بشهر واحد، عرض لنا الشنطي موضوع تجميل المدن في المملكة، بما في ذلك من مجسمات جميلة ارتفعت في ساحات المدن. وقد يكون أجملها مجسم يمثل الآية الكريمة ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، ورفع مقابل بلدية الحرم المكي، والمجسّمات التي تعلوها نافورة ماء في حديقة الأمير سعود بن جلوي في الحُبَر.

الفط العربي...
عنوان وموضوع

مهما تسرّع من يتصفح مجلدات «القافلة» الخمسين، لا بد وأن تستوقفه عشرات الصفحات المزدانة بلوحات الخطوط العربية، والمنشورة ضمن مجموعة كبيرة من المقالات حول تاريخ هذا الفن وتطوره، والذي يعتبر من أرقى وأجمل الفنون العربية على الإطلاق.

فمنذ أن فتحت «القافلة» باب استكتاب كبار الاختصاصيين العرب في موضوعات معينة، ظهر الخط العربي واحداً من هذه المواضيع. وأول ما نُشِرَ في هذا المجال كان بعنوان «تاريخ الخط العربي منذ نشأته إلى اليوم» (ذو الحجة ١٣٧٦هـ) بقلم الأستاذ سيّد إبراهيم، مدرّس الخط بكلية دار العلوم (جامعة القاهرة) ومدرسة تحسين الخطوط.
وعرضت المقالة لجنور الخط العربي الذي نعرفه اليوم من خطوط نبطية وحيرية وأنبارية، وتطور فن الكتابة بعد الإسلام، وازدانت هذه المقالة بمجموعة رسوم تقارن ما بين الأحرف والخطوط المختلفة. ومرة أخرى تكرّ السبحة...

جان الكسان، سليمان نصر الله، عبدالجبار السامرائي من بغداد، هشام عدرة من سوريا، محمد الصادق عبداللطيف من تونس، سليمان عبدالله العنقري، من حائل وغيرهم... كلهم كتبوا في الخط العربي. ولا عجب في ذلك، فبحره الجميل لا ينضب.

كان قد جاء في مقالة سيّد إبراهيم، وفي فقرة واحدة أن «شيخ الخطّاطين العرب ابن مقلة الذي ولد في أواخر القرن الثالث للهجرة، كان أول من هندس الحروف العربية وأبعادها، وألّف من الأقلام أنواعاً ستة هي: الثلث، الريحان، الترقيع، المحقق، النسخ والرقاع». أما الذي يريد أن يتوسّع في ما أنجزه ابن مقلة فعليه بمقالة أديب كمال الدين الخاصة بهذا الفنان العظيم (ربيع الآخر ١٤١٨هـ).

واشترك عدد كبير من هذه الأبحاث والاستطلاعات في تعداد مدارس الخط العربي ومذاهبه، التي يعطينا فكرة عن تعدادها طارق محمود مراد في بحثه «الخط العربي أينما ظهر بهر» (ذو الحجة ١٤٢٠هـ). إذ كتب يقول إن سيمفونية الخط العربي «أخذت تتكامل بظهور الخط تلو الآخر». فكانت الأقلام الستة الرئيسية (الكوفي – النسخ – الثلث – الديواني – الفارسي – الرقعة)، وتفرّعت أنواع عديدة عن هذه الخطوط، حتى أن خط النسخ وحده تفرّع عنه أكثر من خمس عشرة خطاً منها:

سيّد ابراهيم، أستاذ الخط بكلية العلوم (جامعة القاهرة) ومدرسة تحسين الخطوط، وأول من كتب عن الخط العربي في «القافلة»، (ذو القعدة ١٣٧٦هـ)، علماً بأن سيّد إبراهيم هو أحد الأساتذة الذين تتلمذ على يديهم كامل البابا، خطاط «القافلة» الأول

وإذا كان القارئ قد لاحظ حتى الآن أن حديثنا كان مقتصراً على الفنون الإسلامية وتراثنا الخاص، فهذا لا يعني مطلقاً أن «القافلة» كانت منغلقة على التراث الفني العالمي الذي يعتبر بحق ملك الإنسانية جمعاء، بل إنها طرقت أبواب الفنون بدءاً «بنقوش الكهوف في عصور ما قبل التاريخ» بقلم آمال بغدادي (محرم ١٤٠٤هـ)، وصولاً إلى «مذاهب الفن الحديث» (ربيع الآخر ١٤١٦هـ)، وما بينهما يمكننا أن نجد موضوعات شتى مثل «تاريخ الأواني الخزفية والفخارية وتطورها» (جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ)، «تكوّن فن الزجاج وصناعته» (ذو الحجة ١٣٨٥هـ)، «الفنون التصويرية عبر التاريخ الأردني» (جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ)... إلخ.

لوحة لعنترة بن شداد بريشة الفنان أبو صبحي التناوي الفنان الشعبي السوري. (محرم ١٣٩٩هـ)

اللافت في موضوع الفنون هي الوفرة في المقالات التي تبحث بالفنون خلال مراحل زمنية معينة، أو في مجالات فنية محددة، أو دور الفنون في التاريخ الإنساني عموماً، مقابل ضآلة ملحوظة في المقالات التي خصصت لفنانين، أو الخاصة بالفنان الواحد وأعماله كما هو رائج في المجلات الثقافية العربية، باستثناء ما خصصته المجلة لفنانين معاصرين، مثل الفنان أبوصبحي التناوي ولوحاته المرسومة على الزجاج، والتي صارت من أجمل صفحات تراثنا الفني المعاصر، فخصّها سليمان نصر الله بمقالة من سبع صفحات (محرم ١٣٧٧هـ).

ومن الموضوعات التي استوقفتنا في هذا المجال كان واحداً حول «اللوحات الجميلة لبشير عباسي» (صفر ١٤١٩هـ)، فبعد ما بدت صور اللوحات أولاً وكأنها زيتية، لاحظنا عليها أرقاماً وأحرفاً عربية ولاتينية صغيرة تكاد لا تقرأ بالعين المجردة، وعند قراءتنا المقالة، فوجئنا بأن هذه اللوحات مصنوعة كلها من طوابع البريد. والمدهش أن كل لوحات عباسي موثقة بدقة لجهة عددها وموضوعاتها، وعدد الساعات التي استغرقها العمل على كل منها والذي يتراوح ما بين ٣٥٠ و٩٥٠ ساعة عمل.

صورة لوحة لبيكاسو... ضمن الحديث عن «مذاهب الفن الحديث». (ربيع الآخر ١٤١٦هـ)

وفي ختام هذه المحطة نشير إلى أن «القافلة» زارت عدداً كبيراً من المتاحف في الوطن العربي والعالم غير ما ذكرناه من متاحف في المملكة. وشملت زياراتها متحف البحرين الوطني (في شعبان ١٤٠٠هـ ومحرم ١٤١٢هـ)، ومرت بمتاحف المغرب العربي ضمن الاستطلاعات عن مدنه، حتى وصلت إلى «المتحف البريطاني» (ربيع الأول ١٤١٦هـ)، بعدما توقفت طويلاً أمام المتاحف السورية، الكبير منها مثل المتحف الوطني في دمشق (محرم ١٣٨١هـ) والمتوسط مثل متحف حلب (محرم ١٣٩٤هـ) والصغير نسبياً مثل متحف حماه (جمادى الأولى ١٣٩٤هـ).

وعلى المستوى نفسه الذي تعاملت به المجلة مع الفنون، تجلى اهتمامها بالتراث من خلال مجال آخر هو الكتاب والمكتبات.

لوحات مختلفة في مقالات عن الخط العربي

المحقق، المرسل، المقوّر، الديباج، الحلية، الطومار، المسلسل... «وما يزال الفنانون من الخطاطين يبتكرون من أشكال الخط وأساليبه جديداً كل يوم».

وما يخرج عن هذه التصنيفات الأساسية من فنون الخط، كان له أيضاً مجاله الرحب على صفحات «القافلة» مثل تلك المقالة المميزة بعنوان «جماليات الخط العربي» (رمضان ١٤١٥هـ) بقلم محمد عبداللطيف الذي يعتز برأي ابن خلدون القائل إن «خط أهل أفريقيا من أحسن خطوط أهل الأندلس». وللخط المغربي خمسة أشكال مختلفة، تستعرض المقالة نماذج منها.

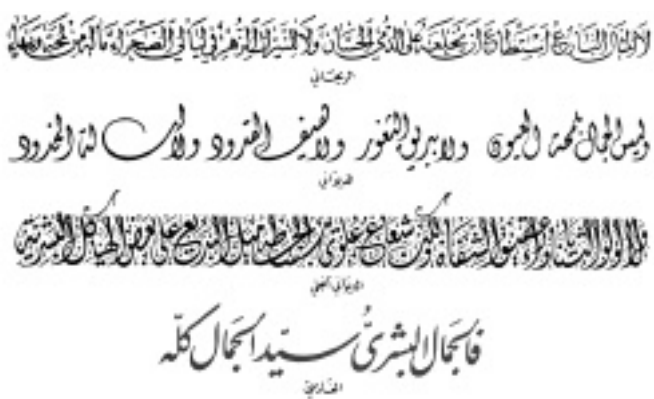

على كل حال، ومهما قيل في الخط العربي وفي جماله، يبقى الكلام مقصّراً عما يمكن أن تراه العين التي ندعوها إلى التأمل في هذه المجموعة من اللوحات المنتقاة من على صفحات «القافلة».

وفي غير ذلك من الفنون

إن جزءاً أساساً وكبيراً من الحرف اليدوية التي لا تزال ناشطة في الوطن العربي، يمثل في شكل من الأشكال ما آلت إليه بعض الفنون الإسلامية التقليدية. صحيح أن واقع بعضها غير مُرضٍ، ولكن الكثير منها يستحق الاحترام. هذا ما نعرفه، وهذا ما تؤكده لنا جولة «القافلة» على أسواق الحرف اليدوية في البلاد العربية من البحرين بقلم يوسف أبو بشيت (ربيع الآخر ١٤١٠هـ)، إلى المغرب (جمادى الآخرة ١٤١٣هـ)، مروراً بدمشق عاصمة الحرف اليدوية العربية (رمضان ١٣٩٤هـ) حيث توقف أبو العش أمام فن تطعيم المفروشات الخشبية بالصدف، هذا الفن الذي لا يزال مزدهراً، ويليق به أن يوضع إلى جانب الفنون الإسلامية التقليدية الراقية.

ابن مقلة

هو أبو علي بن الحسن بن عبدالله بن مقلة وزير وشاعر وخطاط. ولد ببغداد سنة ٢٧٢هـ، ولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء، المقتدر والقاهر والراضي. وفي وزارته الأخيرة استوزر معه ابن رائق الذي أصبح له النفوذ في كل شيء. ولم يكن للخليفة معه كلمة تطاع كما يقول ابن كثير.

وقد رضي الناس بابن مقلة أستاذاً في فنه ولكنهم لم يقبلوه وزيراً، فقطعت يده ولسانه وحبس. فكان كثير البكاء على يده التي يقول عنها: «كتبت بها القرآن مرتين وخدمت بها ثلاثة من الخلفاء، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص». وكان ينشد:

ليس بعد اليمين لذة عيش
يا حياتي بانت يميني فبيني

وظل في محبسه حتى مات سنة ٣٢٨هـ.

قافلة الزيت

قافلة الزيت

قافلة الزيت

قافلة الزيت

وخطوطها

اسم «القافلة» كما ظهر على غلافها تغير وتبدل أسلوب إخراجه ونوع الخط المكتوب به عبر مراحلها المختلفة متطوراً مع الذوق والنمط العام في كل مرحلة ليأخذ شكلها الأخير مع ظهور الصورة الجرافيكية الجديدة لأرامكو السعودية.

غطاط «القافلة» الأول

لمعرفة المكانة التي تبوأتها «القافلة» للخط العربي نشير إلى أنها عند صدورها قبل خمسين عاماً أوكلت مهمة خطوط المجلة إلى الخطاط الشهير كامل البابا الذي قام بها على أحسن وجه لمدة تزيد على العشرين عاماً.

والخطاط البابا الذي توفي في الرياض عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) من مواليد صيدا - لبنان، درس الخط على يد والده الشيخ سليم البابا أستاذ الخط في المدرسة السلطانية أيام العثمانيين في بيروت، ثم تابع دراسته في القاهرة على يد نجيب هواويني خطاط ملك مصر.

وعمل البابا أيضاً أستاذاً للخط في كلية بيروت الشرعية وفي معهد الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية. وله عدة مؤلفات في الخط، من أبرزها «روح الخط العربي». وعلى هذه الصفحة عينة من خطوطه الجميلة التي زانت بها صفحات المجلة. وتبع البابا خطاطون آخرون نقرأ من التواقيع أسماء مثل: مكي وحميد.

أكثر من ٨٣٠٠٠ مجلد، وصولاً إلى مكتبات الأحياء الصغيرة، مروراً بفرعي المكتبة الأولى في كل من بقيق ورأس تنورة وغيرهما...

وما بين هاتين المقالتين يمكننا أن نجد سلسلة مقالات حول مكتبات كبرى مثل «مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض» بقلم عادل أحمد الصادق (ربيع الأول ١٤١١هـ). وقد افتتحت هذه المكتبة رسمياً سنة ١٤٠٧هـ، بعد أن أنشئت سنة ١٤٠٥هـ بمبادرة من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وعلى نفقته الخاصة، هبةً منه للمواطنين.

وفي استطلاع حول المكتبات العامة في المملكة أعده إبراهيم الشنطي (صفر ١٤٠٧هـ)، يجول القارئ، على تاريخ المكتبات في الإسلام، ومن ثم على عدد كبير من المكتبات الحديثة في الرياض وجدّة والدمام والطائف. وتستوقفه مكتبة الحرم المكّي الشريف التي يعود تأسيسها إلى العام ١٢٦٢هـ (١٨٥٠م)، وتضم حوالي أربعين ألف عنوان مطبوع، وأربعة آلاف وخمسمائة مخطوط أصلي، وخمسمائة مخطوط مصور، ويرتادها ما بين ١٥٠ و٢٥٠ شخصاً يومياً.

ولم يفت «القافلة» أن تزور بعض المكتبات الكبرى خارج المملكة، فجالت بقلم فاضل السباعي على المكتبة الظاهرية في دمشق (ربيع الآخر ١٤٠٨هـ)، التي كانت قد تأسست عام ١٨٨١م في جزء من المدرسة التي بنيت أساساً في القرن الثالث عشر الميلادي لتضم ضريح أشهر سلاطين المماليك الملك الظاهر بيبرس. وحتى سنوات قليلة خلت، كانت هذه المكتبة تضم مائة ألف مجلد، واثني عشر ألف مخطوط. ولكن عند افتتاح

لوحة الشرف لافتتاح مبنى مكتبة الحرم المكي الشريف

مجموعات مكتبة الملك فهد الوطنية

تجاوز إجمالي مقتنيات المكتبة نصف مليون مادة منها المطبوع ومنها المخطوط والمصغرات والمسكوكات والمواد السمعية البصرية وأقراص الليزر. وتم الحصول على هذه المقتنيات عن طريق الشراء والإيداع والإهداء والتبادل أو بواسطة التصوير من الأفراد أو المكتبات الأخرى.

وهناك حوالي مائة ألف مادة متعلقة بالمملكة، وحوالي أربعين ألف مادة من الإنتاج الفكري السعودي بجميع اللغات وهي أكبر مجموعة من الإصدارات السعودية التي يمكن العثور عليها في أية مكتبة.

ويبلغ عدد المسكوكات العربية والإسلامية في المكتبة أكثر من ٣٢٠٠٠ مسكوكة، فيما يبلغ عدد الرسائل الجامعية التي أعدها طلبة سعوديون أكثر من ٤١٠٠٠ رسالة. ويتجاوز عدد المخطوطات والنوادر ثلاثة آلاف مادة أصلية. أما مصوّرات المخطوطات والكتب النادرة فتبلغ ٧٢٠٠٠ مادة من أهمها مخطوطات جامعة برنستون التي أصبحت متاحة للباحثين في المملكة... كما تقتني المكتبة حوالي ٥٨٠٠٠ مادة من الطوابع والخرائط والصور الفوتوغرافية القديمة والحديثة الخاصة بالمملكة...

من استطلاع: «الرياض تزهو بمكتبة الملك فهد الوطنية»
«القافلة» (ذو الحجة ١٤٢١هـ)

الكتاب والمكتبات

أعز مكان في الدنا سرج سابحٍ
وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ
المتنبي

حظي الكتاب في «القافلة» باهتمام لم يلق مثيلاً له في أية مجلة غير متخصصة أخرى، فقد تعددت الأبواب التي تعنى بالكتاب، حتى ضمن العدد الواحد أحياناً.

من هذه الأبواب «الحركة الأدبية في العالم العربي» الذي كان يُشرف عليه عبدالسلام هاشم حافظ في بداية الثمانينيات الهجرية من القرن الماضي، و«كتب مهداة»، الذي يتضمن أخبار الإصدارات العربية التي وصلت نسخ عنها إلى «القافلة»، و«من حصاد الكتب» و«كتاب الشهر» لمراجعة الإصدارات الحديثة التي تستدعي التوقف أمامها. ومثل هذا الاهتمام بالكتاب كان ولا بد أن يؤدي إلى الاهتمام بأخبار المكتبات. فكانت هناك بالفعل مجموعة استطلاعات حول أبرز المكتبات في المملكة والوطن العربي.

كان آخر هذه الاستطلاعات من حيث التسلسل الزمني ذلك الذي أعدّه سعد الزهري حول «مكتبة الملك فهد الوطنية» (ذو الحجة ١٤٢١هـ). وتعتبر هذه المكتبة التي أنشئت في الرياض عام ١٤١٠هـ بمرسوم ملكي كريم، أحدث المكتبات الكبرى في المملكة والعالم، وأسرعها نمواً، وأكثرها تنظيماً وشمولية.

أما أقدم هذه التحقيقات فكان ذلك الذي أعده علوي شرف هاشم حول «المكتبات في أرامكو» (رمضان ١٣٨٦هـ)، وعدد فيه مجموعة المكتبات التي أنشأتها الشركة بدءاً بالمكتبة الفنية المركزية في الظهران التي تأسست سنة ١٩٥٦م، وبلغ حتى آنذاك عدد ما كان فيها من كتب ومراجع

تعتبر مكتبة الحرم المكي الشريف من أبرز المكتبات الإسلامية، ويؤمها علماء أجلاء يجدون في رحابها مختلف المصادر والمراجع التي تيسّر لهم سبل البحث والتحقيق. (رمضان ١٣٩١هـ)

روّاد مكتبة الملك عبدالعزيز العامة. (ربيع الأول ١٤١١هـ)

من المخطوطات النفيسة في المكتبة الخالدية في القدس. (محرم ١٤١٥هـ)

ويضيف الكاتب: «ثم وقع حادث غريب ترتب عليه أن زادت المجموعة العربية في الأسكوريال زيادة كبيرة، وذلك حينما أسرت السفن الإسبانية في المياه المغربية سفينة كبيرة كانت تحمل مكتبة سلطان المغرب الأديب العالم مولاي زيدان الحسني وذخائره، وذلك سنة ١٦١٤م... وحُمِلت المكتبة النفيسة إلى قصر الاسكوريال وقوامها نحو أربعة آلاف مجلد من كتب العلوم والفنون والآداب». ويشير الكاتب إلى أن ملوك المغرب سعوا لأكثر من قرن من الزمن إلى استرجاع المكتبة، ولكن ملوك إسبانيا كانوا ينكرون وجودها - كما ادعوا حيناً أن حريقاً أتى عليها - حتى منتصف القرن الثامن عشر، حين بدأ العمل على دراسة المخطوطات وتصنيفها، واستمر هذا العمل متقطعاً حتى بدايات القرن العشرين، عندها فتحت أبواب هذه المكتبة لتتحول إلى مقصد للباحثين من سائر أنحاء العالم.

وقبل أن نغادر مع «القافلة» محطة الكتب والمكتبات، نشير إلى ثلاثة استطلاعات قيّمة في مجال صناعة الكتب أعدها للمجلة الدكتور خليل صابات. وأولها كان حول «تاريخ الطباعة العربية» (ربيع الآخر ١٣٨٤هـ)، والثاني «الكتاب قبل اختراع الطباعة» (ربيع الآخر ١٣٩٣هـ)، أتبعه في الشهر التالي باستطلاع حول «الكتاب بعد اختراع الطباعة».

...وفي مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

تتوزع مجموعات هذه المكتبة على قاعات خاصة مثل قاعة الإطلاع، وقاعة المطبوعات الحكومية التي تضم عشرات الآلاف من المواد، غير أن أهم هذه القاعات اثنتان:

- قاعة الملك عبدالعزيز:

تقع في الطابق العلوي، وتضم الكتب والوثائق الخاصة التي تعنى بسيرة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة، والجزيرة العربية بصفة عامة... ومن بين مقتنيات هذه القاعة مجموعات من القصائد والوثائق الوثيقة الصلة ببعض الغزوات التي قادها جلالة الملك الراحل، والصور الخاصة والنادرة والرسائل الموجهة من جلالته وإليه.

- قاعة المخطوطات والمقتنيات النادرة:

وحرصاً من المكتبة على حفظ التراث العربي والإسلامي أنشأت قسماً خاصاً بالمخطوطات. وتضم هذه القاعة بعض المخطوطات الأصلية والمصوّر منها والمسكوكات وغيرها من المقتنيات التاريخية الشاملة.

وقد تم شراء ٣٦٧ مخطوطاً و٤٤ مجلداً نادراً. وهي مستمرة في اقتناء المناسب من المخطوطات لحفظها وحمايتها من الضياع، وتمكين الباحثين من الاستفادة منها.

من استطلاع بعنوان «مكتبة الملك عبدالعزيز العامة»
القافلة (ربيع الأول ١٤١١هـ).

«مكتبة الأسد» في دمشق سنة ١٩٨٥م، تم نقل المخطوطات إليها نظراً لما تتمتع به الأخيرة من تجهيزات متطوّرة لحفظ المخطوطات وتصويرها وتوزيع نسخ عنها لكل راغب في ذلك.

والمكتبة الخالدية في القدس – نسبةً إلى أصحابها آل الخالدي – كانت موضوع استطلاع بقلم جوسلين عجمي (محرم ١٤١٥هـ)، وهذه المكتبة التي تشغل مبنى أثرياً يعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، تحتوي على ألف ومائتي مخطوط نفيس، وتمثل أضخم وأرقى مكتبة عربية على أرض فلسطين.

وفي البحث عن كنز المكتبات العربية، وصلت «القافلة» إلى الأندلس، حيث وافاها محمد عنان باستطلاع حول «مكتبة قصر الأسكوريال» والكنز الذي تحتويه من الكتب والمخطوطات العربية، والتي يبلغ عددها نحو ألف وتسعمائة وخمسين مخطوطة، وهي أكبر مجموعة من نوعها في أوروبا، إضافة إلى نحو خمسين ألف كتاب مطبوع.

ولهذه المخطوطات في ذلك القصر العملاق الذي يقع على بعد خمسين كيلو متراً من العاصمة مدريد، قصة شجية، تستحق أن تروى، ونترك للكاتب أن يرويها: «بدأت مجموعة الكتب العربية في مكتبة قصر الأسكوريال سنة ١٥١٧م بمجموعة قدرها إحدى وستون مخطوطة من كتب الطب العربية جمعت بطريق الشراء من أنحاء مختلفة. ثم عهد الملك فيليب الثاني بعد ذلك إلى بعض الخبراء من الموريسكيين بالبحث عن المخطوطات العربية... فتجوّل مندوبو الملك في القواعد الأندلسية السابقة مثل غرناطة وأشبيلية وجيان وطليطلة حيث كانت ما تزال ثمة جاليات موريسكية كبيرة تحتفظ بكثير من المخطوطات العربية، تراث الآباء والأجداد، واستطاعوا أن يجمعوا منها مقادير كبيرة...».

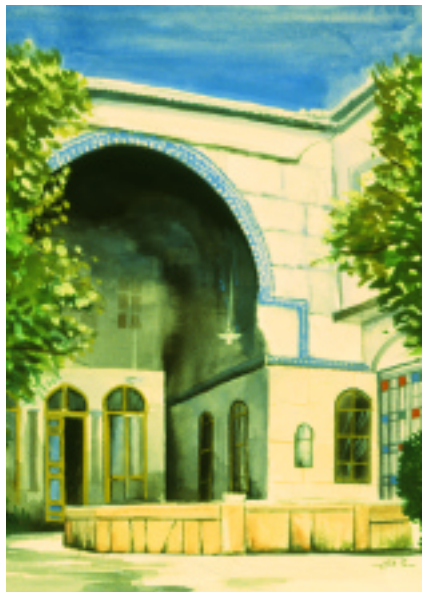

◄ الباحة الداخلية للمكتبة الظاهرية في دمشق. (ربيع الآخر ١٤٠٨هـ)

◄ أحد الأجنحة الفسيحة في مكتبة «الاسكوريال»، التي تحتوي على أنفس مجموعة من المخطوطات العربية في أوروبا. وروى محمد عنان حكايتها في استطلاع خاص. (محرم ١٣٩٣هـ)

رسم من كتاب «في معرفة الحيل الهندسية» للجزري يصف بعض الأدوات الميكانيكية التي كانت مبعث تسلية للمماليك. (ربيع الأول ١٤٠٣هـ)

لجامعة النجاح الوطنية بنابلس (صفر ١٣٧٧هـ)، لم يتجاوز «الموعظة» حول أهمية العلم في حياة العرب، ولإدراك أهمية هذه المقالة يجب أن نردها إلى إطارها الزمني...

وما بين طوقان وزيادة نجد مجموعة كبيرة من المقالات التي كانت وتيرة التفاصيل فيها ترتفع باستمرار. ومنها: «العلماء العرب وأثرهم في الحضارة الإسلامية» (صفر ١٣٨١هـ) بقلم الدكتور عبدالحليم منتصر، «البعوث العلمية في عصر الدولة العباسية» (صفر ١٣٧٣هـ) بقلم حسن فتح الباب. «الفلكيون العرب وما توصلوا إليه في علم الفلك» (صفر ١٣٨٩هـ).

ومن المقالات المهمة أيضا «لمحات من تاريخ الطب عند العرب» التي تقع في ست صفحات، يستعرض فيها الدكتور يونس شناعة مراحل تطور الطب عند العرب، ومجموعة من أشهر أطبائهم، نعرف بعضهم مثل الرازي وابن سينا، ولم نكن نعرف أكثرهم.

واقتصر الحديث في مقالة شناعة عن الطبيب المغربي الزهراوي على فقرة واحدة وصغيرة نسبياً، إلى أن جاء فاضل السباعي في جمادى الأولى ١٤٠٦هـ ليبدأ بكتابة أربع حلقات عن «أطباء بني زهر الأندلسيون»... نشرت على مدى أربعة أشهر متتالية.

الطب والعلوم... اليوم

ظهر في العدد الأول من «القافلة» مقال في الطب أو الصحة العامة حول مرض الملاريا ومكافحته. والطريف أن المقال - كالعلم آنذاك - لم يَرَ وسيلة للقضاء على هذا المرض سوى بالقضاء على الحشرات المسببة له بواسطة مبيد الـ «د.د.ت»، الذي أصبح بدوره من التاريخ بعد ما مُنِعَ استعماله عالمياً في مطلع الستينيات الميلادية نظراً لمضاره على الصحة العامة.

قد تكون موضوعات الطب والصحة العامة من أكثر الموضوعات العلمية حضوراً على صفحات «القافلة». والتطوّر الذي طرأ على هذه الطائفة من المقالات كان سريعاً ومتلاحقاً ليواكب سرعة تطوّر الطب. ويمكن القول أن هذه المقالات تروي مجتمعة قصة تطور الطب خلال النصف الثاني من القرن العشرين. ولمعرفة المسافة الزمنية التي تفصل عالمنا اليوم عما كان عليه يوم صدور العدد الأول من «القافلة»، يكفينا أن

الموضوعات الطبية المعاصرة تتصدر أغلفة «القافلة»

تاريخ العلوم عند العرب

وعلى مقربة من الكتب والمكتبات نجد تاريخ العلوم عند العرب. ففي العام ١٤٠٤هـ، كتب الدكتور نقولا زيادة سلسلة مقالات بالغة الأهمية تحت عنوان «من كتب الصناعة عند العرب» شملت (البيمارستانات) أي المستشفيات، الأدوية المركبة، والسموم، والصيدلة. وتمثل هذه السلسلة ذروة ما وصل إليه الاهتمام بالتراث العلمي من العمق والدقة والإمتاع في قراءته.

وكان زيادة بالفعل من أكثر المؤرخين الذين ركزوا على هذا المجال في «القافلة»، فكتب أيضاً عن المدرسة الجغرافية العربية (ربيع الآخر ١٣٩٢هـ) والعرب والكوزموغرافيا (شعبان ١٣٩٣هـ) وغير ذلك من الموضوعات.

في بداية المسيرة كانت المقالات حول العلم وتاريخه عند العرب قليلة نسبياً وعامة جداً، حتى أن أولها، وكان بقلم قدري طوقان، أول رئيس

نعم النحيس والأصحاب في معاشرة الاسطرلاب

يقول الدكتور عدنان جواد الطعمة في المقالة التي تحمل هذا العنوان: «إن ما من آلة في الوجود صغيرة الحجم سهلة الحمل كالاسطرلاب وتقوم بعمليات فلكية تتجاوز الثلاثمائة مسألة، تفكك لغزها وتحل مشاكلها دون اللجوء إلى القلم. إلا ما قلّ من الأحوال. ومن هذه المسائل نذكر الارتفاعات المجهولة القياس، والمسافات، وأعماق الآبار، وارتفاع النجوم، وتقيس كذلك الزمن، وتحدد أوقات الصلاة بالساعات والدقائق... و...

ولأن هذه الآلة النحاسية لا تزال متوافرة في المتاجر لهواة جمع التحف، ولأنها تحيّرنا لجهة طريقة استعمالها، فإن قراءة مقالة الطعمة تشكل مدخلاً إلى ذلك... نقول مدخلاً، لأن الإطلاع على أقسام الاسطرلاب وطريقة استعماله سهلة، أما التطبيق، فلم نعرفه بعد.

ونكتفي بهذا القدر، لأننا نُعِد هذه المقالة لمناسبة احتفالية، ويجدر بنا الانتقال من الحديث عن الأمراض وحوادث السير إلى ما هو أجمل منها ويشرح الصدر...

البيئة والحياة الفطرية

◄ الصفار والخباز... من «الزهور في صحراء المملكة العربية السعودية». (شوال ١٣٩٧هـ)

قبل ظهور موضوع البيئة كواحد من الاهتمامات (أو قل الهموم) العالمية في السنوات الأخيرة، كانت القافلة تجوب المحيط الطبيعي في المملكة وخارجها في ما هو أقرب إلى الرحلات الإستكشافية.

من هذه الرحلات سلسلة المقالات التي كتبها خليل هنداوي عام ١٣٩٦هـ حول الغابات، والجبال والصحارى والواحات تحت عنوان «من عجائب الكون». ومنها أيضاً ما قام به الدكتور جمال مرسي بدر في ذي القعدة ١٣٨٢هـ، حين عرض لنا ظاهرة لطالما حيّرت العلماء والرحّالة في الماضي، وهي الأصوات «الموسيقية» التي تصدر عن الرمال في بعض الجهات الصحراوية...

غير أنه في العقدين الأخيرين اتخذ الاهتمام بالبيئة في المملكة كما في كل دول العالم المتطوّرة منحى جديداً أكثر جدية من السابق، وانعكس ذلك بوضوح على صفحات «القافلة».

ففي العام ١٤٠٦هـ، تقرر إنشاء «الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها» في المملكة. وكانت هذه الهيئة موضوع مقالة موسعة كتبها يعقوب الزهير (شوّال ١٤١٠هـ)، تناول فيها نشاطات الهيئة وبرامجها الطموحة التي تتراوح ما بين إنشاء المحميّات العديدة، والعناية بتكاثر الأجناس الحيوانية والنباتية النادرة مثل طير الحباري الجميل، وأشجار العدن النادرة في مرتفعات المناطق الجنوبية، والمها العربي (الوضيحي) الذي كان مهدداً بالانقراض.

◄ المها العربي (الوضيحي) الذي كان مهدداً بالانقراض، ولم يعد كذلك، في استطلاع حول نشاط «الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها». (شوال ١٤١٠هـ)

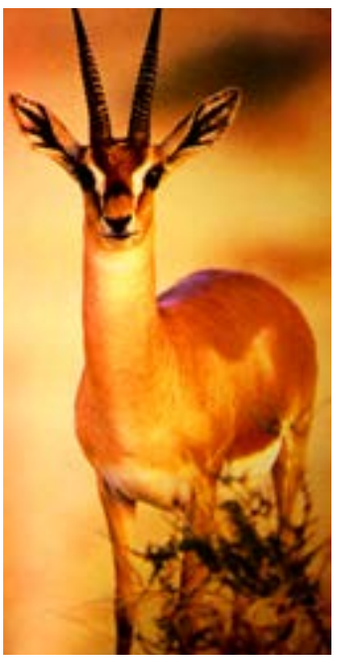

كان مهدداً ولم يعد كذلك

ففي شوّال ١٤٢٠هـ أطلعنا د. سعود محمد أناجرية على عملية إطلاق المها العربي في محميّات المملكة، بحيث عادت المئات من هذه «العيون الحلوة» تسرح في الطبيعة، وبأمان لا يتهاون في مسألته الجوالة والمراقبون.

ومن الموضوعات البيئية التي تستوقف القارئ، أيضاً تلك التي تتحدث عن الحياة في الصحراء، فعندما نسمع كلمة صحراء، يتبادر إلى الذهن قبل كل شيء الجدب الشامل والحرّ اللافح وامتداد الرمال إلى ما لا نهاية... ولكن هناك من يبدد هذه الصورة، أو يضيف إليها صوراً أجمل.

الروبوت يقوم بعملية جراحية في قلب أحد المرضى...!

نتصفح مقالة بعنوان «الثورة الطبية الجديدة، تقنية دمج الرقائق الكومبيوترية بالخلايا العصبية» (ربيع الآخر ١٤٢٢هـ) بقلم د. خالص جلبي، وما فيه من صور، وإحداها على سبيل المثال تظهر إنسان آلي يقوم بعملية جراحية في قلب أحد المرضى، ونقارن هذه الصورة، بتلك التي ظهرت قبل خمسين عاماً، وتظهر عمالاً ثلاثة وهم يرشّون أحد المباني في القطيف بمبيد الـ «د.د.ت».

الجدري، التيفوئيد، الكزاز، السكري، أمراض القلب والشرايين، الكوليسترول... وصولاً إلى الفيروسات مثل فيروس الإيدز والأيبولا، وكل ما يمكن أن يخطر على البال من مصائب، كانت موضوعات مقالات وأبحاث خاصة بكل منها، وتكررت مراراً ومراراً نظراً لما كان يطرأ على عالم الطب من تطور وتبدل في الاكتشافات وسبل العلاج.

وفي العقد الأخير، كثرت نسبياً الموضوعات العلمية الهادفة إلى نشر التوعية الصحية مثل مقالة بعنوان «الرضاعة الطبيعية مالها وما عليها» بقلم الدكتور مجدي أبو بكر (محرم ١٤٢٠هـ)، وبعد عام واحد، عادت «القافلة» إلى موضوع الحليب في مقالة تناولت «كل شيء عنه» بقلم الدكتورة نوال كامل السعدون (صفر ١٤٢١هـ).

وتخرج المقالات العلمية في التوعية العامة من دائرة الطب والتغذية لتصل إلى شتى مجالات الحياة ومخاطرها، مثل حوادث السير التي حظيت في السنوات الأخيرة بمجموعة لا بأس بها من المقالات، ومنها على سبيل المثال: «مربّع السرعة القاتلة» (شعبان ١٤١٥هـ) و«الدلائل المشاهدة في حوادث الطرق» بقلم الدكتور هاشم محمد نور المدني (ربيع الآخر ١٤١٦هـ). وظهور المقالين في أقل من عام يوحي وكأنه كان هناك قرار اتخذته المجلة في شن حملة توعية ضد السرعة في قيادة السيارات، وكان آخر ما كتب في هذا الشأن «حوادث الطرق، وآلية تخفيض الإصابات» بقلم د. هاشم مدني (محرم ١٤٢٢هـ).

إلى قرائنا الأعزاء...

«بصدور هذا العدد تكون «قافلة الزيت» قد أمضت من عمرها المديد ثلاثين عاماً ونيفاً، وهي تصدر اليوم باسم جديد هو «القافلة». وهذا التغيير البسيط في الإسم لا يغيّر نهجها وأسلوبها ومنحاها وأهدافها التي سارت عليها منذ صدور أول عدد لها حتى اليوم.

لا شك أن ثلاثين عاماً من العمل المتواصل والجهد المستمر والعطاء المتنوع جعل لهذه المجلة مكانة في نفوس القراء مادة وإخراجاً وطباعة، يحسها ويقدرها كل من التصق بها سواء كان ذلك بمتابعتها قراءة أو الإسهام بالنشر على صفحاتها.

و«القافلة» باسمها الجديد سوف لن تألو جهداً في السَير على النهج الذي أخذته على نفسها منذ صدورها لخدمة هذه البلاد العزيزة فكراً وأدباً وعلماً، آخذة بمبدأ الالتزام، ولا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا إن الالتزام كان ولا يزال سبباً من أسباب استمراريتها، والله من وراء القصد».

إعلان استبدال اسم المجلة
بقلم رئيس التحرير آنذاك:
عبدالله حسين الغامدي
شعبان ١٤٠٣هـ

أرامكو السعودية والبيئة

عوّدتنا الصحافة العالمية على أن نتطلع إلى الصناعة والبيئة على أنهما عدوان لا يلتقيان. وكم من مرة طالعتنا أنباء الصدام ما بين الشركات الصناعية الكبرى ودعاة الحفاظ على البيئة؟ وكم من الاتهامات كيل لهذه الشركات بأنها تعمل على طمس الموضوع البيئي والتعتيم عليه... أما في «القافلة» فيطالعنا ما يدهشنا في علاقة أرامكو السعودية بالشأن البيئي، هذه العلاقة التي تسير في الاتجاه المعاكس تماماً لما يمكن أن يكون مرسوماً سلفاً في الأذهان، لا بل إنه يتجاوز أكثر الصور تفاؤلاً في ما يجب أن تكون عليه علاقة الشركات الصناعية بالموضوع البيئي. حتى يخال القارئ أن الشركة هي التي تحثّ هنا محرري المجلة على إثارة الموضوع البيئي وتزيد من اهتمامهم به.

تعزز اهتمام القافلة بالبيئة مع ازدياد الوعي المعاصر لهذا الموضوع وخطورة إهمالها، وتجد هذا الإهتمام ينعكس ليس فقط على صفحات المجلة وأغلفتها بل في توجّه الشركة العام بدءاً بإدارتها العليا

وأول بيان رسمي لخطة الشركة لحماية البيئة يعود إلى العام ١٩٦٢م، حين وضعت برامج لرصد المواد المحتمل نفثها في الهواء، أو التي قد تصل إلى المياه الجوفية والبيئة البرية والبحرية. والكل يعلم أن الاهتمام بالبيئة آنذاك لم يكن يتجاوز حفنة قليلة من العلماء المتنوّرين في العالم. ولم يكن قد ظهر بعد كاهتمام شعبي أو حكومي، أو هاجس ضغط على الشركات الصناعية. الأمر الذي يؤكد صحة ما جاء في مقدمة استطلاع بعنوان «أرامكو السعودية والالتزام الجاد بحماية البيئة» (ذو الحجة ١٤٢٠هـ) وهو «أن أرامكو السعودية تنظر دائماً إلى الاهتمام بالبيئة على أنه جزء جوهري من مسؤولياتها، وأن الوعي البيئي لا يقل أهمية عن غيره».

في عدد «القافلة» لشهر شوّال ١٤٢١هـ، تصدرت الغلاف صورة رئيس أرامكو السعودية، كبير إداريها التنفيذيين، الأستاذ عبدالله بن صالح بن جمعة وهو يعبئ أول سيارة بالبنزين الخالي من الرصاص. ولم يكن الاستطلاع داخل العدد حول تقنيات الإنتاج الجديد، ولا عن عائداته المادية على الشركة، بل جاء في العنوان «في خطوة بيئية رائدة لتقليل تلوث الهواء في المملكة، أرامكو السعودية تنتج بنزيناً خالياً من

أحد إعلانات أرامكو السعودية عن قرب إطلاق البنزين الخالي من الرصاص

من هؤلاء، سليمان نصر الله في استطلاعه «الزهور في صحراء المملكة العربية السعودية» الذي ازدان بنحو أربع عشرة صورة لأنواع الزهور التي تنبت في الصحراء خلال الربيع عقب هطول المطر.

وبالقرب من الزهور هناك «زحافات غريبة في صحراء المملكة» (عن أرامكو وورلد جمادى الأولى ١٣٨٩هـ)، ومنها الأفاعي السامة والمسالمة، ومنها السحالي صغيرة الحجم التي تشبه في رأسها الضفدع، ومنها أيضاً الورل أو مرشد الصحراء، وهو من الزواحف الضارية، يصل طوله أحياناً إلى المتر...

وهكذا نرى أنه وبعد أن كانت الموضوعات البيئية تتناول موضوعات عامة وكبرى مثل النخيل وواحاته، ووصفاً عاماً للصحراء، صارت على صفحات «القافلة» أكثر تخصصاً، وصولاً إلى البحث الدقيق في تسجيل النباتات البريّة في المناطق الشرقية بقلم حميد الدوسري (محرم ١٤٢١هـ)، والذي يعرض لنا مجموعة من النباتات لم يكن يعتقد بوجودها في المنطقة الشرقية نظراً للاختلاف الكبير في شروط نموها في موطنها الجديد عما هي عليه في موطنها الأصلي. كما كثرت في السنوات الأخيرة المقالات والأبحاث العلمية التي تتناول مسائل إعادة تدوير النفايات، سواء أكان ذلك على صعيد عالمي، أو نظري، أو على صعيد تطبيقاته الداخلية في المملكة.

إن كل حديث عن البيئة في المملكة وموضوعاتها على صفحات «القافلة» لا يمكنه أن يكتمل إلا بالتوقف أمام الفصل المدهش في علاقة أكبر شركة زيت في العالم بالشأن البيئي.

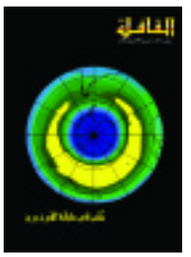

نماذج لأغلفة «القافلة» تعكس اهتمام الشركة بالشأن البيئي

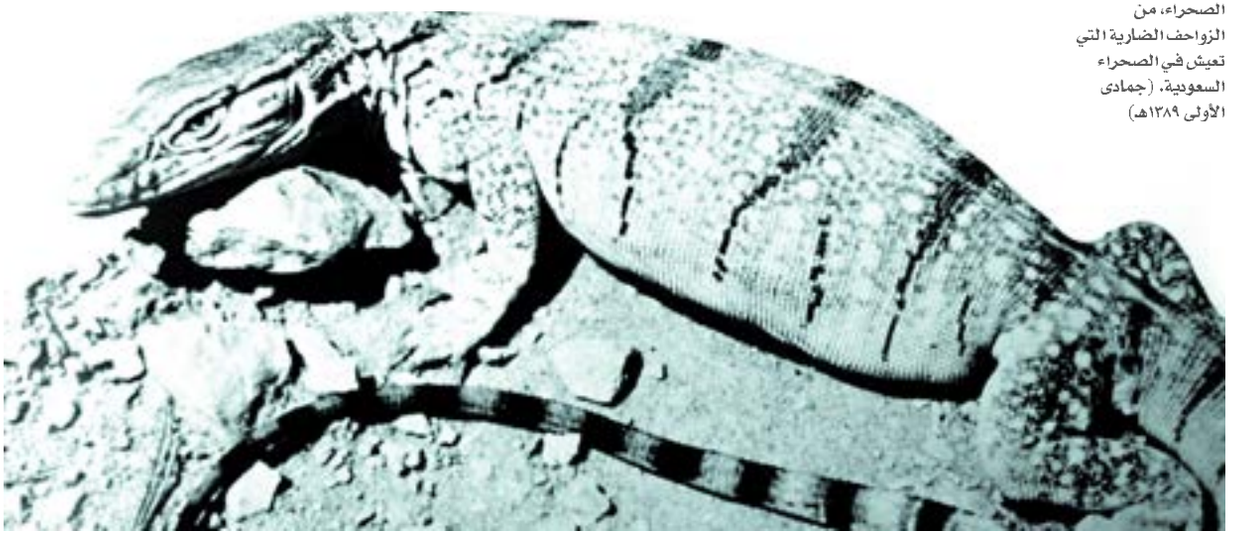

الورل، أو مرشد الصحراء، من الزواحف الضارية التي تعيش في الصحراء السعودية. (جمادى الأولى ١٣٨٩هـ)

وسبقَ إغراق الزورق عملٌ استغرق عدة شهور أزال الخبراء منه خلالها ١٢ طناً من المواد والمعدات التي يمكن أن يعاد استخدامها، والمواد المضرة بالبيئة مثل البلاستيك وبقايا الزيوت وما شابه. («القافلة» شوال ١٤٢٠هـ).

وبعد أشهر معدودة عادت «القافلة» إلى هذا الجرف الاصطناعي لتتفقده (رمضان ١٤٢١هـ) وكانت النتيجة مجموعة من الصور لأسماك رائعة استوطنته، وشهادة لغطّاس اختصر كل النتيجة بحديثه عن الأثر الذي تركته الشعاب المرجانية التي استنبتت هناك، إذ قال: «لقد كان لها أثر كبير جداً في الحياة البحرية، لدرجة أن الغوّاص إذا سبح لمسافة ١٥ إلى ٢٠ متراً بعيداً عن القارب، فإنه لا يرى أية أسماك. ولكن ما أن يقترب من القارب حتى يراه كما لو كان قطعة من الجنة. فالمنظر حوله بديع جداً».

ومن الحياة الفطرية والحيوانات البرية، إلى الحيوانات الداجنة والنباتات الأليفة في الحديقة.

الرمال الموسيقية

هي ظاهرة تحدث في بعض المناطق الصحراوية حيث ينبعث صوت يبدأ خافتاً ثم يرتفع ويزداد إلى أن ينقطع فجأة. لاحظ هذه الظاهرة رواد الصحارى من قديم الزمان، وصولاً إلى المستشرق فيلبي الذي يقول في كتابه عن الربع الخالي أنه سمع هدير الرمال للمرة الأولى في يوليو ١٩٢٨م في تلال بدر بين المدينة المنورة وينبع، ثم عاين تلك الظاهرة عن كثب بالقرب من بئر «نايفة» خلال رحلته عبر الربع الخالي سنة ١٩٣٢م.

ويشبّه فيلبي صوت الرمال بأزيز الطائرة أو بصوت أرغن كبير. وقال إنه عندما حصل ذلك راح البدو المرافقون له يرفعون عقائرهم بأصوات يجيبون بها على «الجن» الذين صدر عنهم هذا الصوت الغامض، ذلك أن البدو كانوا لا يزالون ينسبون هدير الرمال إلى الجن.

ويقول فيلبي إنه تمكن مرات عدة من أن يجعل الرمال تهدر وذلك بمشيه فوق التل وتحريكه طبقة الرمال العليا إلى الأسفل. وكان الصوت ينقطع في كل مرة بانتهاء حركة الرمل، مما جعله يقطع بأن الصوت يصدر عن احتكاك حبيبات الرمال ببعضها عند انهيارها إلى أسفل.

أما برترام توماس الذي سبق فيلبي بسنة إلى اجتياز الربع الخالي، فقد سجّل بدوره تلك الظاهرة في تلال «جديلة» وشبهها بصفّارة باخرة. كما أن رحالة آخرين شبهوا صوت الرمال بالطنين الذي يعقب قرع ناقوس ضخم. وهذه الرنة الموسيقية هي التي دعتهم إلى إطلاق اسم «الرمال الموسيقية» على هذه الظاهرة، كما دعت شعراءنا القدامى من قبل إلى الكلام عن «عزف الجن».

الرصاص». وجاء القسم الأكبر من المقالة حول مخاطر الرصاص على الصحة العامة، والكميات التي تنفثها منه عوادم السيارات وما شابه...

والذي تهمه معرفة الأقسام والدوائر التي أنشأتها أرامكو السعودية لغايات بيئية، وهي عديدة ومتشعبة، فيمكن أن يعود إلى عرض مفصّل لها نُشِرَ في «القافلة» في رجب ١٤١٢هـ بعنوان «جهود أرامكو السعودية في حماية البيئة». أما نحن فسنتوقف استطراداً أمام واحدة من أجمل الحكايات وأكثرها شعبية في علاقة أرامكو السعودية بالبيئة:

أسد البحر الذي استوطن الزورق «جنا٢». (رمضان ١٤٢١هـ)

الزورق جنا-٢

يعرف صيادو الأسماك أينما وحيثما كانوا في العالم أن الأسماك تميل بشكل عام إلى العيش والتكاثر داخل الأوكار الصخرية لما توفره لها من حماية. لذا، وفي المناطق الرملية التي تفتقر إلى مثل هذه الأوكار والكهوف الصخرية، يقوم صيادو الأسماك عادة بإلقاء مجموعة من هياكل السيارات القديمة فوق بعضها البعض. وبعد أشهر قليلة تتكدس المواد الرسوبية على هياكل السيارات فتتحول إلى كتلة صخرية كبيرة مليئة بالفجوات، تنمو عليها الطحالب والأعشاب والأصداف، وتستوطنها الأسماك فتضع فيها بيوضها وتتكاثر حولها. وتسمى هذه الكتلة الصخرية الاصطناعية (تصبح لاحقاً طبيعية) الحطّة.

الزورق «جنا-٢» قبل إخراجه من الخدمة

ما فعلته أرامكو السعودية في هذا المجال لا يختلف عما يفعله الصيادون مع فارق «بسيط» في طريقة التنفيذ. فعندما أنهى قارب السحب «جنا-٢» خدمته، وبدلاً من إرساله إلى عالم النسيان، عملت الشركة على إغراقه بالقرب من جزيرة جنا التي يحمل اسمها في الخليج العربي، ليتحول إلى جرف بحري اصطناعي تنمو عليه الشعاب المرجانية وتستوطنه الأسماك، على عمق ١٥ متراً تحت الماء وقت الجزر.

الفارق، هو أن أرامكو السعودية مهدت لهذه العملية بدراسة مستفيضة شملت اختيار الموقع، ورصد التيارات، وقياس الأعماق في المنطقة للتأكد من أن وضع القارب هذا لن يؤثر على سلامة الملاحة. كما شغّلت الحاسبات الآلية للتأكد من أن التيارات البحرية أو العواصف لن تزحزحه من مكانه.

وقامت إدارة حماية البيئة في الشركة بجمع التراخيص المطلوبة للعملية من مختلف الجهات المعنية، ومن ضمنها مصلحة الأرصاد وحماية البيئة، والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، ومركز بحوث مصائد الأسماك، وحرس الحدود...

وهناك أيضاً وأيضاً أثر الخيل في تراثنا الثقافي «خيل العرب في أمثال العرب» بقلم عزت إبراهيم (رمضان ١٤١٠هـ)، وفيه يستعرض مجموعة الأمثال العربية التي وردت فيها بلفظها مثل: الخيل أعلم بفرسانها، الخيل تجري على مساويها، أتبع الفرس لجامَها... والأمثال التي لم ترد فيها الخيل بلفظها مثل: النقد عند الحافر، أو كالأشقر إن تقدم نحر وإن تأخر عقر.

وتزداد القربى بين الخيل والتراث في مقالات أخرى لعلّ أجملها «من حديث الصيد والطراد عن العرب» بقلم محمود الشرقاوي (رجب ٤٨٣١هـ).

والإبل

يكفي أن نعرف بأن الإبل تأتي في طليعة الحيوانات الأليفة التي واكبت قصة الحضارة العربية والجزيرة العربية من بدايتها الأولى، وظلت كذلك حتى بدايات القرن العشرين. **«إذ كان الجمل العربي ذو السنام الواحد أول دابّة استخدمها الإنسان لحمل الأثقال. فقد وجدت عظامه مع عظام الإنسان في مقابر يرجع تاريخها إلى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد»، وذلك حسبما يؤكد الدكتور منير البشعان في مقالته التي اتخذت من الآية الكريمة ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ عنواناً لها».**

اللافت أن الآية الكريمة نفسها كانت قد تصدرت استطلاعاً آخر عن «الإبل» صدر قبل عشر سنوات من المشار إليه أعلاه وكان بقلم د. يحيى عبدالرؤوف جبر (ربيع الأول ١٤١١هـ).

أما الريادة في الحديث عن الإبل على صفحات «القافلة» فكانت لتحقيق بعنوان «سفينة الصحراء» بقلم د. رمسيس مصطفى (رمضان ١٣٨٠هـ).

◄ صورة فريدة في أناقتها لقطيع من الجِمال يرتوي من بئر. (ربيع الآخر ١٣٨٥هـ)

حديقة القافلة

علمياً، تُصنّف الخيول والإبل مع الحيوانات. ولكننا نشعر برغبة في التمرُّد على هذا التصنيف. فمن بين كل الحيوانات على وجه الأرض يحتل الحصان والجمل مرتبة خاصة، حتى أننا نشعر بأنه من غير اللائق أن نتحدث عنهما في حديقة «القافلة»، لأنهما ينتميان إلى تراثنا ونمط حياتنا العربية أكثر مما ينتميان إلى عالم الحيوانات.

الجمال والقوة والذكاء من شمائل الجواد العربي الذي نراه هنا في «مركز تربية الخيل» في منطقة ديراب. (شعبان ١٤٠٨هـ)

الخيل

عند حديثنا عن الكتب والمكتبات ذكرنا بيت شعر للمتنبي يقول:

أعزّ مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

هناك كان عجز البيت هو الموضوع، أما هنا فصدره. ولا داعي أن نذكر الأهمية التي أولاها العرب للخيل في الماضي والحاضر. إنها في وعي كل منا. ولمزيد من التفاصيل فهناك مجموعة كبيرة من الاستطلاعات نشرتها «القافلة» عن هذا الحيوان النبيل.

أوسع هذه الاستطلاعات كان ولا شك ذاك الذي أجراه زكريا البنا (محرم ١٣٩٤هـ) بعنوان «الخيول العربية». ومنه يمكننا أن نستقي معجماً كاملاً بأسماء أشهر الخيول العربية في تاريخ العرب، وبالمفردات الخاصة بعالم الخيل في الماضي والحاضر. وهناك أيضاً مقالة «الخيل عند العرب» بقلم عبدالله بن خميس (رجب ١٣٨٨هـ)، وتتشابه المقالتان في كثرة الاستشهاد بما قاله شعراؤنا في الخيل.

سفينة الصحراء... في بحرها الرملي. واللقطة تعود إلى رمضان ١٣٨٠هـ

الصراصير من الحشرات الكريهة، ولكن العلم لا يأبه لذلك... فكانت هذه الحشرة موضوع استطلاع لافت للنظر. (ربيع الآخر ١٤٠٩هـ)

«القرش الأبيض لا ينفع في اليوم الأسود»، «حتى لا يموت الذئب»، «دموع التماسيح هل يذرفها بنو البشر لتأبينها»... مثل هذه العناوين الجميلة توهم القارئ أنه أمام الصفحة الأدبية في المجلة... ولكنه في الواقع أمام استطلاعات علمية تبحث في طباع أسماك القرش، ومخاطر انقراض الذئاب والتماسيح، كتبها على التوالي د. عبدالفتاح السيّد من جامعة قطر (رجب ١٤١٣هـ)، ود. مظفر شعبان (جمادى الأولى ١٤١٥هـ) وأحمد البوق (جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ).

الأفاعي (٣ تحقيقات)، الفراش (٣ أيضاً)، العناكب (٤ مرات)، النحل (أكثر من ٦ استطلاعات مختلفة) وصولاً إلى النمل والذباب والبعوض...

معظم هذه المقالات يغلب عليها الطابع العلمي، غير أن بعضها يتمتع بحدٍ عالٍ من التشويق الذي تغذيه بساطة الأسلوب الصحافي.

وعلى هذه الصفحات أمور لا يمكنها أن تخطر على البال، تستوقف القارئ لتدهشه، أو تداعب مخيلته. ومنها أن تحقيقاً بعنوان «الصراصير حشرات لا تقهر» بقلم سليمان نصر الله (ربيع الآخر ١٤٠٩هـ)، حمل على صفحته الأولى تحت العنوان مباشرة صوراً لأربعة أصناف من الصراصير، وهي الآتية: أكبرها (أبشعها) هو الصرصور الأميركي، يليه في الحجم الصرصور البني المرجاني، والثالث هو الصرصور الشرقي، وأصغرها الصرصور الألماني...!؟

النحل... أفضل الحشرات بالنسبة إلى الإنسان. كان موضوعاً لمجموعة كبيرة من المقالات والاستطلاعات على صفحات المجلة

ولكن لحسن الحظ، هناك عشرات التحقيقات أجمل من ذلك من حيث الموضوع والصور المرافقة. ومنها «نسور العالم القديم» الذي كتبه د. محمد سليم بشراق من الطائف (صفر ١٤٢٠هـ)، وعرفنا من خلاله أن المملكة تحتوي على ستة أنواع من النسور، منها أربعة تتكاثر فيها، واثنان مهاجران.

وبشكل عام يمكن القول أن معظم أنواع المخلوقات من حيوانات وحشرات حظيت على صفحات «القافلة» بموضوعات علمية خاصة بها.

من طيور حديقة «القافلة»

وهناك مجموعة من المقالات تتحدث عن طباع الحيوان وعالمه بشكل عام مثل «هدايا الزواج واختيار الرفيق في عالم الحشرات والحيوان» بقلم د. رمضان هلال (شعبان ١٤٢١هـ)، أو «وسائل الاتصال بين الحيوانات» (محرم ١٤١٩هـ) بقلم محمد مرسي.

أما الذي يبحث في عالم الحيوان عن متعة للعين وليس عن علم الأحياء، فيمكنه أن يرافق الدكتور شبراق في رحلة إلى «بهارتبور... جنة الطيور» في الهند (محرم ١٤١٩هـ)، أو يقوم بجولة مصوّرة وجميلة مع عادل الصادق على «حديقة الحيوان بالرياض» (ربيع الآخر ١٤١٠هـ).

والصقر

لو كان أمام أي عربي المجال في أن يضيف ثالثاً إلى طبقة أفضل الحيوانات لديه لكان الصقر هذا الخيار من دون شك.

من «نافذة على عالم الصقور» فتحها مصطفى درويش الشافعي (ربيع الآخر ١٤١٢هـ) يمكننا أن نطل على أقوى الطيور وأشجعها وأذكاها قاطبة، على أنواعه، نمط معيشته، عاداته، وطرق ترويضه. ولمزيد من التفاصيل حول هذا الطائر المهيب يمكن أن يعود القارئ إلى استطلاع آخر أعده عادل الصادق حول «مركز الفيصل للصقور» (شعبان ١٤١٠هـ).

الصقر... أقرب الطيور إلى قلب العربي... (ربيع الآخر ١٤١٢هـ)

واستطراداً، نشير إلى أنه جاء في الحديث عن هذا المركز الذي أنشأه صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل في منطقة السودة في عسير، أنه يقوم سنوياً بإطلاق العشرات من هذه الطيور لتعيش حياتها الفطرية في الطبيعة، وذلك لتعويض النقص الخطير الذي طرأ على أعدادها نتيجة الصيد العشوائي في السابق.

والصغير والكبير

وغير ذلك؟

كل ما يمكن أن يخطر على البال من عالم الحيوانات والطيور والحشرات، من الذئاب إلى الأسد، ومن الحيتان في قاع البحر إلى المها في الصحارى العربية.

حتى لا يموت الذئب... (جمادى الأولى ١٤١٥هـ)

ورد الطائف

حظي ورد الطائف باستطلاعين مختلفين على صفحات «القافلة» يفصل بينهما نحو تسع سنوات.

يتميّز هنا الورد الدمشقي الأصل عن غيره بلونه الوردي المائل للإحمرار وحجمه الكبير ورائحته الأخاذة المعروفة، ويصنع منه إضافة إلى ماء الورد أفضل وأغلى عطر في العالم. إذ يصل ثمن الأونصة الواحدة من زيته إلى حوالي ١٨٠٠٠أو ٩٠٠٠ ريال أي ثمانية أضعاف سعر أونصة الذهب تقريباً.

وتنتشر زراعة هذا الورد في سفوح الجبال والأودية المحيطة بالطائف، وتطبع المنطقة بأسرها وخاصة في شهر أبريل من كل عام بطابعها الفريد في جماله. حتى أن الشاعر فؤاد شاكر حيّا هذا الورد بقصيدة يقول في مطلعها:

يا رائع الزهر في روض وبستان
افديك بالحسن من حورٍ وولدان

(من استطلاعين نشرا في «القافلة» جمادى الأولى ١٤١٢هـ وربيع الأول ١٤٢١هـ).

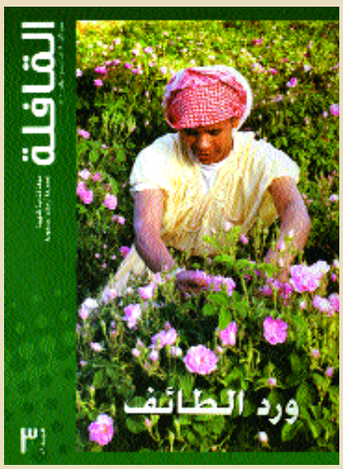

والنبات

ويأتي النخيل في المرتبة الأولى طبعاً.
فالنخلة من عالم النبات بالنسبة إلينا، كما الحصان أو الناقة من عالم الحيوان.

«نخيل التمر ذلك الكنز المجهول»، بقلم زياد حويجم (رجب ١٤١٩هـ) «ماضي النخلة وحاضرها» للمهندس الزراعي سامي لبّان (جمادى الأولى ١٣٨٤هـ)، «التمر وقيمته الغذائية» بقلم مهندس زراعي آخر هو أجود الحراكي (شعبان ١٣٩٨هـ). وفي كل هذه المقالات وغيرها تبقى صورة النخلة ومهما تكررت وتنوعت زوايا التقاطها، هي الأجمل والأكثر أناقة من بين كل أشجار العالم.

ومن «غرائب النباتات الصحراوية» إلى «شجرة الزيتون» يمر القارئ باستطلاع عن «شجرة البان» ذات الأغصان العامودية والتي قد يصل ارتفاعها إلى ١٥ متراً، ولطالما تغنى الشعراء بها وبأغصانها كمثال لحسن القوام. و«القهوة الشجرة المعطاء» بقلم سليمان نصر الله (شعبان ١٤١٠هـ). و«حب الهال» بقلم لاري لكنر (عن أرامكو وورلد / ذو القعدة ١٤١٨هـ). وقد فاجأنا الاستطلاع الأخير بما جاء فيه، إذ بعدما كنا نعتقد أن حب الهال جزء لا يتجزأ من القهوة العربية، وأنه لا بد وأن يكون ابن منطقة ما من البلاد العربية، جاء من يقول لنا أنه من... جواتيمالا. حتى أن الاستطلاع المذكور حمل العنوان القائل «خيط من العبق يربط جواتيمالا بشبه الجزيرة العربية»، وبدأ نص المقالة بالقول : «لولا ولع شاربي القهوة في المملكة العربية السعودية بحب الهال، لما كان لمدينة كوبان في جواتيمالا شأن اقتصادي يذكر».

غير أنه مقابل هذه الأشجار الكبيرة في حجمها، يوجد في حديقة «القافلة» عدد أكبر بكثير من النباتات الصغيرة التي لا تعلو أكثر من أشبار قليلة عن سطح الأرض...

الشاي، الميرامية، عش الغراب (الفطر)، الفقع، الشمرة، زهور الصّمان العطرية... كلها شكّلت مواضيع لمقالات مستقلة.

النخيل... لجماله (رمضان ١٣٩٨هـ)

من زهور صحراء الصمّان في المملكة العربية السعودية. (ذو القعدة ١٤٢١هـ)

الميـــزانيـــة

صورة رائعة لإحدى المغاور من مقالة بعنوان: «التفسير العلمي للكهوف» (شوال ١٤١٤هـ)

وكان هواة جمع الطوابع الأبناء المدللين للمجلة من بين كل أصحاب الهوايات، وللدلالة على الجدية التي تعاملت بها المجلة مع ما يراه الكثيرون «مجرد تسلية»، نشير إلى أن من بين أوائل الذين كتبوا عن جمع الطوابع كان الدكتور جبرائيل جبّور رئيس الدائرة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت وكانت مقالته بعنوان «طوابع البريد نشأتها وتطوّرها» (ربيع الآخر ١٣٨٠هـ). أما الدكتور محمد مظهر سعيد فقد توقف أمام «قصة طابع البريد في الجزيرة العربية» (شوال ١٣٨٦هـ).

وكما وجدنا في الحديث عن النقود مقالة حول «صناعة الزيت على النقود» بقلم حافظ كمال (ذو القعدة ١٣٩١هـ)، نجد توقفاً لمرتين أمام «صناعة الزيت على طوابع البريد.»...

وأيضاً هناك موضوعات حول البريد وقصة المراسلة بين الناس (جمادى الأولى ١٤٠٤هـ)، والتقاويم ونشأتها وتاريخها واستخدامها (ذو القعدة ١٤١٨هـ)، وقصة الأقفال عبر التاريخ (ربيع الأول ١٣٨٢هـ)، والعطور عبر التاريخ (ربيع الآخر ١٣٨٨هـ)...الخ.

الريال الفضة .. قصة الثلاثة ملايين.. ملحمة

أشرنا في حديثنا عن القصص القصيرة إلى واحدة كانت بعنوان «الريال الفضة» وهناك قصة أخرى بعنوان «العشرة ريالات»... ولكن الثلاثة ملايين ريال فضة التي سُكّت في الولايات المتحدة في العام ١٩٤٤م شكّلت موضوعاً لواحد من أجمل التحقيقات على صفحات «القافلة» وأكثرها إثارة وتشويقاً.

فهذه الريالات لم تصل إلى المملكة، لأن غواصة ألمانية اعترضت السفينة الناقلة وأغرقتها قبالة ساحل عُمان. وبقيت الثلاثة ملايين ريال في قاع بحر العرب على عمق ٢٦٠٠ متر لمدة نصف قرن، حتى قام رجل الأعمال اليمني أحمد العولقي بتبني وتمويل مشروع انتشال هذا الكنز، وبعد عمل جبّار استمر لسنوات عدة تمكن فريق العمل من انتشال ١،٦ مليون ريال فضة، أي أكثر من نصف المجموع، في واحدة من أجمل المغامرات المثمرة. ولمزيد من التفاصيل، يمكن للقارئ أن يعود إلى عدد شوّال ١٤١٨هـ ليطالع القصة الكاملة في تحقيق يدغدغ أحلام الكبار، كما تدغدغ أخبار الكنوز والقراصنة أحلام الأطفال.

بعض قطع الكنز التي تم استخراجها من «سفينة الفضة». (شوال ١٤١٨هـ)

وجملة أمور أخرى

...ولا تحديد لهذه الأمور.

فقد لاحظ القارئ ولا شك أننا جمعنا في هذه الجولة من موضوعات «القافلة» باقاتٍ وباقات، ولكن هذا لا يعني مطلقاً أن المجلة حصرت اهتمامها في مجالات محددة.

ففي كل عدد تقريباً، كان هناك مقال أو أكثر يقول أن لا حدود ولا أطر ضيقة للمعرفة كما تراها «القافلة».

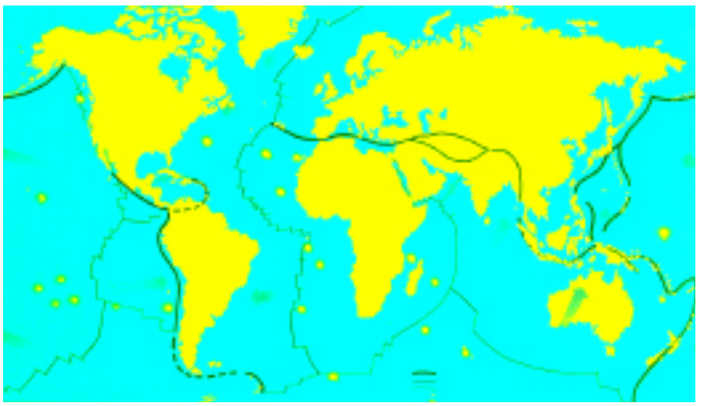

حظيت علوم الأرض والطبيعة والفضاء بنصيب وافر من صفحات المجلة وخاصة في العقدين الأخيرين. والصورة من مقالة حول «الزلازل» وتظهر خطوطها في العالم. (شوال ١٤٢٠هـ)

ومن هذه المقالات ما يمكن جمعه أيضاً في باقات منفصلة. ومنها على سبيل المثال لا الحصر علوم الجيولوجيا والطقس والفضاء الخارجي: «التفسير العلمي للكهوف» (شوال ١٤١٤هـ) بقلم مصطفى عبد رب النبي، الذي يجول بنا في باطن الأرض، أما أحمد الحنجل وعبدالله غيث فقد انتقلا بنا إلى فوهات البراكين (ربيع الأول ١٤١٢هـ) و(ربيع الآخر ١٤١٣هـ)، وعبداللطيف أحمد قحموش يفسر لنا طبيعة الزلازل وآثارها المدمّرة (شوّال ١٤٢٠هـ).

وبعد أن نمر بالغلاف الجوي للأرض في مقالات مثل «ظاهرة النينيو والتوقعات البيئية والمناخية» (شعبان ١٤١٦هـ) و«الصواعق» (ربيع الآخر ١٤١٠هـ)، نصل إلى الفضاء الخارجي ورحاب الكون الفسيح بكل ما فيه من مجرّات وكواكب ونيازك، حتى أن هذه الفئة الصغيرة حظيت وحدها بعدة مقالات كتبها محمد عيسى الذكير وسليمان القرطاس. وغير ذلك الكثير عن تكنولوجيا الفضاء بدءاً بالصواريخ التقليدية والمكوك الفضائي وصولاً إلى الأقمار الاصطناعية متعددة المهمات...

«طوابع البريد» من الموضوعات التي لم تنضب على صفحات «القافلة»

ومن هذه الباقات أيضاً مجموعة تهم هواة جمع النقود والطوابع. نذكر منها المقالتين اللتين كتبهما محمد فرج أبو العش حول نشأة السكة العربية وتطورها (شوّال ١٣٨٧هـ و١٣٨٨هـ)، وثانية بعنوان «علم النميّات ورواده في العالم العربي» (جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ).

ويمكن للقارئ أن يغوص في تاريخ العملات السعودية القديمة والحديثة (ربيع الأول ١٤١٠هـ) حيث يعرض لنا أمين جاهين مسيرة النقود السعودية من تايلر ماريا تريزا الفضي إلى نقود اليوم مروراً بالجنيه الذهبي والريال الفضي. أما الدكتور يوسف القاضي فقد تطلع إلى قطع النقود القديمة كـ«شهود عيان على الماضي» (ربيع الأول ١٣٩٧هـ)، وأظهر ما يمكن أن يكون لهذه الهواية من أهمية على صعيد الثقافة التاريخية.

الأعداد الخاصة في تاريخ القافلة

أصدرت «القافلة» خلال تاريخها مجموعة لافتة من الأعداد الخاصة يشكّل كل منها ملفاً حول موضوع معيّن، وبمرور الزمن تحولت هذه الأعداد الخاصة إلى وثائق تاريخية موسعة.

من أبرز الموضوعات التي شكلت محاور هذه الأعداد الخاصة:

- صناعة الزيت التي أطلّت منذ السنة الأولى موضوعاً لعدد خاص، ومن ثم عدة مرّات لمناسبات مرور كذا سنة على تأسيس أرامكو السعودية.
- التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، في العدد الخاص الذي صدر في مناسبات مرور كذا سنة على صدور «القافلة».
- المناسبات الوطنية والتاريخية الكبرى مثل الذكرى المئوية الأولى لتأسيس المملكة، ومؤخراً، الذكرى العشرون لتولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم.

الحكواتي الأخير

وتتعدد نزهات «القافلة» ما بين «أطلنطيس القارة المفقودة» (ربيع الأول ١٤١٢هـ) و«عجائب الدنيا السبع» (محرم ١٤٢١هـ).

وتعود عبر الزمن إلى الماضي لتستعرض دور «سوق عكاظ منذ خمسة عشر قرناً» (ربيع الأول ١٣٨٤هـ)، حيث يخلص غازي عوض الله إلى القول: «إن هذه السوق كانت أقوى وأجمل وسيلة إعلامية اتخذها العرب في جاهليتهم، وامتد أثرها العظيم إلى مدة طويلة في أوائل العصر الإسلامي، بحيث ضاهى تأثيرها المؤتمرات الإعلامية الحديثة المدروسة...».

وقد يكون من هذه الموضوعات «الشهور وأسماؤها عند العرب» (شعبان ١٣٩٩هـ) بقلم الدكتور محمد سعد الشويعر، أو «مهرجان الأسماء عند العرب» (محرم ١٤٢١هـ)، حيث يعرض لنا محمد محاسنة خريطة أسماء الأشخاص التي تعتبر في الوطن العربي الأغنى في العالم بأسره.

غير أن واحداً من هذه الموضوعات استوقفنا أكثر من غيره، لأنه يدور حول جزء جميل من تراثنا الشعبي، لا يزال حياً حتى اليوم، ولكن على رمقه الأخير: الحكواتي.

في عدد محرم ١٤٢١هـ، تناولت بربارا نمري عزيز في استطلاع رائع قصة الحكواتي في التراث الشعبي العربي، وتوقفت طويلاً أمام المواصفات المطلوبة تقليدياً في الحكواتي الماهر، أما النموذج الحي الذي تتناوله فكان حكواتي «مقهى النوفرة» خلف الجامع الأموي في دمشق، والذي لا يزال حتى اليوم يقرأ ويروي كل مساء فصولاً من السيرة الشعبية للملك الظاهر بيبرس على مسامع روّاد المقهى. وفي متن نص المقالة لمسة حزن خفيفة وخفية لا بدّ وأن يتركها اقتراب أي حديث ممتع من نهايته، ولخّصها العنوان: «الحكواتي الأخير».

«الحكواتي الأخير»... وإلى هنا يا سادتي تنتهي الحكاية.

طرف الأسماء

«...من أطرف أسماء الأشخاص في وطننا العربي الكبير هي تلك المستعملة لدى إخواننا في جنوب السودان. فبحكم البيئة الاستوائية، ومع بدايات تواصلهم مع العرب، ظهرت تركيبات جميلة من الأسماء منبعثة من شدة الدهشة أو الإعجاب بما هو قادم من الشمال، فلا غرابة أن ترى أشخاصاً يحملون أسماء مثل: قرش، تعريفة، قرشين، مليم، ثور كبير، حكومة وحتى عكاز المأمور وسلك التلفون... »

من تحقيق:
«مهرجان الأسماء العربية»
(«القافلة» محرم ١٤٢١هـ)

ففي ربيع الآخر ١٣٨٩هـ، كتب الأستاذ عبدالسلام الساسي مقالة بعنوان «نشوء الأدب وتطوره في المملكة العربية السعودية»، ومما جاء فيها: «أن المتتبع لتاريخ الحركة الأدبية في بلادنا يدرك تماماً أن حالة الأدب منذ أكثر من خمسين عاماً كانت أشبه بحلقة يعيش فيها أرهاط من العارفين بقيمة الأدب... ولكن سرعان ما دب دبيب الحياة في نفر من الشباب السعودي، فانطلقت من أحد الأحياء الشاعرة صرخة مدوّية تطالب بفك الحجر عن المشاعر والأحاسيس، فاستجاب لها يوم ذاك جلالة المغفور له، بإذن الله، الملك عبدالعزيز آل سعود موحّد الجزيرة وباعث نهضتها».

ويذكر الساسي طرفاً من تلك «الصرخة المدوّية» والتي أطلقها شاب سعودي لم يبلغ العشرين من عمره حينذاك هو الأديب الأستاذ محمد حسن عواد الذي قال يحيى العهد السعودي في شخص الجزيرة الشعبية «بريد الحجاز»:

صاح حيّ الرقيّ حيّ السلاما
حيّ داعي الوئام حيّ الوئاما
حي عصر النهوض حيّ التعالي
حيّ بالمجد أمةً تتسامى

توضيح لا بدّ منه!

عندما درجت «القافلة» على فهرسة مجلداتها السنوية، كان الفهرس الخاص بكل مجلد يقع في أربع صفحات. أي أن التعداد الشامل لعناوين المقالات وأسماء كتّابها وتواريخ نشرها في المجلدات يحتاج إلى مائتي صفحة، أي ضعف المساحة المخصصة لهذه المقالة.

نسوق هذه الملاحظة للإشارة إلى أن هذه الجولة في محتويات المجلدات الخمسين لم تكن، ولا يمكن أن تكون شاملة بالمعنى الدقيق للكلمة. واضطررنا آسفين إلى التضحية بالحديث عن عدد كبير من الكتّاب البارزين، وعدد أكبر من المقالات المهمة، في محاولة للالتزام بالمساحة المقررة سلفاً لهذا الموضوع. فاقتصرنا في تناول الأسماء والعناوين والموضوعات على عيّنات نموذجية تعطي صورة - نرجو أن تكون واضحة - عن شخصية «القافلة» ومسيرتها خلال الخمسين عاماً.

ع.ع.

حديث الباب

«لا يُمَل...» يقول المرء عندما تنتهي الزيارة. ولكن لا بأس بالتوقف عند الباب للكلمات الأخيرة...

«عندما صدرت مجلة «قافلة الزيت» (القافلة حالياً) عام ١٣٧٣هـ، كانت الساحة الثقافية شبه خالية اللهم إلا من بعض ومضات تلمع هنا وهناك متخذة من المجلات الصادرة في البلاد العربية ميداناً للمشاركة ورافداً من روافد المعرفة». هذا ما كتبه الأستاذ عبدالله بن أحمد الشباط في صفر ١٤٠٨هـ لمناسبة مرور ٣٥ عاماً على صدور المجلة. ولكن هل يكفي الحديث عن «خلو الساحة» لشرح المناخ التاريخي الذي ولدت فيه «القافلة»؟ وكيف يمكن تفسير نموها ونضوجها والمكانة المرموقة التي احتلتها بُعيد صدورها بسنوات قليلة؟ حتى عمرها الطويل - أمدّه الله - مقارنة مع أعمار المجلات الثقافية في البلاد العربية يبدو مدعاة للتساؤل، ويحتاج إلى تفسير.

من الأجوبة السهلة، هناك الدعم المادي و«البحبوحة» التي تعيشُ فيها هذه المجلة في كنف الشركة التي تصدرها، والقدرة على استكتاب الأسماء اللامعة في المملكة والوطن العربي، وعدد صفحاتها المحدود الذي يحتم عليها استبعاد كل مادة صحافية دون الوسط، وتخصيص مثل هذه المساحة الضيقة للأفضل... وقد تشكل مثل هذه الأجوبة جزءاً من الحقيقة، لأن الحقيقة تكمن أساساً في مكان أعمق من ذلك.

خلال تصفحنا لمجلدات «القافلة» طالعتنا بعض المقالات التي تضمنت في متنها فقرات صغيرة تهمس همساً ببعض الأجوبة.

بلى، كانت هناك قضايا مثيرة للنقاش على صفحات «القافلة»، ولكنها أتت على مستوى عالٍ جداً من اللباقة، بحيث لا تترك أحداً «يزعل منها»، ولا حتى صاحب الرأي الآخر، فالمقالات التي تتحدث عن الخط العربي مثلاً، تصدّت في متنها بحزم للدعوات التي أطلقت في الستينيات الميلادية لإحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي، كما أن العديد من المقالات الأدبية تصدّت بدورها للدعوات التي أطلقها البعض إلى اعتماد العامية بدلاً من الفصحى في الكتابة، ولكننا لا نجد في أي منها كلمة واحدة تُشهِّر بأصحاب الرأي الآخر، أو تطعن بهم، أوتجرح مشاعرهم الشخصية.

بعبارة أخرى، يمكن القول أن «القافلة» أحبّت الناس، وأحبت قراءها، وظلت تُصرُّ على التطلع إلى النصف الممتلئ من كوب الماء، ولم تَرَ يوماً نصفه الفارغ، فكانت تشع حلاوةً وأملاً وتفاؤلاً في أن نتابع مع الدنيا بأسرها من حولنا مسيرتنا إلى الأمام، ونحو الأفضل.

فريق التحقيق:

استغرقت الرحلة التي أمضاها عبود عطية، ومن ساعده، في مجلدات «القافلة» الخمسين حوالي ستة أشهر.

وقد شاركه إلياس سحّاب في مراجعة نصوص الشعر ونجاح طلعت في مراجعة الدراسات والمقالات الأدبية، ومأمون أحمد في مراجعة موضوع الخط العربي وكتابة بعض الخطوط الخاصة بالملحق.

عبود عطية

صحفي وكاتب لبناني من مواليد بلدة بينو قضاء عكّار عام ١٩٥٥م، له مؤلفات منها: كتاب حول تاريخ الفن، ومجموعة قصص قصيرة عن مرحلة الحرب الأهلية في لبنان بعنوان حكايات من كورنيش المنارة. عمل في صحف ومجلات لبنانية عدة، وكَتَبَ لمجلات ثقافية مثل «الهلال» المصرية، و«العربي» الكويتية، وغيرها. انكب في السنوات الأخيرة على دراسة السِيَر الشعبية للظاهر بيبرس، وقدّم دراسة حولها في المؤتمر الدولي السادس لتاريخ بلاد الشام الذي عُقد مؤخراً في دمشق.

يـا بـريـدَ الحجـازِ إن قـلـوبـاً
ظامئات ترى الجمود حراما
يـا بـريـد الحجـازِ أفـواهُ قـومٍ
ملجماتٍ فحلّ عنها اللجاما

يعود تاريخ هذه الصرخة إلى ما قبل صدور «قافلة الزيت» بعشر سنوات. كان شعب المملكة آنذاك قد اطمأن نهائياً إلى وحدة وطنه واستقراره الأمني والسياسي. كما كان تفجّر منابع النفط في المنطقة الشرقية قد بعث بإشارات طمأنة إلى المستقبل الاقتصادي. ولذا راحت الطاقات الثقافية تتأجج كما يبدو واضحاً في قصيدة العواد، وتبحث عن متنفس لها وميدان تصول وتجول فيه. وإضافة إلى تأجج الطاقات الثقافية، كان هناك غليان على صعيد آخر.

في عدد «القافلة» لشهر ربيع الأول ١٣٧٦هـ، كتب الأستاذ أحمد السباعي مقالاً صارماً في نقد التربية، ومما جاء فيه تساؤله: «ما بالنا نتحدث عن رواد صحارينا ومكتشفي آفاقنا ونستمع في إعجاب إلى نتائج ما يكتشفون وغرائب ما يدرسون، ثم لا نجد في ما نحدث أو نسمع ما يغرينا بمجاراتهم ويشجعنا على مسابقتهم». ويضيف في مكان آخر حول تربية الأولاد «نريد أن نعدّهم في الحياة شجعاناً يزورون أبعد المناطق، ويقتحمون أوعر المسالك ليبنوا مجدنا في كل شبر ويحملوا صيتنا إلى كل صقع...» الأمر الذي يكشف تأججاً على الصعيد الاجتماعي، ونظرة جديدة إلى دور الإنسان في هذا العالم.

إذاً في هذا الظرف التاريخي المتميّز بتأجج الطاقات الراغبة في الانطلاق، صدرت «قافلة الزيت»، أي أن صدورها كان تلبية لحاجة تاريخية ملحّة. ويدخل - بالتالي - في صميم النسيج الذي تتألف منه مسيرة النهضة في المملكة والوطن العربي عموماً.

الكفاءات المهنية، الدعم المادي، المصفاة الصعبة التي تمر عبرها المواد المختارة للنشر، التوازن في كل شيء... من الأمور التي تفسر لنا طول عمر المجلة وصباها الدائم حتى في سن الخمسين. وإلى كل ذلك لا بد من إضافة «الروح الحلوة» كما يقولون بالعامية.

فخلال تصفحنا مجلدات «القافلة» الخمسين، ارتسمت في ذهننا ملاحظة لم نجد حالةً واحدة تناقض صحتها، وهي أن «القافلة» قد تكون المجلة العربية الوحيدة التي لم يظهر منها أي عداء أو خصام لأية شخصية ثقافية معاصرة أو قديمة. لم تتهجّم على أحد، ولا على أي تيار ثقافي، فبدلاً من أن تذم كتاباً سيئاً، كانت تختار الكتاب الجيّد لتمدحه، وبدلاً من أن تنتقد كاتباً ساقطاً، كانت تعرّفنا على المبدعين من الكتّاب.

المجلة لديه تحد كبير في السعي لتطوير المجلة وتوسيع أفقها لغايات صحفية مستجدة وملحة. ولأنه لا يمكن القطع بما ستكون عليه مستقبلا إلا أن ما تعاهدنا عليه هو بذل قصارى جهدنا للسير على طريق التميز بما يرضي طموحاتنا وقراءنا، مدفوعين بقوة مبدأ الابتكار، الذي تزامن إطلاق حملته داخل الشركة مع خمسينية «القافلة»، ما يعني أن فريق العمل بالمجلة سيسعى إلى إخضاع، مضمونا وشكلا، لهذا المبدأ المهم، الذي ترعاه أرامكو السعودية وتدعو موظفيها باستمرار إلى تأسيه والأخذ بمعطياته.

وبعد؛ فإنني أود بهذه المناسبة العزيزة أن أعرب عن خالص التقدير والعرفان لأعضاء وحدة النشر العربي في أرامكو السعودية، بقيادة الصحفي والكاتب اللامع محمد العصيمي، الذين استطاعوا في اعتقادي أن يبدعوا في إنضاج هذا العدد الخاص على نار هادئة. ولعمري لم يكن ذلك بالأمر الهين، فلولا العشق الدافئ والشغف الشخصي الذي يوليه كل منهم لـ «القافلة» لما استطاعوا تحقيق ذلك، إذ أن كل واحد منهم مرتبط بإنجاز سيل جارف من الأعمال اليومية الأخرى وكانوا يختلسون الوقت لصنع هذا العدد الخاص ويقضون الساعات تلو الساعات من أوقاتهم الخاصة يتتبعون بدايات «القافلة» بين الأوراق والمحابر ودهاليز الذاكرة وبطون المجلدات. كما أود أن أشكر الأستاذ عبود عطية، الذي استخرج كنوز «القافلة» لهذا العدد الخاص، بعد أن غاص في بحرها العميق شهورا عديدة، غير أن جهد فريق الكتابة والتحرير لم يكن ليثمر بهذا الشكل لولا توفيق الله ثم مشاركة خيرة العقول والقرائح الفنية، وهنا أود أن أخص بالشكر فريق التصميم من المحترف السعودي بقيادة الفنان كميل حوا، الذي جسد إحساسا إبداعيا رائعا في تصميم وإخراج العدد الخاص، وفريق الطباعة بمطابع السروات، الذي استطاع بكفاءة طباعية عالية أن يؤكد روعة ما يحفل به وطننا من إمكانات تقنية متقدمة.

◄ فؤاد النرمان
مدير النشر
والعلاقات
الإعلامية في
أرامكو السعودية

«القافلة» إلى أين؟

لست أدري إن كان قد دار في خلد الرعيل الأول من فريق العمل في «القافلة»، عندما كانوا يجتمعون للتخطيط لإصدار عددها الأول، أن يوماً سيأتي تحتفل فيه المجلة بالذكرى الخمسين لإطلاقها، بعد صدور نحو ٦٠٠ عدد منها. وهذا هو ما يدور في خلدنا نحن الذين نشكل فريق العمل الحالي في المجلة، حيث نتطلع إلى محطتها المئوية وهي ثابتة على مبدأها، الذي عبر عنه الأستاذ حافظ البارودي، يرحمه الله، في افتتاحية أول عدد منها حين أشار إلى عزمها على تقديم مواد شائقة، تقدرها الخاصة وتستسيغها العامة.

ومن حسن حظنا نحن أعضاء جهاز تحرير المجلة الحالي أننا كرمنا بمشاركة أعلام وأساتذة كبار في هذا العدد، مثل فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، الذي اقتطع من وقته الثمين ليسهم معنا بالكلمة الأمينة والنصيحة المباركة، وكذلك أحد كبار شيوخ المؤرخين وهو الأستاذ نقولا زيادة، الذي أطل علينا من برجه التسعيني مساهما في تسجيل ذكرياته عن «القافلة». ولا ننسى، بطبيعة الحال، الإسهامات التي تلقيناها من نخبة أرباب القلم وقادة الفكر الذين كتبوا لـ «القافلة» في خمسينيتها.

وليسمح لي القارئ الكريم، بهذه المناسبة، أن أشركه معنا في أبرز الأسئلة التي يتداولها جهاز تحرير المجلة تمهيدا لإطلاقها نحو آفاق جديدة. لقد دارت هذه الأسئلة حول ثلاثة محاور، أولها الجدوى من استمرار «القافلة»، وثانيها ما يتعلق بهويتها، وثالثها يتعلق بفكرة إيقاف طباعتها وتحويلها إلى مجلة إلكترونية. وضمن هذه المحاور كان هناك من يرى أنه آن لرحلة «القافلة» أن تبلغ منتهاها بعد أن أدت واجبها وأصبح السوق الآن يعج بعشرات المجلات التي ترضي نهم القراء في مختلف المواضيع. وشكل المحور الثاني صراعا لا يقل عن سابقه حدة وأهمية وهو انه اذا كان هناك جدوى من استمرار «القافلة» فهل تبقى متنوعة في هويتها وموضوعاتها أم متخصصة في مجال معين. أما المحور الثالث فقد كان ينطلق من الرغبة في مواكبة اتجاه العصر وتعزيز الثقافة الإلكترونية في خطوة مهمة ورائدة لتعزيز الوجود الثقافي العربي عبر الفضاء السيبروني.

ومؤخرا طرح الأستاذ عبد اللطيف العثمان، وهو المسئول التنفيذي لدائرة شئون أرامكو السعودية، التي يشكل اصدار القافلة أحد أعمالها، تحديا كبيرا أمام أسرة التحرير حيث طلب أن تنافس «القافلة» في مستواها زميلتها «سعودي أرامكو وورلد» الصادرة بالانجليزية والتي ناهزت الخمسين ولا تنفك عن حصد جوائز مرموقة في الصحافة.

كان آخرها فوزها العام الماضي بجائزة «الفوليو» للتحرير المتميز. وما لبث الأستاذ عبدالله صالح جمعة رئيس الشركة وكبير إداريها التنفيذيين أن وجه فريق العمل بتسريع عملية تطوير «القافلة» بما يجعلها مطبوعة عربية تهتم بثقافة الفكر التنموي وتحظى بمستوى عالمي يليق بتاريخها وبتطلعات قرائها وباسم الشركة التي تصدرها. وإزاء هذه المداولات والتوجيهات الطموحة فإن فريق العمل في

إذن فإن «القافلة» كسبت الحب، ومن بعده لا حصر لمغانمها في رحلة امتدت لنصف قرن: لدى المجلة الآن مريدون من كل أرجاء المعمورة العربية، يتمايزون في أعمارهم، ويتوزعون على مشارب متعددة، ويتقاسمون معها ذكريات عطرة. ولديها في باطن مجلداتها من الموضوعات، في العلم والأدب والشعر والاستطلاعات، ما يسع عشرات الكتب، حتى أن البحّار الذي غاص في مجلداتها الخمسين، أفتى بأنها نشرت استطلاعات عن سورية لو جمعت لشكلت دليلاً سياحياً مرموقاً.

ولدى «القافلة»، غير الحب والأجيال والموضوعات الجادة الثرية، سعة في ماضيها كفيلة بأن ترسم لها صورة مستقبلية باهرة، تراعي، كما أشار رئيس الشركة في مقدمته في هذا العدد، مستجدات زماننا وفروضه وسننه التي يغيب بعضها عن المشهد الصحافي العربي العام.

إن بإمكان «القافلة»، في ظل هذا الماضي الحافل بالتميز والمريدين، أن تبحر مطمأنة إلى حالة صحافية جديدة، لتشبع حاجة صحافية قائمة، كما أشبعت في بواكير عمرها الحاجة الملحة للثقافة والمعارف العامة.

◄ **محمد العصيمي**
مدير تحرير «القافلة»

فنائم «القافلة»

ماذا كسبت «القافلة» بعد خمسين سنة من الصدور بلا انقطاع؟ لم تكن إجابة سؤال بهذا الحجم وهذا البعد الزمني سهلة، وإلا لاخترت الجواب الذي وقر في أذني فوراً وهو: أن أكبر مغانم «القافلة» كان حب الناس، الذي لا تحصل عليه صحيفة أو مجلة إلا بشق الأنفس، وربما لا تحصل عليه، حتى بشق الأنفس، فتقفل أبوابها وترحل.

لقد كنت شاهد عيان على هذا الحب المتدفق، لأنه تهيأ لي أن أمارس فعل التبشير بإصدار عدد خاص بمناسبة مرور خمسين عاماً على صدور «القافلة». أما منابر هذا التبشير فقد تمثلت في التوجيهات التي تلقيتها من رؤسائي، والاجتماعات المتوالية للوقوف على مراحل الاستعداد وتجهيز الأفكار الخاصة بهذا العدد، والتلذذ بالصياغة المشتركة لموضوعاته وطرق تنفيذها مع زملائي المتحمسين في وحدة النشر العربي، والركض خلف أدق المعلومات لهذه الموضوعات، سواء أكانت مخزونة في ذهن إنسان، أم كانت تسكن زاوية بعيدة في سجلات الشركة التاريخية، أم كانت تقبع هناك في بيروت القديمة، حيث طبعت أعداد المجلة الأولى. وربما تفاجأنا، من خلال استبيان أرسلناه إلى قرائنا، برغبة قارئ في الرياض أو القاهرة أو دمشق أوالجزائر، بأن يعبر، خارج حقول هذا الاستبيان، عن ما يحمله لـ «القافلة» من الحب بعد أن سافر في رحلتها سنوات طويلة.

والمهم، المهم جداً، أن أحداً لم يتثاقل وهو يمدنا بأقصى إمكاناته: المحرر الذي غاص في المجلدات الخمسين واستبطن مكنوناتها، والمحرر الذي لاحق حقيقة ما حتى استوت وخضعت لقلمه، والكاتب الذي شارك بانطباعاته عن المجلة، والفني الذي سافر في الصفحات محاولاً الوصول إلى نهاية شكلية تنسجم مع هذا الحدث الصحافي التاريخي. ولا ننسى طبعا عمال المطابع القدماء والخطاطين والرسامين، الذين نثروا ذكرياتهم لنا، مشفوعة بروائح أيام زمان، حين كان الكمبيوتر غائباً ومكائن الطباعة وفرز الألوان على قدر الحال.